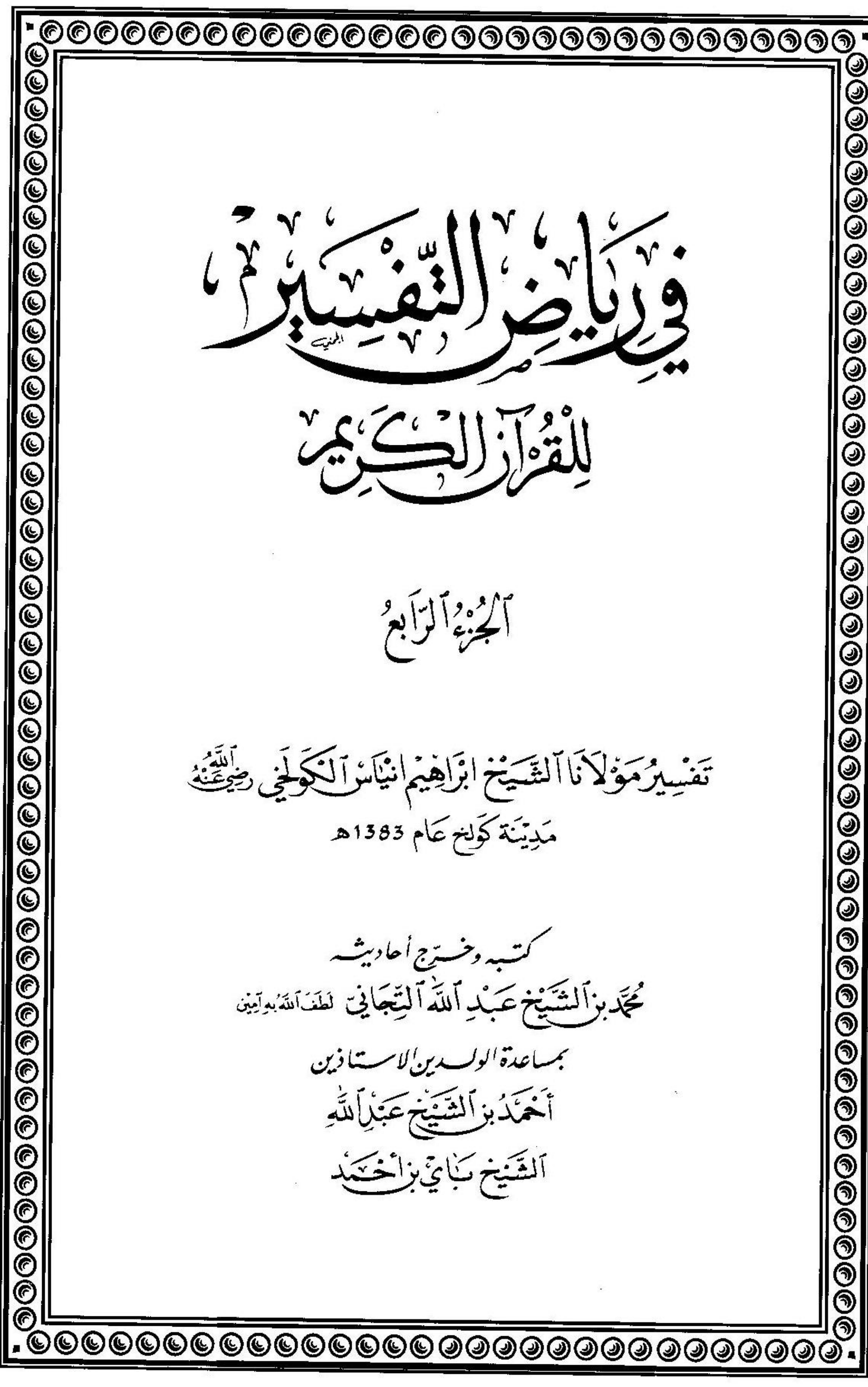


في رياض التفسير للقرآن الكريم

الجزء الرابع

تفسير مولانا الشيخ ابراهيم انياس الكولخي رضي الله عنه

مدينة كولخ عام 1383هـ

كتبه وخرج أحاديثه

محمد بن الشيخ عبد الله التجاني لطف الله به آمين

بمساعدة الولدين الاستاذين

أحمد بن الشيخ عبد الله

الشيخ باي بن أحمد

الدرس الحادي والثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري　　لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة　　تأتي لنا بالظفر

سورة الكهف

مكية إلا واصبر نفسك الآية،
مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ﴾ هو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ الحمد لله. أخبر تبارك وتعالى أن الحمد لله، وهل المراد الإعلام، يعلمنا بهذا أو الإيمان بهذا أو المقصود ثناء الله تبارك وتعالى على نفسه بهذا أو الكل معا؟ المستحق للحمد هو الله تبارك وتعالى، اللام للاستحقاق. والحمد يكون قولا وفعلا وحالا، الحمد قولا أن يحمد العبد الله تبارك وتعالى بما حمد به نفسه في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه، كقول العبد مثلا الحمد لله، والحمد فعلا هو القيام بالأعمال البدنية تقربا إلى الله تبارك وتعالى، والحمد حالا هو الاتصاف بالكمالات الإلهية كالعلم والعمل والجود والكرم، قيام العبد متصفا بصفات الله تبارك وتعالى هو حمده حالا. وإذا نظرنا حقيقة نجد أن هذا الحمد هو حمد الله تبارك وتعالى لنفسه؛ العبد يحمد قولا ويقوم بالأعمال البدنية بأن يصرف كل عضو من أعضائه فيما خلق لأجله، هذا هو الحمد فعلا وهو الشكر؛ وأما الحمد حالا فهو اتصافه بالكمالات الإلهية، وذلك

يعود لحمد الله تبارك وتعالى نفسه بنفسه في مظاهر مخلوقاته. فالحمد لله حمد العبد للرب، وحمد الرب لنفسه كل هذا لله تبارك وتعالى ﴿الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ وصف نفسه باستحقاق هذا الحمد لكونه هو الذي أنزل هذا الكتاب. هذا الكتاب الذي هو أكبر نعمة أجراها الله تبارك وتعالى على خلقه لما فيه من سعادتهم الدنيوية والأخروية من وقت نزوله إلى آخر الدهر، يصلح مع كل زمان ومكان ومع كل جيل، أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم. المستحق لأن يكون عبدا لله مطلقا هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو عبد الله على كل حال، القائم بأمره أتم قيام، عبده الذي لا ينازعه في شيء، عبده الذي هو كل موجوداته، فالله تبارك وتعالى هو الحق وما سوى الله فهو جزء من محمد صلى الله عليه وسلم، فالمتميز عن الربوبية هو حضرة محمد صلى الله عليه وسلم، إذاً فليس إلا الرب ومحمد، فعلى هذا محمد هو العبد حقيقة وإن كان كل الناس عبيده وكل الخلائق عبيده قال عياض:

ومما زادني فرحا وتيها	وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي	وأن صيرت أحمد لي نبيا[1]

كلنا عبيده ولكن إذا نظرنا في الحقيقة علمنا أن ليس لله عبد إلا محمد صلى الله عليه وسلم وهو مقامه الذي يفتخر به صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)[2] أي لا فخر له بكونه سيد ولد آدم بل إنما فخره بعبوديته لله تبارك

1- البيتان أوردهما الصاوي للقاضي عياض وفيهما: ومما زادني شرفا وتيها... البيت ج335/2

2 - عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه

وتعالى، لأنه لا يكون سيدا إلا في حضرة الأغيار وأما في حضرة الله فما ثم إلا الله وهو، وهو عبد في هذا المقام، وهذا المقام هو أعلى مقاماته صلى الله عليه وسلم، فتجد القرآن يسمي محمدا صلى الله عليه وسلم عبده في أكبر مظاهره. أكبر مظاهر محمد صلى الله عليه وسلم مقام نزول الوحي عليه، ومقام دعوته إلى الله، ومقام الإسراء "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا" ما قال بنبيه إنما قال بعبده؛ ومقام النزول "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب"؛ ومقام الدعوة إلى الله "وإنه لما قام عبد الله يدعوه". الله مستحق للحمد على كل حال حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (الحمد لله على كل حال)[1]، وهو المستحق للحمد لأنه هو الذي أنزل هذا الكتاب على هذا العبد، أنعم علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنعم علينا بالقرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ﴾ أي فيه ﴿عِوَجاً﴾ ليس في القرآن اختلاف وتناقض، بل هو كتاب مستقيم تماما، بلغ من الفصاحة أقصى درجات الفصاحة ومن البلاغة كذلك وحسن النظم والإخبار بما مضى وما سيأتي، والحكم فيما بيننا، وبلغ في هذا مستوى ما بلغه أي كتاب من الكتب الإلهية المنزلة فضلا عن سواها ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيما، ليس في القرآن عوج وأكده بقوله قيما حتى تعلم أن القرآن كله ليس فيه عوج لا في كله ولا في بعضه ولا في جزء من أجزائه، بل هو مستقيم كلا من أوله إلى آخره ﴿لِيُنذِرَ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين. أنزل القرآن ليخوف الكافرين

الأرض ولا فخر). سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في فضل النبي (3548). وفي سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب ذكر الشفاعة (4298). تقدم في الدرسين 7 و30.

1 – عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الأمر يسره قال : (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات) وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: (الحمد لله على كل حال). أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر/ باب أفضل العبادة هو الدعاء (1876).

﴿بَأْسًا﴾ عذابا ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ من قبل الله، إن لم يؤمنوا بهذا الكتاب فسيأتيهم بأس من عند الله تبارك وتعالى شديد، وهذا البأس في الدنيا والآخرة ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ إنذار للكفار وتبشير للمؤمنين ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ﴾ في هذا الأجر ﴿أَبَدًا﴾ هو الجنة ﴿وَيُنذِرَ﴾ يخوف ﴿الَّذِينَ قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وينذر أيضا نوعا من الكفار ادعوا الولد لله تبارك وتعالى ﴿مَا لَهُم بِهِ﴾ بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ أو ما لهم به بهذا الاتخاذ من علم، أو ما لهم به بهذا الولد من علم ﴿وَلاَ لِآبَائِهِمْ﴾ ولا مَن قبلهم. ادعوا لله ولدا وهذه الدعوى لم تصدر عن علم بل إنما صدرت عن جهالة؛ لو علموا شيئا لعلموا أن الله يستحيل في حقه الولد، ولكن لاتّصافهم بالجهالة وصفوا الله بما لا يليق بجلاله وهو الولد. ما عرفوا هذا الولد، ما عرفوا هذا الاتخاذ وما عرفوا ما في هذا القول من الكفر وما لا يرضي الله تبارك وتعالى ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ هي هذه الكلمة، هذه الكلمة كبرت أن تخرج من فم أحد، يعني ما أشد جراءهم على الله حيث يطيقون أن يتفوهوا بهذه الكلمة ﴿إِنْ يَّقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ إلا مقولا كذبا ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ مهلك ﴿نَفْسَكَ﴾ يا محمد صلى الله عليك وسلم ﴿عَلَى ءَاثَارِهِمْ﴾ أي بعد توليهم عنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ غيظا وحزنا منك لحرصك على إيمانهم. إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان هو أتقى عباد الله تبارك وتعالى لله، فما أمره الله تبارك وتعالى بشيء إلا بالغ في امتثاله حتى زجره. أمره بالإنفاق فأنفق جميع ما عنده حتى لباسه وبقي في بيته عريانا فنهاه الله عن ذلك[1] "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما

1 – أخرج ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء غلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

محسورا"؛ وأمره بالصلاة فصلى حتى ورمت قدماه[1]، من شدة خوفه من الله تبارك وتعالى لا يأمره الله بشيء إلا امتثل أشد الامتثال حتى يزجره الله تبارك وتعالى. ولما أمره بالتبليغ اشتد تبليغه حتى صار الحق تبارك وتعالى يخاطبه بهذا «فلعلك باخع نفسك على آثارهم» تهلك نفسك حرصا على إيمانهم بهذا القرآن أسفا أي غيظا وحزنا؛ فإن عباد الله الصالحين يلازمون الحزن دائما، والنبي صلى الله عليه وسلم كان متواصل الأحزان وكل الصالحين. أما أهل الدنيا فهم الذين يتغافلون عما هنالك ويضحكون ولا يبكون، وهو صلى الله عليه وسلم يقول: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)[2] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ فيه، وأحسن الناس عملا أزهدهم في الدنيا، كما فسر جلال أو أحسن الناس عملا من يعمل لله سرا وعلانية. الناس على أربعة أقسام:

إن أمي تسألك كذا وكذا فقال: ما عندنا اليوم شيء، قال: فتقول لك اكسني قميصك، فخلع قميصه فدفعه إليه فجلس في البيت حاسرا فأنزل الله "ولا تجعل يدك مغلولة" الآية. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي عند تفسير الآية.

1 – عن المغيرة رضي الله عنه قال: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له فيقول: (أفلا أكون عبدا شكورا). صحيح البخاري: كتاب الجمعة / باب قيام النبي الليل حتى ترم قدماه (430) وفي صحيح مسلم: صفة القيامة والجنة والنار / باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (5044).

2 – عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: (والذي نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا). صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور/ باب كيف كانت يمين النبي (6637). ولمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الكسوف /باب صلاة الكسوف (1499).

قسم يدعي أنه يعمل لله وهو يعمل للدنيا، هؤلاء أهل الرياء أولئك أسوأ عملا؛ وقسم يعملون لله قولا ونية؛ وقسم يعملون للدنيا قولا ونية؛ وقسم يعملون للآخرة قولا ونية، إذاً أحسنهم عملا أزهدهم في الدنيا أو من يعمل لله تبارك وتعالى وحده، الزهد في الدنيا يعين على هذا ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فتاتا ﴿جُرُزًا﴾ يابسا لا ينبت شيئا. هذه الدنيا الأرض وما عليها من الأشجار والزخارف سيصيرها الله تبارك وتعالى ترابا يابسا ليس عليه شيء ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل، جبل يقال له جيوم ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قصتهم كما مضى في آخر سورة الإسراء سألوه عن فتية خرجوا مهاجرين ما خبرهم، وسائح قطع مشارق الأرض ومغاربها، والروح. الجواب عن الفتية الذين خرجوا مهاجرين هم أصحاب الكهف هل تظن أن أهل هذه القصة ﴿كَانُواْ مِنْ﴾ جملة ﴿ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ كانوا عجبا دون باقي الآيات أو أعجبها، ليس الأمر كذلك، عند الله تبارك وتعالى ما هو أعجب من هذه القصة، اذكر ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ الفتية جمع فتى، وهو الشاب الكامل، ويطلق على المملوك ولو كان شيخا[1]، ويطلق على الكريم ولو كان شيخا، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يقولن أحدكم عبدي أو أمتي بل فليقل فتاي أو فتاتي)[2]، قصتهم أن أهل الإنجيل

1- ذكره ابن منظور في اللسان (مادة فتي)

2 - عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل سيدي مولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي). صحيح البخاري: كتاب العتق /باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو

ارتدوا وأحدثوا كثيرا من الجدال حتى صار بعضهم يعبد الأصنام بعدما كانوا أهل كتاب، وملكهم دقيانوس[1] ارتد وصار يعبد الأصنام، ويحمل الناس على عبادة الأصنام ومن خالفه قتله، صار يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، وكلما سمع بأهل بيت يعبدون الله أرسل إليهم فإذا أتوه خيرهم إما أن يرتدوا ويعبدوا الأصنام وإما أن يقتلهم، فلم يزل كذلك حتى سمع بهؤلاء الفتية فأرسل إليهم فأتوه يبكون حزينين، أمرهم بعبادة الأصنام فامتنعوا، وأجابه كبيرهم: إن لنا ربا أعظم من ملء السماوات والأرض لا نترك هذا الرب ونعبد الصنم. قال لهم: إما أن تعبدوا الأصنام وإما أن نقتلكم، قالوا: افعل ما بدا لك نحن لا نترك هذا الرب الكبير ونعبد هذا الصغير، قال لهم ارجعوا إلى محلكم وتدبروا في قضيتكم حتى تعود إليكم عقولكم لأنكم إن خالفتموني فمعنى ذلك أنكم ستقتلون، فرجعوا وسافر الملك لحاجة فاجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم فقالوا كلنا يأخذ زادا من بيت أبيه نذهب على وجه الأرض فقط مهاجرين نعبد الله وحده ولا نرتد عن ديننا. وفعلوا ذلك فجمعوا زادهم وكانوا سبعة، فخرجوا مهاجرين، كانوا ستة فمروا براع فتبعهم وشاركهم في ما هم فيه، وكان مع الراعي كلب فتبعهم فطردوه وتبعهم ثانية فطردوه فتبعهم وكلمهم قال لهم: لا تطردوني أنا أحب أولياء الله تبارك وتعالى[2]، فتركوه فسار معهم، صار منهم حتى وصلوا إلى فم الغار، فدخلوا في الغار

أمتي (2552). صحيح مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها /باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد (4177).

1 – ذكره ابن حجر في فتح الباري عن ابن عباس، شرح ترجمة الباب (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) من كتاب أحاديث الأنبياء في صحيح البخاري.

2 – انظر نزهة المجالس للصفوري ص75.

فاستخفوا هنالك وجعلوا دراهمهم بيد واحد منهم يقال له تمليخا كل يوم يذهب إلى البلد يشتري لهم طعاما يأكلونه، فمكثوا زمانا على ذلك، فسمع بهم الملك فنظر فيما يعاقبهم به فقال أبني جدارا حول غارهم حتى لا يخرجوا فيبقون هنالك فيموتون جوعا فبنى جدارا حول الغار، فأنامهم الله، ناموا على حالتهم ثلاثمائة سنين ما أكلوا وما شربوا ولم يتغير حالهم، من رآهم يعتقدهم أحياء والكلب معهم في تلك الكرامة، بعد ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا تبدلت الأحوال فملك البلاد ملك مسلم ودعا الناس إلى الإسلام فآمنوا وصاروا يتجادلون مع الكفار في خبر البعث، فطلب الملك من الله تبارك وتعالى أن يكرمه بأن يريه آية تدل على البعث، فمر راع على محل الغار فكسر الجدار الذي كان حول أولياء الله تبارك وتعالى، فلما سقط الجدار فزعوا وبعثوا من نومهم، وبقوا جلوسا في ملابسهم التي دامت ثلاثمائة سنة وهي بحالتها. فخرجوا فسأل بعضهم بعضا: كم مكثنا هنا؟ قال بعضهم يوما أو بعض يوم لأننا دخلنا هنا في أول النهار وهذا وقت غروب الشمس، يظنون أن ذلك في يوم واحد، فأخذوا شيئا من دراهمهم وأرسلوا صاحبهم الذي كان يأتيهم بالطعام، فمشى إلى السوق، فلما دخل البلد إذا معالم البلد كلها تغيرت، فصار ينظر يتعجب حتى أتى للسوق وأخرج ما عنده من الدراهم يريد الطعام، قالوا له: من أين لك هذه الدراهم؟ قال: من بيت أبي. قالوا: متى؟ قال: بالأمس، قالوا: لا، لعلك وجدت كنزا؟ قال: لا. قالوا: أين وجدت هذه الدراهم؟ قال من بيت أبي بالأمس، قالوا: هذه الدراهم فقدت منذ ثلاثمائة سنة وأخذوه وذهبوا به إلى الملك فسأله عن أمره فأخبره بأمر أهل الكهف. فركب الملك وحمد الله على أنه استجاب دعاءه بأن أراه آية للبعث حتى دنوا من الغار قال للملك: قف هنا أنت والجيش لأني خرجت وحدي من عندهم فإذا رجعت معي جيش يتحيرون في الأمر حتى

أرجع إليهم وأخبرهم. فلما دخل على القوم وأخبرهم الخبر قالوا: يا ربنا خذنا إليك فقط لا نتدنس بشيء من أحوال هذه الدنيا بعد، فماتوا كلا، وتأخر رجوعه إلى الملك فدخل الملك فوجدهم أمواتا، فقال إنه سيصنع لكل واحد منهم صندوقا من الذهب ويدفنه فيه. فلما جاء الليل رآهم في المنام قالوا له: لا تجعل لنا صناديق من الذهب ولا من شيء نحن من التراب، عشنا على التراب ونرجع إلى التراب، اتركنا بحالنا وادفنا في الأرض فقط هذه قصة أهل الكهف[1]. وهم كانوا سبعة ثامنهم كلبهم كما نص عليه القرآن، وهذه القصة كانت من مكنونات علوم المتقدمين لا يعلمها إلا القليل، فظنوا أنهم يعجزون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألوه عن قصة هؤلاء، فلهذا قالت الآية أتظن أن قصة أهل الكهف هي أغرب آياتنا؟ فأتى بالقصة. ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أصلح لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي هداية ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ﴾ أي أنمناهم، وجعلنا عليهم حجابا لا ينظرهم أحد، من الأفعال الجوامد التي تؤول هكذا فضربنا على آذانهم أي أنمناهم، كقوله فسُقِط في أيديهم أي ندموا ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ معدودة أي ثلاثمائة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة، أي نختبر ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ الفريقين المختلفين ﴿أَحْصَى﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِثُواْ﴾ لبثهم في الكهف ﴿أَمَدًا﴾ أي غاية ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ نقرأ ﴿عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ أخبر الحق تبارك وتعالى أنه يقص على محمد صلى الله عليه وسلم خبر أهل الكهف بالحق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ آمنوا بربهم وزادهم الله هدى حتى قوي إيمانهم جدا ﴿وَرَبَطْنَا

---

1 – راجع قصة أصحاب الكهف في الصاوي ج5/3 نقلا مختصرا من الخازن عن محمد بن إسحاق. وقد ذكر القرطبي في تفسيره ج359/15 بعضا من أخبارهم يرفعه لابن عباس ثم تابع قصتهم في الصفحات 360 إلى 384.

عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قويناها على قول الحق ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ أجابوا الملك بهذه الكلمة نحن ربنا أكبر فلا نعبد سواه. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[1] لأن المجاهد بين خوف ورجاء إما أن يموت أو يسلم، أما من وقف بين يدي ملك جائر لا يقبل الحق وهو واجهه بالحق هذا من غير شك يموت فهذا أشد من الجهاد لأن خوفه أشد من الخوف في الجهاد ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾ هلا يأتون ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى. قال بعض الفتية لبعض ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُاْ إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذه بداية هجرتهم ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفِقًا﴾ أي ما ترتفقون به من غداء وعشاء ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَّاوَرُ﴾ تميل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ تتركهم ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ من كراماتهم أن الشمس ما طلعت فوق الغار مدة إقامتهم بل تميل يمينا وشمالا لئلا يصيبهم حر الشمس كرامة من الله تبارك وتعالى لهم ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ في متسع من الكهف يناهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ إن الله تبارك وتعالى هو خالق الهداية، الآيات

---

1 – أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري حديثا جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا وإن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) . المستدرك: كتاب الفتن والملاحم/ خير الرجال من كان بطيئ الغضب سريع الفيء (8592). وفي سنن الترمذي: كتاب الفتن/ باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر (2100).

لا تهدي أحدا، إنما المهتدي هو من هداه الله ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ من أراد الله إضلاله لا يقدر أحد أن يهديه، لا يجد وليا مرشدا يرشده، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ لو رأيتهم ﴿أَيْقَاظًا﴾ منتبهين لأن أعينهم منفتحة ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ من إكرام الله تبارك وتعالى لهم أنه يقلبهم زمنا بعد زمن لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الكلب معهم باسط يديه بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة، صار من أولياء الله تبارك وتعالى ببركة الصحبة ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِّئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ حالتهم لشدة ما ألقى الله تبارك وتعالى عليهم من الهيبة لو رآهم أحد لفر عنهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِيَتَسَاءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب ذلك اليوم ثم ﴿قَالُواْ﴾ متوقفين في ذلك ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُواْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ أي بفضتكم، الورِق ككتِف وجبل الفضة المضروبة ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يقال إنها المسماة الآن[1] طرطوس كانوا يقولون لها أفسوس وبالعربية طرطوس، ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أرسلوا واحدا منهم وهو تمليخا يأتيهم بأزكى الطعام وهو الأرز ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم كما وعدوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ إما أن تعبدوا الأصنام أو تقتلوا ﴿وَلَن تُفْلِحُواْ إِذًا أَبَدًا﴾ إن عدتم في ملتهم لن تفلحوا أبدا. هكذا كلام أولياء الله، أهل الكهف حذروا من مخالطة أبناء

---

1 – قوله الآن إنما هو حكاية لما جاء في الجلالين.

الدنيا لأن من خالطهم يميل معهم فيما هم فيه أو يقتلونه، والنفس تدعي أنها تقدر أن تخالط كل أحد ولا يضرها هذا، وهذا من دسائس النفس، إياك وإياهم «ولن تفلحوا إذاً أبدا» ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم ﴿لِيَعْلَمُواْ﴾ أي قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداء ولا عشاء قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ المؤمنون والكفار بعد ثلاثمائة سنة ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ فلما رجعوا ووجدوهم أمواتا اختلفوا كيف يبنون ﴿فَقَالُواْ﴾ الكفار ﴿ابْنُواْ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلّى فيه، وفُعل ذلك على باب الكهف ﴿سَيَقُولُونَ﴾ المتنازعون في عدد الفتية زمن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول بعضهم هم ﴿ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ بعضهم ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ ظنا في الغيبة، ظن لا يعول على شيء ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المؤمنون ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ بعضهم يقولون إنهم سبعة وثامنهم كلبهم ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ الحق أن عددهم لا يعلمه إلا الله أو قليل من علماء هذه الأمة، قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل[1].
قصتهم تضمنت "قالوا" مرتين، - قالوا - أقل الجماعة ثلاثة، و"قال" مرة وهذا مفرد فهذا يدل على أنهم سبعة، هذا قول ابن عباس الذي هو ترجمان القرآن[2].

---

1 – جاء في تفسير ابن كثير ج79/3 قال قتادة: قال ابن عباس: أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل كانوا سبعة. وذكره القرطبي ج384/10، وابن جزي في التسهيل ج185/2.

2 – أخرج الحاكم في المستدرك عن عبد الله قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. المستدرك: كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم/ باب نعم ترجمان القرآن ابن عباس (6342) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد

ويفهم بنص القرآن ـ وأحسن تفسير القرآن تفسير القرآن بالقرآن ـ أنهم سبعة وثامنهم كلبهم؛ القرآن يقول «ثلاثة رابعهم كلبهم»، «خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب» رد على هذين القولين، والقرآن لا يسكت على باطل، لما كان هذان القولان باطلين أبطلهما وقال «ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم» ولم يردّ هذا القول، والقرآن حق كله لا يسكت على باطل، الساكت عن الحق كالمتكلم بالباطل، فهذا هو القول الصحيح هم سبعة وثامنهم كلبهم. قال الحسن البصري في الكلب خصال ينبغي للإنسان المسلم أن تكون فيه: الكلب جائع دائما وهذا دأب الصالحين، والكلب لا ينام الليل إلا قليلا وهذا دأب المحبين، والكلب إذا مات لا يترك ميراثا وهذا دأب الزاهدين، والكلب لا يختار مكانا يختص به وهذا دأب المتوكلين، والكلب إذا ضربه صاحبه وآذاه وجفاه ودعاه تبعه وهذا دأب المريدين الصادقين، والكلب إذا قرب من محل الطعام جلس بعيدا وهذا دأب المساكين، والكلب إذا ضرب وأوذي ثم أُلقيت إليه كسرة قبلها وهذا دأب الخاشعين، والكلب إذا جلس لمحل ودفعته عن ذلك المحل جلس في محل آخر وذلك دأب الراضين، والكلب إذا خرج من بلد انتقل منه لا يعود إليه أبدا وهذا دأب أولي العزم. هذه خصال للكلب ينبغي لكل مريد أن يتخلق بها ﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ تطلب الفتيا ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتب اليهود ﴿أَحَدًا﴾ سأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غدا ولم يقل إن شاء الله، فنزل ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ

(15516) عن ابن عباس قال: دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: نعم ترجمان القرآن أنت، ودعا لي جبريل عليه السلام مرتين. رواه الطبراني.

غَدًا﴾ أي فيما يستقبل من الزمان ﴿إِلاَّ أَنْ يَّشَاءَ اللَّهُ﴾ المصطفى صلى الله عليه وسلم لما سألوه عن هذه القصة قال لهم: سأجيبكم غدا ونسي أن يقول إن شاء الله[1] ففتر الوحي خمسة عشر يوما على الأقل أو أربعين يوما حتى كان يعيره الكفار وكاد أن يقتل نفسه صلى الله عليه وسلم، وكلما هم بأن يقتل نفسه ناداه جبريل وقال له أنت نبي الله حقا. فلما انقضت مدة فترة الوحي قال الله تبارك وتعالى «وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَّشَاءَ اللَّهُ» العبد لا يقول إنه يفعل شيئا في المستقبل إلا إذا قرنه بمشيئة الله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. يحكى

---

1 - ذكر محمد بن إسحاق قال: حدثني شيخ من أهل مصر عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وبعض قوله وقالا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبركم غدا عما سألتم عنه، ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه وحتى أحزنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثُ الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل "ويسألونك عن الروح". تفسير ابن كثير ج72/3.

أن رجلا كان ذاهبا إلى المربد فلقي أحدا قال له: إلى أين تذهب؟ قال: أذهب إلى المربد أشتري حمارا. قال له: قل إن شاء الله. قال: لا يحتاج الدراهم في جيبي والمربد هاهو والحمار موجود فلا يحتاج لمشيئة الله. فلما دخل المربد سرقت الدراهم كلا ولم يشتر حمارا ورجع. قيل له: من أين أتيت؟ قال: أتيت من المربد إن شاء الله، سُرقت دراهمي إن شاء الله، لم أشتر الحمار إن شاء الله[1]. الأمر لله، ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ مشيئته ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ عندما نسيت أي تقول إن شاء الله، متى تذكرته فاذكر مشيئته، «واذكر ربك إذا نسيت» اذكر الله تبارك وتعالى كلما نسيته فتذكر، مقام العامة. واذكر ربك إذا نسيت غيره، اذكر الله ومتى يكون وقت ذكر الله؟ وقت نسيان كل ما سواه، إذا نسيت كل ما سواه فهنالك تذكر الله حقا ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رَشَدًا وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ مكثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة شمسية، إذا كان بالسنين الشمسية فهي ثلاثمائة سنة ﴿وَازْدَادُواْ تِسْعًا﴾ وإذا كانت السنة بالقمرية فهنالك ثلاثمائة سنين وتسع سنين. السنة الشمسية تبدأ من يناير إلى دجمبر، اثنا عشر شهرا بعضها ثلاثون وبعضها واحد وثلاثون إلا فبراير ثمانية وعشرون إذا كان العام غير كبس، وإن كان العام كبسا يكون تسعة وعشرين، والحكمة في ذلك أن الله أخر الشمس ليوشع بن نون خليفة موسى عند قتاله للجبابرة، أرادت الشمس أن تغرب فطلب من الله تبارك وتعالى أن يؤخر له الشمس حتى يفرغ من أعداء الله فأمسك الله الشمس ربع يوم حتى فرغ من

---

1 – ذكرها في روح البيان عازيا لروضة الخطيب ج235/5.

جهاده[1] فبقي ربع يوم في السنة كل سنة ثلاثمائة وستة وستون يوما وربع يوم، والسنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وربع يوم، ربع يوم هذا إذا مضى أربع سنين يكون يوما كاملا هو الذي يزداد في فبراير إذا كان العام كبسا يكون تسعة وعشرين. والقمرية تبدأ من المحرم إلى ذي الحجة فبعضها تسعة وعشرون يوما وبعضها ثلاثون يوما. السنة القمرية أقل من السنة الشمسية، فلهذا كلما مضى ثلاثمائة سنة شمسية تكون ثلاثمائة وتسع سنين قمرية ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي علمه ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾ ما أبصره ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به ما أسمعه يعني الله، الله تبارك وتعالى لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن سمعه شيء فلهذا تعجب من سمعه وبصره. ليس له عين باصرة كالمخلوقات، وليس له أذن سامعة وهو يسمع كل شيء ويبصر كل شيء. ما سَمْعه؟ هو تجليه الذي أحاط بكل مسموع. وما بصره؟ هو تجليه الذي أحاط بكل شيء مبصر. ما أبصره وما أسمعه وليس له سمع ولا بصر تعالى عن ذلك علوا كبيرا ﴿مَا لَهُم﴾ أهل السماوات والأرض ﴿مِن دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلاَ يُشْرِكُ فِي

---

[1] - قال في كشف الخفاء تعليقا على الحديث 1379 في رد الشمس على علي رضي الله عنه: وروى الطبراني في الكبير والأوسط بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار، وكذلك ردت الشمس للنبي صلى الله عليه وسلم حين أخبر بالرفقة الذين رآهم ليلة الإسراء وأنهم يجيئون يوم كذا، فأشرفت قريش تنظر وقد ولى النهار ولم يجيئوا، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس. قال الراوي لهذه فلم تحبس على أحد إلا النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وعلى يوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى ورد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم. وفي كنز العمال أخرج الخطيب عن أبي هريرة: ما حبست الشمس على بشر قط إلا على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس 32443.

حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لأنه غني عن الشريك. الله تبارك وتعالى لا شريك له هو أغنى الشركاء عن الشرك[1]. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)[2] العمل المشترك لا يتقبله الله تبارك وتعالى والقلب المشترك لا يقبل الله إليه، هذا لا يقبله وهذا لا يدخله. من أفرغ قلبَه له سكن قلبه، (ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)[3] هذا الذي لا يشرك بالله شيئا، ومن طلب شريكا تركه وشريكه واستغنى تبارك وتعالى فهو الغني الحميد ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أحبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ

---

1 – عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه. صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق/ باب من أشرك في عمله غير الله (5300). تقدم في الدرس 9.

2 – عن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء). مسند أحمد: مسند الأنصار /باب حديث محمود بن لبيد (22528).

3 – (ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء: حرف الميم (2256). وأورد في تعليقه علي الحديث : "القلب بيت الرب": قال النجم قلت رواه ابن ماجه عن أبي عنبسة بلفظ (إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها). وهو شاهد لما هو دائر على ألسنة الصوفية وغيرهم: (ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن) كشف الخفاء : حرف القاف (1884). كما أخرجه السيوطي في الدرر المتناثرة ثم قال: قلت أخرج الإمام أحمد في الزهد عن وهب بن منبه : (إن الله فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش، فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال الله: إن السماوات والأرض ضعفن عن أن يسعنني ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين). الدرر: حرف الميم.

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادهم ﴿وَجْهَهُ﴾ تبارك وتعالى لا شيئا من أعراض الدنيا ﴿وَلاَ تَعْدُ﴾ تنصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عبر بهما عن صاحبهما. أي لا تنصرف عن أولئك عباد الله تبارك وتعالى الذين يذكرون الله صباحا ومساء لا تذهب عنهم كن معهم، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ هذا نزل في عيينة ابن حصن وأصحابه[1]. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسميه بالأحمق المطاع في قومه[2] ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في الشرك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع أصحابه فوقف يبول في المسجد فأراد الصحابة أن يزجروه فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم خلوه حتى يفرغ، فلما فرغ أخذ ذنوبا من الماء وصبه على محل البول[3]، فلما انصرف رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه عائشة قال: ما لنبي الله ولهذه المرأة الحسناء؟ أعطنيها أنا أولى بها وأعطيك غيرها[4]. والله يقول «وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» إسرافا أي تجاوزا للحد ﴿وَقُلْ﴾ له ولأصحابه هذا القرآن ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ تهديد لهم، لمن يكفر ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي ما أحاط بها ﴿وَإِنْ يَّسْتَغِيثُوا

---

1 – لباب النقول في أسباب النزول على هامش تنوير المقباس ص186.

2 – ذكره ابن حجر في فتح الباري في حديثه عن عيينة بن حصن في شرحه للحديث رقم 7286 كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب الإقتداء بسنن رسول الله.

3 – عن أبي هريرة قال قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم (دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين). قال ابن حجر في شرحه: ونقل عن أبي الحسن بن فارس أنه عيينة بن حصن. صحيح البخاري: كتاب الوضوء/ باب صب الماء على البول في المسجد (220).

4 – ذكره القرطبي في الجامع ج221/14.

﴿يُغَاثُواْ بِمَاء كَالْمُهْلِ﴾ إذا طلب أهل النار ماء للشراب يعطون عكر الزيت[1] ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ من حره إذا قرب إليها ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ هو ﴿وَسَاءتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي محلا للمقيل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ سيجازيهم الله تبارك وتعالى يوم القيامة ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ جنات إقامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ من للتبعيض جمع أسورة كأحمرة جمع سوار ﴿مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ لباس أهل الجنة ﴿مِّن سُندُسٍ﴾ السندس ما رق من الديباج، الحرير الرقيق يقال له سندس ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ الحرير الغليظ يقال له الإستبرق، أصل الكلمة ليست عربية لكن تعربت ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرير في الحَجَلة لا يقال له أريكة إلا إذا كان سريرا في حجلة[2] ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ الجزاء وهو الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ محل مقيل ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ للكفار والمؤمنين كابن سلمة وأخيه[3] اجعل لهم ﴿مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ يقتات به ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ﴾ تؤتي ﴿أُكُلَهَا﴾ أي ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ﴾ تنقص ﴿مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾ شققنا ﴿خِلالَهُمَا نَهَرًا﴾ يجري بينهما ﴿وَكَانَ لَهُ﴾ مع الجنتين ﴿ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يفاخره ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ عشيرة ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه يطوف به فيها

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كالمهل" كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه. سنن الترمذي: كتاب صفة جهنم/ باب ما جاء في صفة شراب أهل النار (2507).

2 – قال في اللسان: الأريكة السرير في الحجلة من دونه ستر ولا يسمى منفردا أريكة (مادة أرك).

3 – انظر الصاوي في حاشيته على الجلالين: ج13/3 والقرطبي عند تفسير الآية.

ويريه ثمارها ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تنعدم ﴿هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي﴾ في الآخرة على زعمك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ مرجعا ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يجاوبه ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ لأن آدم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ﴾ عدلك وصيرك ﴿رَجُلاً لَّكِنَّا﴾ لكن أنا ﴿هُوَ﴾ الشأن ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ أرشده أخوه المؤمن إلى أنه بدلا من الكفر لو كان إذا دخل بيته جنته قال ما شاء الله لم ير فيه مكروها. قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من أعطي خيرا من أهل أو مال فقال عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروها)[1] ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً﴾ إذا رأيتني أقل منك مالا ﴿وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضا ملساء ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ بمعنى غائرا ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أهلك الله ثمره ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ندما وتحسرا ﴿عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ عند هلاكها ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ مات كافر من بني إسرائيل وترك ثمانية آلاف دينار وولدين أحدهما كافر والآخر مؤمن، فاقتسما المال ذهب كل بأربعة آلاف دينار، فذهب الكافر واشترى أرضا فسمع أخوه المؤمن بهذا فقال: يا رب إن أخي اشترى أرضا وها أنا أشتري عندك أرضا في الجنة فتصدق بألف دينار، فبنى الكافر بألف

---

1 - (ما أنعم الله تعالى على عبد من أهل ومال وولد فيقول "ما شاء الله لا قوة إلا بالله " فيرى فيه آفة دون الموت). رواه أبو يعلى في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس. الجامع الصغير (7842).

دينار مساكن جميلة، فلما رآه أخوه قال: يا رب إن أخي بنى دارا وها أنا أشتري عندك دارا في الجنة وتصدق بألف دينار. وغرس الكافر أشجارا وصنع بستانا بألف دينار، فقال المؤمن: يا رب إني أغرس عندك أشجارا في الجنة فتصدق بألف دينار، واشترى الرجل الكافر غلمانا وجواري وخدما ودواب وكل ما يحتاج إليه، فقال المؤمن: يا رب إن أخي اشترى غلمانا وجواري فها أنا أشتري عندك غلمانا في الجنة وتصدق بألف دينار. وبقي لا يملك شيئا أما أخوه الكافر فقد أثمر ماله وتكاثر عنده كل شيء. ومس الأخ المؤمن ضر يوما من الأيام فقال أذهب إلى أخي ليواسني بشيء، فأتاه وقال له: لي حاجة أحب أن تقضيها لي. قال له: وأين المال الذي تقاسمناه بيننا شطرا لي وشطرا لك، كيف تكون معدما؟ أخبره قصته قال له أنت من المصدقين بهذا؟ قال له نعم، قال: اذهب عني لا أعطيك شيئا حتى نذهب إلى الجنة وإذا ذهبنا هنالك سيكون لي أكثر من مالي الآن[1]. وقصتهما ستأتي في سورة والصافات اضبط آخر خبرهم ﴿هُنَالِكَ﴾ يوم القيامة ﴿الْوَلَايَةُ﴾ الملك ﴿لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ الملك الحق يوم القيامة هو الله ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ من ثواب غيره ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ عاقبة. ما شاء الله لا قوة إلا بالله: ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أراد أن يدخل داره أو بستانه أو أي شيء له فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروها، فلهذا كتب الإمام مالك في باب داره ما شاء الله ليتذكره فكلما أراد أن يدخل الدار تذكره وقاله[2] ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسبب نزول الماء تكاثف النبات ﴿نَبَاتُ

---

1 – ذكره في روح البيان ج245/5.

2 – انظره في روح البيان ج247/5.

﴿الْأَرْضِ﴾ وامتزج ﴿فَأَصْبَحَ﴾ هذا النبات صار ﴿هَشِيمًا﴾ يابسا متفرقة أجزاؤه ﴿تَذْرُوهُ﴾ تثيره وتفرقه ﴿الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ الله قادر على كل شيء. الدنيا كلا مثلها مثل المطر نزل على الأرض فأنبت، فتجد النباتات مختلطا بعضها ببعض، وبعد أشهر تجدها هشيما تذروه الرياح، كل متاع الدنيا هكذا، والله تبارك وتعالى قادر على كل شيء الذي يقدر على هذا قادر على كل شيء ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها. الدنيا كل ما فيها من مال وبنين إنما هو زينة فقط ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله[1] ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ كثيرا ما أتفكر في تقديم المال على البنين والبنون أعز من المال. ويبدو أن المال أصل للبنين. الإنسان يتزوج وينفق مالا وينفق على زوجته حتى تلد له بنين. كأن المال أصل لهذا، لعل هذا هو السر في تقديمه وإلا فالبنون أعز من المال. ولكن على كل حال المال والبنون كلهم زينة الحياة الدنيا فقط والباقيات الصالحات هي هذه الكلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وزاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله. ختم البخاري كتابه بهذا الحديث: كلمتان خفيفتان على اللسان

---

1 ـ أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خذوا جنتكم) قلنا يا رسول الله من عدو قد حضر؟ قال: (لا جنتكم من النار قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنها تأتين يوم القيامة منجيات ومقدمات وهن الباقيات الصالحات) المستدرك: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر/ المنجيات الباقيات الصالحات (2022). كما روى عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (استكثروا من الباقيات الصالحات) قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: الملة، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: (التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله). وقال هذا أصح إسناد المصريين ولم يخرجاه، المستدرك: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر/ بيان الباقيات الصالحات (1925).

ثقيلتان في الميزان حبيبتان عند الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم[1]. ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم عليه السلام فقال له: اقرأ السلام على أمتك وقل لهم إن أرض الجنة طيبة وثمارها طيبة فليكثروا من الغراس، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: وما هو الغراس؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[2]. كلما قال العبد هذه الكلمة غرس له أشجار في الجنة حتى تنبت ثمارا لم تر عين مثلها قط ولا سمعت أذن مثلها قط ولا خطر على قلب بشر قط. سبحان الله كلمة أول من قالها الملائكة حملة العرش "الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون"، والحمد لله أول من قالها آدم، ولا إله إلا الله أول من قالها نوح عليه الصلاة والسلام، والله أكبر أول من قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله أول من قالها محمد صلى الله عليه وسلم، هي الباقيات الصالحات خير من الدنيا وما فيها، وقيل الباقيات الصالحات الصلوات الخمس[3] وقيل أركان الإسلام الخمسة[4] والقرآن يسع هذا كلا. «خير عند ربك» ﴿ثَوَابًا

---

1 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: ونضع الموازين القسط ليوم القيامة (7563) وبه ختم البخاري صحيحه.

2 – عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (3384).

3 – قاله ابن عباس، انظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص186 للفيروز أبادي، والقرطبي في الجامع ج414/10.

4 – قول ذكره الصاوي في حاشيته على الجلالين ج15/3.

﴿وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تبارك وتعالى. ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ يوم القيامة تذهب الجبال عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ تصير الأرض منكشفة ليس عليها شيء، سارت عنها الجبال وتخلت عما في بطنها من الأموات ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ بعد ذلك دعوا إلى البعث إلى الحساب مصطفين كل أمة صف يقال لهم ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي فرادى حفاة عراة غرلا. ويقال لمنكري البعث ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَن﴾ أنه ﴿لَنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبعث. قالت عائشة: واسوأتاه يا رسول الله، الرجال والنساء في محل واحد عراة ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: (الأمر أشد من أن يهمهم ذاك)[1] ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه إن كان مؤمنا أو في شماله إن كان كافرا ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عند معاينتهم ما في الكتاب من السيئات ﴿يَاوَيْلَتَنَا﴾ "يا" للتنبيه "ويلتنا" هلكتنا ما أشد هلاكنا ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾

---

1 ـ أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي مليكة قال حدثني القاسم بن محمد بن أبي بكر أن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تحشرون حفاة عراة غرلا) قالت عائشة فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض، فقال: (الأمر أشد من أن يهمهم ذاك) صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب كيف الحشر (6527) وأخرجه الحاكم في المستدرك من طريق عثمان بن عبد الرحمن القرظي: قرأت عائشة رضي الله عنها قول الله عز وجل "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة" فقالت: يا رسول الله واسوأتاه إن الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم إلى سوأة بعض؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب الأهوال/ رحال المتقين الذهب وأزمتها الزبرجد (8735) وقد تقدم في الدرس 28.

كل شيء تقدم من أعمال العبد قولا وفعلا لم يترك هذا الكتاب منه شيئا. قال الله ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ مثبتا في كتابهم ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الله تبارك وتعالى لا يظلم أحدا حتى يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن ولا يزيد من سيئات كافر ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ سجود انحناء ﴿فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ إبليس كان من الجن قيل هم نوع من الملائكة أو «من الجن» أبناء إبليس ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ خرج عن طاعته. الله تبارك وتعالى خلق آدم وخلق حواء وزوَّجها إياه فخرج منهما النسل هم بنو آدم جميع البشر. سئل عالم هل لإبليس زوجة؟ قال: ما حضرت عرسه. بعد ذلك تذكر أن الله ذكر له ذرية، قال لا تكون ذرية إلا بزوجة فعلى هذا لعل إبليس أيضا له قرينة[1]. ويروى أن إبليس ليس له زوجة إنما خلق الله له ذكرا في فخذه اليمنى وفرجا في فخذه اليسرى فإذا جامع بهما خرج ألف بيضة كلهم يخرج منه شيطان يفرقهم في الأرض كلهم يأمره بشيء من الفواحش يأمر به أولاد آدم ويدعوهم إليه[2] «ففسق عن أمر ربه» ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ الخطاب لآدم وذريته ﴿أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أعداء ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ إبليس وذريته ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إن الله تبارك وتعالى ما أحضر إبليس وأولاده عندما خلق السماوات والأرض وما فيهما ﴿وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ حتى خلق أنفسهم ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ إن الله تبارك وتعالى لا يستعين بالشياطين إذا أراد أن يوجد شيئا ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَاءِيَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أين الآلهة

---

1 – أوردها الصاوي عن الشعبي. حاشية الصاوي ج17/3.

2 – القرطبي ج420/10.

الذين كنتم تدّعون أنهم آلهة ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا ﴿وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّواْ﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ واقعون فيها لا محالة ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنا ﴿فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ الكافر يجادل الله تبارك وتعالى بالباطل كثيرا ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ الكفار كفار مكة خصوصا ﴿أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما منعهم الله من الإيمان إلا أنه أراد أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلاً﴾ معاينة ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ مبشرين للمؤمنين ومنذرين مخوفين للكافرين ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالْبَاطِلِ﴾ بقولهم أبعث الله بشرا رسولا ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ﴾ ليبطلوا الحق بجدالهم بالباطل يقولون إن البشر لا يستحق الرسالة – ما أشد حماقتهم – يقولون إن الإنسان وهو أكمل خلق الله لا يستحق أن يكون رسولا من الله تبارك وتعالى ويرون الحجارة آلهة، الحجر يستحق الألوهية والإنسان الكامل لا يستحق أن يكون رسولا عن الله تبارك وتعالى؟ ولكن كل هذا يريدون به قمع الحق بالباطل فقط ﴿وَاتَّخَذُواْ ءَايَاتِي وَمَا أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ سخرية ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ لا يفقهون القرآن لأن الله غطى قلوبهم ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلا فلا يسمعونه. أصم الله أسماعهم عن القرآن ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُواْ إِذًا أَبَدًا وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ الله تبارك وتعالى غفار الذنوب وكثير الرحمة لولا ذلك لأهلكنا بالذنوب جميعا ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ إن الله

يمهل ولا يهمل لهم موعد يوم القيامة ﴿لَنْ يَجِدُواْ مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾ لا ملجأ ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ قبلكم عاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ القرى قبلكم «لما ظلموا» لما كفروا أهلكهم الله تبارك وتعالى عيانا في الدنيا ﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلَكِهِمْ﴾ هلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾ وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمن كرامة محمد صلى الله عليه وسلم على الله لا يهلكون في الدنيا[1] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ هو ابن عمران ﴿لِفَتَاهُ﴾ يوشع بن نون، ما كان عبدا له إنما هو تلميذه فقط. كان يوشع يتبع موسى يخدمه لطلب العلم ﴿لاَ أَبْرَحُ﴾ قال موسى لا أزال أسير ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ دهرا طويلا في بلوغهما ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ وسبب ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام كان هو رسول بني إسرائيل وكان كثير العلم، كان يجلس مجلسا للعلم، ينشر العلم. فسأله سائل قال له: ما أكثر علمك هل يوجد أعلم منك يا موسى؟ فقال: لا. فعاتبه الله تبارك وتعالى وقال له: بلى عبدنا الخضر، فقال: أين أجد هذا العبد حتى أزداد منه علما؟ قال له: سر حتى تصل مجمع البحرين فخرج وتزود حوتا ورافقه تلميذه يوشع بن نون[2]. هذه بداية

---

[1] – عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة الأنفال (3007).

[2] – قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "موسى رسول الله ذكّر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولّى، فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله، قيل بلى، قال: أي رب وأين؟ قال: بمجمع البحرين، قال: أي رب اجعل لي علما أعلم ذلك به. قال لي عمر: وقال حيث يفارقك الحوت، وقال لي يعلى: خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح، فأخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه: لا

التربية، خرج موسى وقال إنه لا يزال يسير حتى يصل إلى مجمع البحرين بحر فارس والروم، أو مجمع البحرين بحر العلوم الظاهرة وبحر العلوم الباطنة ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع بن نون عند الرحيل نسي الحوت ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وكان البحر بحر الحياة، فلما جن الليل اضطربت سمكة في البحر فطارت قطرة من الماء ومست حوت موسى الذي كان يابسا فحيي واضطرب ورجع إلى البحر، فصار السمك اليابس حيا عندما اجتمع البحران ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا﴾ هو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ تعبا، ما حصلا على التعب إلا بعد مجاوزة المحل الذي فيه المطلوب، سارا من بلادهما حتى بلغا المحل الذي أمرهما الله تبارك وتعالى ببلوغه ما أحسا بالتعب، فلما جاوزاه نصف يوم شكوا من التعب لأنه السير إلى غير الله. كان موسى صام أربعين ليلة بأيامها هذا ثمانون يوما، الصائم يصوم النهار ويترك الليل، وموسى صام الليالي والأيام كلا حتى صام أربعين يوما ما أحس بجوع لما كان مقصوده حضرة الله تبارك وتعالى، وفي نصف نهار شكا من الجوع وقال "آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا" وما شكا إلا بعد أن جاوز المحل الذي فيه مطلوبه الذي هو الخضر ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾ انتبه ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ في ذلك المكان ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ بعث الحوت ورجع إلى البحر، الرجوع إلى الأصل هين ﴿عَجَبًا﴾ تعجب موسى

أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت، قال: ما كلفت كثيرا، فذلك قوله: "وإذ قال موسى لفتاه".
هذا طرف من حديث للبخاري في صحيحه: كتاب التفسير/ باب قوله فلما بلغا مجمع بينهما (4726).
وفي صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب من فضائل الخضر (4388).

وفتاه من حياة السمك بعد يبسه وسيره في البحر ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ﴾ أي فقد الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ هو الذي كنا نطلب لأن الله قال له: علامة وجود مرادك المحل الذي تفقد فيه الحوت فهو الذي فيه مطلبك ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَى ءَاثَارِهِمَا﴾ يقصانها ﴿قَصَصًا﴾ يتبعان أثرهما حتى رجعا إلى المكان الذي تركا فيه الحوت ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ قال المفسر[1] نبوة في قول وولاية في قول آخرين وهو الصحيح ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ هذا العبد هو الخضر، أعطاه الله رحمة وعلمه علما لدنيا وهو الذي لا يلقنه الأشياخ ولا يؤخذ من الكتب، إنما هو من عند الله تبارك وتعالى ومحله قلب العبد. الله تبارك وتعالى ذكر سبعة من عباده كلهم علمه علما مباشرة وكلهم وجد بعلمه مطلبا: علم آدم الأسماء فوجد الخلافة وسجود الملائكة له، وعلّم الخضر العلم اللدني فوجد تلميذا مثل موسى ويوشع، وعلم داود صنعة لبوس وعلم سليمان منطق الطير فوجد داود الملك ووجد سليمان خدمة الإنس والجن، وعلم يوسف تأويل الأحلام فوجد ملك مصر، وعلم عيسى الكتاب والتوراة والإنجيل فوجد إحياء الموتى، وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم الشريعة "وعلمك ما لم تكن تعلم" فوجد الشفاعة. الله تبارك وتعالى يقص علينا أنه علّم هذا العبد من عنده علما وهو علم الباطن وموسى هو خليفة الله في زمانه وحامل الرسالة وهو أعلى الأنبياء مقاما بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا إبراهيم، وكلمه تكليما، ولكن مع ذلك فالخضر يعلم من العلم ما ليس عند موسى ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ طلب منه الإذن في أن يتبعه ليعلمه مما علمه الله من

---

1 – هو جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين.

التربية، خرج موسى وقال إنه لا يزال يسير حتى يصل إلى مجمع البحرين بحر فارس والروم، أو مجمع البحرين بحر العلوم الظاهرة وبحر العلوم الباطنة ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع بن نون عند الرحيل نسي الحوت ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وكان البحر بحر الحياة، فلما جن الليل اضطربت سمكة في البحر فطارت قطرة من الماء ومست حوت موسى الذي كان يابسا فحيي واضطرب ورجع إلى البحر، فصار السمك اليابس حيا عندما اجتمع البحران ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا﴾ هو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ تعبا، ما حصلا على التعب إلا بعد مجاوزة المحل الذي فيه المطلوب، سارا من بلادهما حتى بلغا المحل الذي أمرهما الله تبارك وتعالى ببلوغه ما أحسا بالتعب، فلما جاوزاه نصف يوم شكوا من التعب لأنه السير إلى غير الله. كان موسى صام أربعين ليلة بأيامها هذا ثمانون يوما، الصائم يصوم النهار ويترك الليل، وموسى صام الليالي والأيام كلا حتى صام أربعين يوما ما أحس بجوع لما كان مقصوده حضرة الله تبارك وتعالى، وفي نصف نهار شكا من الجوع وقال "آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا" وما شكا إلا بعد أن جاوز المحل الذي فيه مطلوبه الذي هو الخضر ﴿قَالَ أَرَأيْتَ﴾ انتبه ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ في ذلك المكان ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ بعث الحوت ورجع إلى البحر، الرجوع إلى الأصل هين ﴿عَجَبًا﴾ تعجب موسى

أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت، قال: ما كلفت كثيرا، فذلك قوله: "وإذ قال موسى لفتاه".
هذا طرف من حديث للبخاري في صحيحه: كتاب التفسير/ باب قوله فلما بلغا مجمع بينهما (4726).
وفي صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب من فضائل الخضر (4388).

وفتاه من حياة السمك بعد يبسه وسيره في البحر ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي فقد الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ هو الذي كنا نطلب لأن الله قال له: علامة وجود مرادك المحل الذي تفقد فيه الحوت فهو الذي فيه مطلبك ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا﴾ يقصانها ﴿قَصَصًا﴾ يتبعان أثرهما حتى رجعا إلى المكان الذي تركا فيه الحوت ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ قال المفسر[1] نبوة في قول وولاية في قول آخرين وهو الصحيح ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ هذا العبد هو الخضر، أعطاه الله رحمة وعلمه علما لدنيا وهو الذي لا يلقنه الأشياخ ولا يؤخذ من الكتب، إنما هو من عند الله تبارك وتعالى ومحله قلب العبد. الله تبارك وتعالى ذكر سبعة من عباده كلهم علمه علما مباشرة وكلهم وجد بعلمه مطلبا: علم آدم الأسماء فوجد الخلافة وسجود الملائكة له، وعلّم الخضر العلم اللدني فوجد تلميذا مثل موسى ويوشع، وعلم داود صنعة لبوس وعلم سليمان منطق الطير فوجد داود الملك ووجد سليمان خدمة الإنس والجن، وعلم يوسف تأويل الأحلام فوجد ملك مصر، وعلم عيسى الكتاب والتوراة والإنجيل فوجد إحياء الموتى، وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم الشريعة "وعلمك ما لم تكن تعلم" فوجد الشفاعة. الله تبارك وتعالى يقص علينا أنه علّم هذا العبد من عنده علما وهو علم الباطن وموسى هو خليفة الله في زمانه وحامل الرسالة وهو أعلى الأنبياء مقاما بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا إبراهيم، وكلمه تكليما، ولكن مع ذلك فالخضر يعلم من العلم ما ليس عند موسى ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ طلب منه الإذن في أن يتبعه ليعلمه مما علمه الله من

---

1 – هو جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين.

العلم، استأذن في اتباعه، لم يأت فقط واتبعه بل طلب منه الإذن في اتباعه ومصاحبته ليأخذ ما عنده من العلم اللدني ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ الشرط الذي سوف أشرطه عليك لن تطيقه أبدا، وهذا الشرط هو أن لا تسألني عن شيء، هو علم أن موسى بحر علم هو حامل الشريعة في زمانه والخضر عنده من العلوم ما ينافي هذا الذي يعلم موسى، وإذا رأى موسى شيئا لا يوافق علمه لا يصبر عن السؤال، لابد أن يسأل، أما الإنكار فلم يصدر من موسى لأن الإنكار جريمة كبرى وكبيرة والأنبياء معصومون إنما هو سؤال فقط، ولكن شرط عليه في بدايته أن لا يسأل عن شيء ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ قال موسى إنه سيصبر ولا يخالف أمر شيخه فأعطاه الشرط ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ هذه شروط المشائخ، شرط الخضر على موسى أن لا يسأله عن شيء، مجرد سؤال فقط لا يسأله عن شيء، وموسى لم يصبر فخالف الشرط ففارقه الشيخ "هذا فراق بيني وبينك" وإسماعيل أكمل منه موسى بأضعاف مضاعفة ولكنه صبر ببركة صحبة أهل الله. إسماعيل قال: "ستجدني إن شاء الله من الصابرين" جعل نفسه من جملة الصابرين، صحب أهل الله وببركة الصحبة صبر، وموسى تجرد وحده "ستجدني إن شاء الله صابرا" كابد الأمر وحده ولم يجد معينا فلم يصبر. هذا من أسرار الصحبة، أسرار الصحبة ظهرت في قضية موسى مرتين، الأولى قال "ستجدني إن شاء الله صابرا" ولم يصبر، والذي قال "من الصابرين" صبر. الثانية أن موسى وهارون بقيا في التيه أربعين سنة يتيهون في الأرض وموسى وهارون أصفياء الله بقيا في هذا العذاب لما كان في صحبتهما أعداء الله تبارك وتعالى، ذاقا من العذاب على جلالة قدرهما، وأما أعداء الله فبصحبة موسى

استسقوا فسقاهم الله، استطعموا فأطعمهم الله طعاما ينزل من السماء، طلبوا اللباس فحفظ الله لباسهم لا يتسخ ولا يبلى أبدا، وطلبوا الضوء فضرب الله أعمدة من نور في تيههم، كل ما وجدوا من النعم فببركة صحبة موسى، وكل ما ذاق موسى من العذاب فبشؤم صحبة هؤلاء الكفار. الخير كله في الصحبة والشر كله في الصحبة «قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» ﴿فَانطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ أتيا أهل السفينة وليس عندهما كراء ولكنهم عرفوا الخضر فأركبوهما مجانا فلما توسطوا البحر ﴿خَرَقَهَا﴾ قام الخضر وأخذ فأسا وقلع لوحا من ألواح السفينة اللوح الذي يلي الماء قلعه الخضر وألقاه، بقيت السفينة محفوظة لم يدخل فيها الماء ولكن هذا الفعل يخالف الشريعة وموسى حامل الشريعة، ورغم أن الشيخ شرط عليه في الحين أن لا يسأله عن شيء ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ هذه السفينة التي أركبونا فيها مجانا خرقتها ليغرقوا في البحر، تعلمون أن هذا ليس إنكارا إنما سؤال قوي فقط ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ السؤال الأول سببه أن موسى نسي أن الخضر اشترط عليه أن لا يسأل عن شيء ﴿وَلاَ تُرْهِقْنِي﴾ لا تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ مشقة ﴿فَانطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاَمًا فَقَتَلَهُ﴾ وجدا غلمانا يلعبون فأخذ الخضر غلاما هو أجملهم وقتله، ذبحه بالسكين أو قلع رأسه أو ضرب رأسه على الجدار، على كل حال قتله الخضر وهو غلام لم يبلغ الحلم، هذا كبيرة في الشريعة وموسى حامل الشريعة ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ تقتل نفسا بغير نفس ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ إن كان هذا فقد ارتكبت شيئا كبيرا ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِن سَأَلْتُكَ

عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي﴾ استحيى موسى لما سأل مرتين استحيى مع رغبته في الصحبة فقال له إن سألتك عن شيء بعد هذا فاطردني ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِي عُذْرًا فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلبا الضيافة من أهل البلد ﴿فَأَبَوْاْ أَنْ يُّضَيِّفُوهُمَا﴾ منعوهما العشاء، فباتا طاويين فلما أصبحا ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ وجدا جدارا ارتفاعه مائة ذراع ﴿يُرِيدُ أَنْ يَّنقَضَّ﴾ يقرب من السقوط ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر، أخذه الخضر بيده وقومه حتى استقام ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذتَّ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ هؤلاء أهل بلدة منعونا العشاء تعمل لهم مجانا لا باس أن تسألهم عن أجر عملك ﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ كنت شرطت عليك ألا تسألني عن شيء وأنت لا تصبر عن السؤال فهذا فراق بيني وبينك، نبي مرسل فارقه شيخه لما خالف شرطه، هذا دليل على أن أهل الله لا يصحبون إلا بسلب الإرادة والتسليم ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ ها هو يؤول له ما لم يستطع أن يصبر عليه، ومن أسرار الله تبارك وتعالى أن المريد ولو بلغ ما بلغ من الكمال والعلم إذا حضر عند شيخه ربما يحجب عما كان يعلم. موسى استشكل ثلاث مسائل كلها وقعت فيه، أولا استشكل خرق السفينة وخاف من الغرق، نسي موسى أنه حين ولد ألقي في البحر وحفظه الله من الغرق من قدر على هذا قادر على أن يحفظ السفينة من الغرق ولكنه بحضرة شيخه نسي، «أقتلت نفسا زاكية بغير نفس» وقع له هذا[1]، ولما أتى لمدين وسقى للبنتين بنتي شعيب وطلبه شعيب وأراد أن يضيفه قال له أخشى أنك تقضي لي ما عملت لبنتيك وإنا قوم لا نعمل شيئا إلا لله، لا نأخذ الأجرة من المخلوقين، واليوم يقول

1 – إشارة إلى القبطي الذي قتله موسى "فوكزه موسى فقضى عليه"

«لو شئت لاتخذت عليه أجرا»؛ فبدأ الخضر يؤول له ما وقع منه ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ كان مساكين يعملون في البحر ما عندهم إلا هذه السفينة ﴿فَأَردتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصْبًا﴾ كان أمامهم ملك إذا رأى سفينة صالحة غصبها وإذا رأى فيها فسادا تركها فقلع الخضر هذا اللوح، فلما رأى الملك السفينة رآها معيبة فتركها لهم، فلما جاوزوا محل الملك ردوا سفينتهم على حالتها وبقيت لهم، هذا مقصود الخضر ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ كذلك الغلام الذي قتله الخضر إنما هو غلام رأى عليه طابع الكفر وأبواه يحبانه حبا خشي الخضر أن يرتدا بسببه فقتله «فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا» ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ﴾ مال مدفون ﴿لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ عمل لهما ما عمل لصلاح أبيهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ هذا هو التأويل الأخير ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ الجواب يكفي منه هذا «وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي» فقط هذا هو الجواب، إنما فعل ما فعل بأمر الله وإلا كون السفينة لمساكين وإذا لم يكن فيها عيب غُصبت لا يجوز في الشريعة قلع ألواحها، والغلام الصغير كونه يعلم أنه سيكون كافرا لا يجوز له أن يقتله، فأنا تأويله عندي «وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي» كل شيء فعله بأمر الله. والله عنده أمر ظاهر وأمر باطن، والنبي يكون حامل الشريعة وحامل الحقيقة تارة يحكم بالشريعة وتارة يحكم بالأمر الباطن كما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في القضية التي قرأنا أمس[1]

---

1 - لعل هذه القضية تطرق لها الشيخ في قراءة الحديث في المسجد أو في درس الحديث.

قضى فيها وجمع بين الظاهر والباطن. غلام تنازع عليه شخصان واحد أوصى أخاه أنه هو الذي زنى بالجارية فالولد منه فليأخذه أخوه، والآخر الجارية ملك أبيه فرأى أن الجارية وما ولدت ملك أبيه. فلما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولد مالك الجارية عبدة بن زمعة (هو لك يا عبدة الولد للفراش وللعاهر الحجر)[1]، فلما نظر إلى الغلام ورأى شبها بينا بالمنازع بآل وقاص – عبدة بن زمعة أخو سودة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم – منع الرسول صلى الله عليه وسلم سودة أن تنكشف أمام هذا الغلام بعدما حكم أنه ابن أبيها منعها من أن تتخذه محرما لشبهه بالزاني، هذا حكم بين الظاهر والباطن. زنى أحد فرفع عنه الحد لأنه علم أنه سعيد، سرق أحد فقتله، شرب أحد فقتله، هذا الحكم بالباطن وهو تارة يحكم بالظاهر[2].

أما الخضر فجوابه حقيقة «وما فعلته عن أمري» هذا الذي فعلت كلا إنما هو أمر من الله تبارك وتعالى باطن ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾. تجد في خطاب الخضر قال أولا «فأردت أن أعيبها» وثانيا قال «فأردنا» وثالثا قال «فأراد ربك» يقول المنكرون إنه لما قال فأردت خوطب في السر: أنت المريد لا أنا؟ فتدارك

---

[1] – عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص أن ابن وليدة زمعة مني فاقبضه قالت فلما كان عام الفتح أخذه سعد بن أبي وقاص وقال ابن أخي قد عهد إلي فيه فقام عبد بن زمعة فقال أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه فتساوقا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ابن أخي كان قد عهد إلي فيه فقال عبد بن زمعة أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو لك يا عبد بن زمعة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم قال لسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم احتجبي منه لما رأى من شبهه بعتبة فما رآها حتى لقي الله. صحيح البخاري: كتاب البيوع/ باب تفسير المشبَّهات (2053) صحيح مسلم: كتاب الرضاع /باب الولد للفراش وتوقى الشبهات (2645).

[2] – ذكره في روح البيان عازيا لتفسير ابن حبان. روح البيان ج5/281.

فقال: أردنا، فقيل أنت مشاركي في هذا؟ فخرج من الأمر فقال «فأراد ربك» أخيرا. ومن باب الأدب فالخضر قال أولا «فأردت أن أعيبها» لا يجب أن يسند العيب إلى الرب، هذا نقصان فأسنده إلى نفسه «فأردت أن أعيبها» كما قال إبراهيم "وإذا مرضت فهو يشفين" لم يقل إذا أمرضني، لما رأى المرض شرا أسنده إلى نفسه، والشفاء خيرا أسنده إلى ربه. والقضية الثانية قال «فأردنا» لأن هذه القضية جمعت بين الشر والخير فقال أردنا ليكون الشر إلى الخضر والخير إلى الرب، والقضية الأخيرة خير محض فقال «فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك» «ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا» ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر ولم يكن نبيا، وليس هو اسكندر مصر، هذا اسكندر قبله، سائح عربي مصلح، الذي يبدو أنه من أهل اليمن[1] لأن أهل اليمن هم الذين يتسمون بالأذواء دائما، ذو الكفل، ذو القرنين، ذو.. كثير في اليمن، «ويسألونك عن ذي القرنين» ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ خبرا ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ بتسهيل السير ﴿وَءَاتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقا إلى المغرب ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حماءة وهي الطين الأسود وغروبها في العين أي في رأي العين وإلا فهي أعظم من الدنيا ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ عند العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ بإلهام ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل ﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالأسر ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ نقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ

---

[1] – أورد الحافظ ابن حجر في الفتح بحثا مطولا ذكر فيه جملة أقوال وأشعار تفيد أنه ينمى إلى سبإ. راجع فتح الباري عند شرح ترجمة الباب: قصة ياجوج وماجوج من كتاب: أحاديث الأنبياء من صحيح البخاري.

﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ نحو المشرق ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ﴾ هم الزنج ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي الشمس ﴿سِتْرًا﴾ من لباس ولا سقف ﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ عند ذي القرنين من الأثاث والجند ﴿خُبْرًا﴾ علما ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ الصخرين جبلان بمنقطع بلاد الترك سدهما ذو القرنين ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً قَالُواْ يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾ قبيلتان عجميتان ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جعلا ﴿عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدًّا﴾ حاجزا فلا يصلون إلينا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ من خرجكم ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أطلبه، هو قوي ولكن الإنسان لا يستغني عن المعاونة مع غيره طلب منهم أن يعينوه بقوة بجد واجتهاد ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حاجزا حصينا ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعه فأتوه بها فجعل بين السدين حتى ملأه وأتى بالحطب والفحم ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُواْ﴾ أضرمه نارا وقال انفخوا فصاروا ينفخون ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ﴾ أي الحديد ﴿نَارًا﴾ كالنار حتى صار الحديد كلا مثل النار ﴿قَالَ ءَاتُونِي﴾ قطرا ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أتوه بالقطر فأفرغه على الحديد وهو نار فصار شيئا واحدا ﴿فَمَا اسْطَاعُواْ﴾ يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ يَّظْهَرُوهُ﴾ ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْبًا﴾ ما قدروا على هدمه ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَذَا﴾ أي السد ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ نعمة من نعم الله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ عندما أراد الله خروجهم بليل دك هذا السد ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم ﴿حَقًّا﴾ قيل كان ذلك في زمن بني العباس، خرجوا ودكوا السد

وبذلك دوخوا ملك العرب، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج قدر هذا[1]، أيقظوا ربات الحجال، ربات الخدور. فهذا سبب زوال ملك العرب، ويأجوج ومأجوج قبائل من الترك وقبائل من الصين وقبائل من روسيا، تلك القبائل الذي يظهر في الآية أن يأجوج ومأجوج منهم، والترك تعلمون أنهم هم الذين سلبوا دولة العرب مدة سبعمائة سنة، (اتركوا الترك ما تركوكم فإن الذي يسلب أمتي دولتها بنو قنطوراء)[2] ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط بعضهم ببعض لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ فيأتي بعد ذلك يوم القيامة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ في مكان واحد ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ القرآن عموا عنه ﴿وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ لا يقدرون أن يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنْ يَتَّخِذُواْ عِبَادِي﴾ ملائكتي وعيسى وعزير ﴿مِن دُونِيَ أَوْلِيَاءَ﴾ أربابا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء

---

1 - عن زينب بنت جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث. صحيح البخاري: كتاب الفتن/ باب يأجوج ومأجوج (7135). صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (5128).

2 - عن أبي سكينة رجل من المحررين عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم. سنن أبي داود: كتاب الملاحم/ باب في النهي عن تهييج الترك والحبشة (3748) وفي سنن النسائي: كتاب الجهاد/ باب غزوة الترك والحبشة (3125). وأخرج السيوطي في الجامع الصغير: (اتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطراء). للطبراني في الكبير عن ابن مسعود(110).

﴿نُزُلاً﴾ هي معدة لهم كالمنزل ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده ﴿وَلِقَائِهِ﴾ بالبعث والحساب ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ لا يجدون وزنا، لأن الثقل في الميزان لا يأتي إلا من الخير أما الشر فلا يخلق الله له وزنا. ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يجاء بالرجل الطويل العريض الأكول الشروب فيوزن فلا يزن عند الله جناح بعوضة[1] ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّخَذُواْ ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ مهزوءا بهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلى الجنان قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس)[2] ﴿نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ تحولا ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما

---

1 – عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرءوا "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا". صحيح البخاري: تفسير القرآن/ باب أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم (4729). وفي صحيح مسلم: صفة القيامة والجنة والنار/... (4991). قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: في رواية ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة (الطويل العظيم الأكول الشروب) .

2 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة. صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ درجات المجاهدين في سبيل الله (2790).

يكتب به ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ دون أن تنفد ﴿كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ يعبد الله ولا يشرك به شيئا. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

الدرس الثاني والثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

سورة مريم

مكية إلا سجدتها فمدنية أو إلا "فخلف من بعدهم خلف" الآيتين فمدنيتان

وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تكرر في القرآن ذكر مريم ثلاثين مرة، وليس في القرآن ذكر امرأة مطلقا، وذلك لحكمة هي أن الله تبارك وتعالى يثبت أن مريم أمة وليست كما يدّعون أنها زوجة له. عادة العرب وعادة الكبراء لا يبتذلون أسماء حرائرهم في المحافل بخلاف إمائهم. الحرائر يكنون عنهن بالأهل والعيال، والإماء يصرحون بأسمائهن على رؤوس الأشهاد ولا يستحيون، فعلى هذا ذكر الله تبارك وتعالى مريم في غير ما آية حتى يتحققوا أنها أمة وليست زوجة. وأيضا مريم هي أم عيسى وعيسى لا أب له، واليهود لعنهم الله يتقولون عليه فأثبت الله تبارك وتعالى أن عيسى بن مريم ليس له أب. ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. هذه الحروف المقطعة في الكتاب الأسلم في تفسيرها الله أعلم بمراده بذلك. قالوا كثيرا من التأويلات قالوا: "ك" إشارة إلى الكافي، "ه" إلى الهادي، "ي" إلى علي، "ع"

إلى علي كذلك عظيم، "ص" إلى الصادق، أو هي في أنفسها أسماء لله تبارك وتعالى، ورد في بعض الأحاديث: يا كهيعص، يا حم عسق، فعلى هذا هي أسماء أو قسم أقسم الله بها[1] أو إشارات بين الحبيب والحبيب فيستعملون إشارات لا يفهمها إلا أهلها؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم ناجاه الله تبارك وتعالى وعلمه معنى هذه الإشارات، فلما نزل جبريل بهذه الحروف وأول ما نزل منها كهيعص، كان إذا قرأ آية تكلم في تفسيرها، ولما قال: "كاف" قال الرسول صلى الله عليه وسلم: علمت، "هاء" قال الرسول: علمت، "ياء" قال الرسول: علمت، "عين" قال الرسول: علمت، "صاد" قال الرسول: علمت[2]. علم جبريل أن النبي تعلم معانيها بدون واسطته وأنه سر مخفي عنه. وهي تكررت في القرآن مرارا، وعدد الحروف التي جاءت على رؤوس الآي كما يقولون "سر حصين قطع كلامه" أربعة عشر حرفا سر حصين قطع كلامه وبالتكرار كان بضعة وسبعين وفيها حرف واحد وفيها حرفان، حرف واحد ق، ص، ن، حرفان: حم، طه، يس، ثلاثة حروف: الم، طسم، أربعة الـمص، الـمر، خمسة وهي أكثرها: كهيعص. وسنزيد كلاما على هذه الحروف إن شاء الله. ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّاءَ﴾ هذا ذكر رحمة الله تبارك وتعالى عبده زكرياء. ترى الفرق البيِّن بين الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبين الرسول زكرياء، بين العبد محمد وبين العبد زكرياء، ذكر رحمة ربك عبده: أضاف الرب إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأتى بضمير الخطاب، وأضاف زكرياء جعله عبدا وأضافه إلى الله بضمير الغيبة "رحْمتِ ربك عبده" كأن

---

1 – جاء في تفسير الطبري قوله عن فاطمة بنت علي قالت كان علي يقول: يا كهيعص اغفر لي. وقال وعن ابن عباس: كهيعص قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله. راجع تفسير الطبري (بداية السورة)

2 – ذكره البروسوي في روح البيان ج313/5.

الرب لمحمد وزكرياء عبد لله. إن الله تبارك وتعالى استجاب الدعاء لزكرياء وخرق له العادة في نيل الولد وهذه قصة ذلك ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً﴾ مشتملا على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ أي سرا، جوف الليل لأنه أسرع للإجابة. ذكر أن زكرياء دعا الله تبارك وتعالى بل ناداه والنداء بالصوت الرفيع، جمع بين "نداء" و"خفيا" على أنه طلب بلسانه فصار نداء وبصوت منخفض فكان خفيا، أو نداء لا يكون خفيا إلا إذا كان ذكر السر الذي لا يطلع عليه الملائكة فكان خفيا[1]. طلب زكرياء من ربه ولكن جعل ذلك سرا. والحكمة في إسرار زكرياء لهذا الدعاء أن أعداءه وهم الموالي الذين ذكر، أبناء عمه الذين سيرثونه من شرار بني إسرائيل، فعلم أنهم إذا سمعوه يدعو هذا الدعاء ربما آذوه، وأيضا أخفى هذا الدعاء لأنه إذا سمع به الناس يستهزئون به ويضحكون عليه، فهو شيخ كُبار كما سيذكر في الآية بلغ تسعا وتسعين سنة وما ولد له قط، وكذلك زوجته بلغت ثمانا وثمانين وما ولد لها قط، كان طلب الولد منهما إذا سمع به الناس يسخرون به[2] فجعله خفيا لأنه يعلم أن الله قادر على ذلك ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ ذكر أنه هرم وأنه ضعف حتى وهن العظم جميعه، لم يقل وهن العظام خوفا من الكذب لأن الإنسان ولو هرم تبقى بعض عظامه قوية غير واهنة، وقيل إنه شكا من سقوط أضراسه[3]، على كل حال الإنسان إذا بلغ هذا المبلغ من السن يكون وهن في بعض عظامه ولو لم يكن في كلها ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ انتشر الشيب في شعره كانتشار اشتعال النار في الحطب ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ﴾ بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ خائبا فيما مضى،

---

1 – قال القرطبي خفيا: مخلصا فيه لم يطلع عليه إلا الله تبارك وتعالى. ج76/11.

2 – ذكره ابن جزي في التسهيل ج2/ ص3.

3 – روح البيان ج313/5.

مهد لدعائه بأنه طول حياته ما طلب من الله شيئا إلا وأعطاه ما طلب، فلا يستحسن أن يخيبه وهو في الحالة التي صار أحوج إلى استجابته من كل زمن مضى حاشاه تبارك وتعالى أن يعود عبده من صغره ووقت قوته على أنه لا يطلب منه شيئا إلا وأعطاه حتى إذا وهن وشاب وعجز وانقطع رجاؤه وصار أحوج إلى خالقه من كل وقت مضى فيخيب أمله حاشاه من ذلك، لهذا توسل بكرم الله له فيما مضى. جاء سائل إلى ملك قال له أطلب منك حاجة وأنا الذي فعلت لي كذا وكذا وكذا، قال توسل بنا إلينا فساعده في مطلبه[1]، وزكرياء هكذا توسل بأن الله عوده على أن يتقبل منه ويستجيب منه الدعاء في كل ما مضى من عمره واليوم يرجو أنه لا يرجع خائبا أيضا ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ الذين يلونني في النسب هم أبناء عمه أي بعد موته أن يضيعوا الدين لأنهم من شرار بني إسرائيل، لابد أن يبدلوا الدين ويغيروه، رأى ذلك من أعمالهم، فهم من فسقهم وشرهم أنهم إن بقوا ولا وارث له غيرهم سيبدلون الدين ويضيعونه ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا يَرِثُنِي﴾ هذا هو الذي كان يمهد له: هب لي يا مولاي من لدنك، من عندك، ولیا ابنا يرثني أي يتولى أمر الدين بعدي ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ جدي العلم والنبوة ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مرضيا عندك. راعى الأدب في دعائه طلب من الله أن يهب له الولد وقبل أن يذكر الولد ذكر حضرة الله تبارك وتعالى «هب لي من لدنك وليا» لم يقل وليا من لدنك، الولد الذي هو مطلبه أخره تأدبا مع خالقه فلهذا استجاب الله

---

1 - أورد القرطبي عن حاتم قوله: مرحبا بمن تشفع إلينا بنا. ج80/11. وعزاه في بهجة المجالس وأنس المجالس للحسن بن سهل وقد تعرض له رجل فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي أحسنت إلي عام كذا، فقال الحسن: مرحبا بمن توسل إلينا بنا. ج347/1.

دعاءه وأعطاه ولدا فوق ما كان يرجو، وهذه الوراثة بالعلم والنبوة لا بالمال. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إنا معاشر الأنبياء لا نورث فما تركناه صدقة)[1] نفى الوراثة بالنسب في حق الأنبياء وقال: (العلماء ورثة الأنبياء)[2] أثبتها بالاكتساب ونفاها بالانتساب، "يا زكرياء" قال تعالى في إجابة طلبه الإبنَ ﴿يَا زَكَرِيَّاءُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ يرثك كما سألت ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾ هذا اسمه ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مسمى بيحيى، لا يوجد ولد اسمه يحي قبل يحي هذا، ولا يوجد ولد جاء اسمه قبل ميلاده سوى يحي. يحكى أن سارة زوجة إبراهيم عليه السلام كان اسمها أسارة وأسارة في لغة عبران: لا تلد، فصارت عقيما فلما أراد الله أن يهب لها ولدا

---

1 – عن عائشة أن فاطمة والعباس عليهما السلام أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال) قال أبو بكر: والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته. قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت. حدثنا إسماعيل بن أبان أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة. صحيح البخاري: كتاب الفرائض /باب قول النبي لا نورث ما تركنا صدقة (6725) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب قول النبي لا نورث ما تركنا فهو صدقة (3303). وفي لفظ أحمد: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركت بعد مئونة عاملي ونفقة نسائي صدقة) مسند أحمد: مسند المكثرين / (9593).

2 – عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر . سنن الترمذي : كتاب العلم /باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2606) وفي سنن أبي داود: كتاب العلم /باب الحث على طلب العلم (3157).

جاء جبريل وقال اسمها سارة، فقالت يا إبراهيم نقص من اسمي حرف، قيل لها ذلك الحرف يبقى لولد لك يحيى كان اسمه حيى فجعل الياء في يحيى فصار يحيى[1]. سمي يحيى لأنه حيي به رحم أمه، وسمي يحيى لأنه حيي به الدين، فصار حياة لأبيه وأمه وحياة للدين الإلهي ويحيا به أبوه. الولد إذا كان صالحا مباركا يحيا اسمُ أبيه به بعد موت أبيه كما حيي آدم باسم شئث جد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكما حيي نوح باسم سام، كذلك حيي زكرياء باسم يحيى، أم يحيى إيشاع بنت فاقودا[2]، أم مريم حنة بنت فاقودا فلهذا تجد في حديث الإسراء يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إنه وجد ابني الخالتين في السماء الثانية يحيى وعيسى[3] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عُتِيًّا﴾ تعجب كيف يكون هذا عادة؟ أما من جانب قدرة الله فليس في هذا عجب لأن الله يخلق ما يشاء، وأما من باب العادة فامرأة عاقر عاشت ثمانا وتسعين سنة ورجل بلغ مائة وعشرين سنة على قول، الولد منهما غريب وعجيب، فلهذا استغرب هذا ليس من

---

1 - القرطبي: ج4/75-76.

2 - اختلفت المصادر فيها فقيل أشاع كما للصاوي ج3/31، وإيشاع للقرطبي نقلا عن الطبري ج11/79، كما اختلفت المصادر كذلك في فاقودا فقيل فاقوذا كما لابن كثير والخازن، وللقرطبي والصاوي فاقود وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الدرس الثامن.

3 - عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به .. ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى **وهما ابنا خالة** قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكرياء (3430).

باب قدرة الله ولكن من باب العادة «بلغت من الكبر عتيا» قال المفسر[1] مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانا وتسعين سنة كيف نجد ولدا؟ يسأل كيف يكون الولد هل هو من الهرمين أم من زوجة أخرى أم من جارية أم من هذه العجوز؟ ﴿قَالَ﴾ الملك الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ الله يخلق الغلام منكما من الهرمين من هذا الشيخ الكبير ومن هذه العجوز العاقر يخرج الله منكما الولد ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ بأن أرد عليك قوة الجماع وأفتق رحم امرأتك للعلوق ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أتى بالحجة على أن الله تبارك وتعالى هين عليه هذا بقوله «وقد خلقتك من قبل و لم تك شيئا» أوجد ذاته من العدم، وأعطاه صفة، هذا أصعب من أن يرد عليه صفته فقط. زكرياء كان عدما ليس بشيء، هذا دليل على أن العدم ليس بشيء «ولم تك شيئا» كان ليس بشيء أوجده الله ذاتا وأوجد له صفات منها القوة على الجماع وسلبه هذه الصفات، ردُّ هذه الصفات بحالتها أيسر من إيجاد ذات بصفاتها كاملة. تيقن زكرياء هذا وتاقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ ءَايَةً﴾ علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي تمنع من كلامهم بخلاف ذكر الله ﴿ثَلاَثَ لَيَالٍ﴾ بأيامها ﴿سَوِيًّا﴾ إذا أصبحت يوما وعجزت عن الكلام مع المخلوقين و لم تعجز عن ذكر الله فذلك علامة حمل زوجتك ثلاث ليال بأيامها بدليل ثلاثة أيام الذي تقدم في سورة آل عمران، الليالي بأيامها فعبر مرة بأيام ومرة بليال ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ المسجد وكانوا ينتظرونه ليفتح لهم ليصلوا فيه بأمره على العادة، انتظروه ليفتح لهم ﴿فَأَوْحَى﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ عجز عن مكالمتهم

---

1 – جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين ج32/3.

أشار لهم أنهم يبقون يذكرون الله تبارك وتعالى، فعلموا أن زوجته حملت بيحيى، وبعد ولادته بسنتين في السنة الثالثة قال تعالى ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ أوحى الله إلى يحي وهو ابن ثلاث سنين[1]. الأنبياء يبعثون على رأس أربعين إلا يحيى بعثه الله على رأس ثلاث سنين «بِقُوَّةٍ» القوة الإلهية التي أمد بها زكرياء بها أوجد يحيى، بقيت تلك القوة الإلهية في يحيى فأخذ الكتاب بقوة بتلك القوة وهو ابن ثلاث سنين، وبقي بتلك القوة رافضا للدنيا وشهواتها لم يباشر امرأة قط وما همَّ بسيئة قط أحرى أن يفعلها "وخلق الإنسان ضعيفا" ولكن القوة الإلهية التي منها وجد يحيى بقيت معه فبقي في تلك القوة خاطبته الحضرة «يا يحيى خذ الكتاب بقوة» ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ النبوة ﴿صَبِيًّا﴾ ابن ثلاث سنين ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَاةً﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها[2] ﴿وَبَرًّا﴾ محسنا ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ إليهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبرا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيا لربه ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما يراه قبلها فهو آمن. الإنسان يوم الميلاد خطر عليه، ويوم الموت كذلك ويوم القيامة، هذه الأيام الثلاثة كل يوم فيها مخوف على الإنسان، ويحيى عليه سلامٌ في هذه الأيام الثلاثة. فجاء يحيى رافضا للدنيا مشتغلا بعبادة الله تبارك وتعالى منعزلا عن الخلق يبكي ليلا ونهارا[3]. يوم من الأيام خاطب

---

[1] – الجلالين ج33/3.

[2] – عن ابن عباس عن النبي قال: (ما من آدمي إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة أو عملها إلا أن يكون يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة و لم يعملها). أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين/ بشارة ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام (4199).

[3] – قال القرطبي: وكان للدمع في خديه مجار ثابتة. ج86/11.

زكرياء ربه يا رب طلبت منك ولدا ليؤنسني، أعطيتني ولدا ولكن هذا الولد لم يؤنسني، يحيى ما أنسني، ما جلس معه ولو مرة واحدة. قال راجع دعاءك طلبت وليا "هب لي من لدنك وليا" والأولياء لا يؤنسون أحدا إنما يشتغلون بربهم. هكذا بقي يحيى، وهو معاصر لعيسى، يحيى تجلى له الجلال فلا تراه إلا باكيا عابدا زاهدا، بخلاف عيسى تجلى له الجمال فلا تراه إلا متبسما دائما منبسطا، كلما لقيه يحيى يقول له: أنت دائما تضحك كأنك آمن من مكر الله، يقول له عيسى: كأنك آئس من رحمة الله[1]. هما ابنا خالة. والنيات تؤثر دائما في الأشياء، ذكر القرآن ذرية بعضها من بعض، الأنبياء أبناء الأنبياء والعلماء غالبا أبناء العلماء، والكفار غالبا أبناء الكفار، والمسلمون غالبا أبناء المسلمين وهذا غالبا ذرية بعضها من بعض إلا إذا عرض عارض يغير هذه العادة. والنيات أيضا تؤثر: إن أم مريم رأت سدنة بيت المقدس كانوا صوفية في زمانهم يشتغلون بعبادة الله وخدمة المسجد رافضين لأحوال الدنيا فطلبت من الله ولدا يكون منهم، انظر إلى أصل نيتها فجاءت لها ابنة هي مريم "إني وضعتها أنثى" لما جاءت أنثى ولكن هي أصلا نيتها أن تكون من عبدة الله تبارك وتعالى، من خَدَمة المسجد، من أولياء الله الذين يشتغلون بطاعته آناء الليل وأطراف النهار، جاءت مريم أنثى ولكن أنثى كذكر حتى ذكرت مع الرجال، ووصفت بصفات الرجال وذكرت في القرآن وليس في القرآن ذكر امرأة سواها، بأصل نية أمها. وحالة مريم هي التي بعثت زكرياء لطلب يحيى، فجاء يحيى على حالة مريم، لأن زكرياء لما رأى صلاح مريم وأحوالها وانقطاعها للعبادة طلب ولدا،

---

1 - روح البيان: ج5/332.

مريم معناها العابدة[1]، ما أشد حماقة من جعلوها إلها، معنى مريم: العابدة، كيف تعبد نفسها؟ وجاء يحيى مشاكلا لمريم على كل حال حقا أنه رجل ولكن ما تزوج قط، كما أن مريم ما مسها رجل، يحيى عاش مدة الزمان سيدا حصورا. وجاء عيسى، نفخ جبريل في مريم بعدما تشكل بشرا لو تشكل ملكا لجاء عيسى روحانيا فقط ليس بشرا ولكن لما كان أصل النفخ من جبريل صارت أحوال عيسى كثيرا ما تحاكي أحوال الملائكة حتى رجع إلى السماء مع الملائكة. تصحيح النية لابد منه، النية بِها قوام الأشياء كلا، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ ذكر زكرياء ويحيى وسيذكر إبراهيم وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس. اذكر مريم كذلك مع هؤلاء، وهي امرأة ولكن وصفها الله تبارك وتعالى بصفات الرجال "يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين" لم يقل مع الراكعات "وكانت من القانتين" لم يقل من القانتات، الشخص شخص امرأة ولكن الحالة حالة الرجال، فذكرت مع الرجال ﴿إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار، عاشت ثلاث عشرة سنة في غرفة فوق المحراب في مسجد زكرياء ما رأت رجلا قط[2] حتى بلغت مبلغ النساء فلما طهرت من حيضتها اعتزلت إلى الجانب الشرقي لتغتسل لما طهرت من حيضتها، «مكانا شرقيا» هذا هو السبب في كون النصارى يجعلون المشرق هو القبلة[3] كما أن اليهود لما أعطي موسى ما أعطي في الجانب الغربي جعلوا المغرب هو القبلة، ونحن معشر المسلمين امتثلنا أمر الله تبارك

---

1 – ذكره في روح البيان ج321/5.

2 – نقله القرطبي عن الطبري. ج91/11.

3 – قال ابن عباس إني لأعلم الناس لم اتخذ النصارى المشرق قبلة لقول الله عز وجل "إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا" فاتخذوا ميلاد عيسى عليه السلام قبلة. القرطبي ج90/11.

وتعالى "فول وجهك شطر المسجد الحرام" جعلنا القبلة حيث أمرنا الله تبارك وتعالى وأدركنا مراد القوم في قبلتنا لما امتثلنا أمر الله، مكة التي هي قبلتنا هي ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم «انتبذت من أهلها مكانا شرقيا» اعتزلت شرقي الدار ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أرسلت سترا تستتر به لتفلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضتها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابَها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ جاء جبريل على صورة بشر تام الخلق، لو جاء على صورة روحاني لبقي عيسى روحانيا لا بشرا ﴿قَالَتْ إِنِّيَ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ لما رأته رجلا ظنت أنه بشر حذرته من الدنو منها إن كان يخاف الله تبارك وتعالى ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿إِنَّمَا أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ قال جبريل لست من جنس البشر رسول ملك من عند الله تبارك وتعالى «لأهب لك غلاما زكيا» بالنبوة فنفخ في جيبها فحملت بعيسى ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ زانية ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكِ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ بأن يَنفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به ويكون ما ذكر، ولكون ما ذكر في معنى العلة ﴿وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فحملت مريم، قيل حملت تسعة أشهر وقيل حملت ووضعت في الحين وهذا هو الذي يدل عليه سياق الآية[1]، حملت في الحين ووضعت في الحين ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ في علمي. فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصورا ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ﴾ تنحت ﴿بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ذهبت إلى

---

1 – قاله ابن عباس، قال: ما هو إلا أن حملت فوضعت في الحال. نقله القرطبي في تفسير قوله تعالى "فحملته فانتبذت به مكانا قصيا". وقال القرطبي بعد ذكر أقوال في مدة الحمل: وما ذكرناه عن ابن عباس أصح وأظهر. ج93/11.

أبعد من مكانها ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ جاء بها المخاض وجع الولادة ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ رأت جذع نخلة يابسة من قبل فجاءت لتعتمد عليه فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة، ﴿قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ علمت ما سيتقول عليها الناس فتمنت الموت قبل وقوع هذا ﴿وَكُنتُ نِسْيًا مَّنسِيًّا﴾ شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾ ناداها جبريل، كان أسفل منها ﴿أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ وكان النهر انقطع وبقي أرضا يابسة ففاض النهر، ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة ﴿تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ فتسقط عليك رطبا جنيا، فاض الماء وأثمر جذع النخلة فصارت تأكل وتشرب من نهرها خوطبت ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من السري وهو النهر ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ تقر عينك أي تسكن. ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ إن رأيت ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ إمساكا، كل من خاطبك لا تخاصميه ولا ترددي عليه قولي «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا» إمساكا لا أتكلم في شأن هذا الولد ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ هذا أصل الصوم، أصل الصوم الإمساك عن الكلام، فحملت هذا الولد ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ ذهبت بكرا ما رأت زوجا قط ورجعت تحمل ولدا ﴿قَالُواْ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ عظيما حيث أتيت بولد من غير أب ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ هو رجل صالح أي يا شبيهته في العفة، هارون هذا إما هارون نبي الله لأنه أخو جد مريم. فكان هارون لما كان أخا جد مريم صار أخا لها، أو هارون هذا رجل اسمه هارون في زمن مريم - رجل صالح - أو هارون جد مريم، معنى يا أخت هارون كمعنى قول العرب يا أخا العرب، يا أخا العرب معناه يا رجلا من العرب، يا أخت هارون معناه بنتا من آل هارون. أو كان كل من كان صالحا أو صالحة يقال هذا أخو هارون في الصلاح، هذه أخت

هارون في الصلاح فجرى القرآن على عادهم كذلك، وليست مريم أختا لهارون فبينهما ألف وثمانمائة سنة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ زانيا ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ زانية، فمن أين لك هذا الولد؟ يا أخت هارون والدك عمران ما كان امرأ سوء، وأمك حنة بنت فاقودا ما كانت زانية، من أين لك ولد؟ ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن كلموه، امتثلت أمر الله، أمسكت عن الكلام وأشارت إلى الولد ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ كيف نكلم مولودا في المهد ما قبله القوابل بعد؟ قام الولد وهو في المهد وأشار بأصبعه هكذا ﴿قَالَ﴾ عيسى ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أول ما نطق به إني عبد الله، وهذا رد على قومه الذين جعلوه فيما بعد إلها ﴿ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيئًا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ نفاعا للناس ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أمرني بهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ لأنه لا أب له ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاظما ﴿شَقِيًّا﴾ عاصيا لربي ﴿وَالسَّلاَمُ﴾ من الله ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فيه ما تقدم للسيد يحيى، هذه الأيام أخطر أيام لبني آدم، يوم الولادة ربما هلك الإنسان عند ميلاده، ويوم الموت، ويوم القيامة، قال هذا ورجع إلى المهد قبل أن تقبله القوابل. قال تعالى ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ﴾ قول ابن مريم قول الحق، القول الذي قاله ابن مريم هو الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون فيه وهم النصارى. النصارى شكوا فيه فجعلوه ابنا لله، واليهود شر منهم، قالوا إن مريم باغية وعيسى ابن حرام ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أراد أن يحدثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ومن ذلك خلق عيسى من غير أب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ مما قال لهم ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ مؤد إلى الجنة ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾ أي النصارى في عيسى: أهو ابنٌ لله، أو هو إله معه أو ثالث

ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بما ذكر ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ حضور يوم هو يوم القيامة ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ ما أسمعهم وأبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر، معناه لكنهم ﴿الْيَوْمَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ بين. ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيئ على ترك الإحسان ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ به ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم بإهلاك أهلها ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ الناس كلا يرجعون إلى الله تبارك وتعالى، هذا الرجوع حتم، والرجوع نوعان: رجوع قهر ورجوع لطف. أبناء الدنيا يغفلون عن الله تبارك وتعالى ويقبلون على الدنيا، يأتيهم الموت فيرجعون إلى الله قهرا وهم كارهون لذلك. وأهل الله رفضوا الدنيا وأقبلوا على الله تبارك وتعالى يحبون لقاء الله في كل لحظة فيأتيهم الموت فيرجعون من الله إلى الله، وهم يحبون ذلك، هذا معنى (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)[1]، الذي لا يشتغل إلا بعمارة الدنيا وخراب الآخرة يكره أن ينتقل من العمارة إلى الخراب طبعا، والذي عمر آخرته أو خدم حضرة الله تبارك وتعالى حتى قرب منه كل وقت يتمنى لقاء الله ويحب لقاء الله فإذا جاءه الموت يكون انتقالا من دار إلى دار فقط، ولكن الرجوع إلى الله لابد منه، إما قهرا وإما لطفا، إما أن يأتيه العبد طائعا وهذا أفضل في الأحرار، أو يأتي في السلاسل

---

1 – عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (6508). وفي صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه(4848).

قهرا ورغما، فالأحسن أن نرجع إلى الله قبل الرجوع إليه، هذا معنى (موتوا قبل أن تموتوا)[1] الإنسان إذا مات قبل الموت لا يخاف الموت وإذا بقي ينتظر الموت ويخافه لابد يكره الموت وإذا جاءه الموت يرى شيئا يخافه. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ خبره ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغا في الصدق ﴿نَبِيئًا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ﴾ أمره الله تبارك وتعالى أن يذكر إبراهيم بعد ذكر مريم لأن كل الطوائف كانوا يرضون دين إبراهيم، اليهود يقولون إنهم على دين إبراهيم، والنصارى يقولون إنهم على دين إبراهيم، والعرب لا دين لهم ولكن يقولون إنهم من ذرية إبراهيم، كلهم يفتخر بإبراهيم، فعلى هذا ذكر إبراهيم مقبول عندهم. واذكر إبراهيم هذا «إذ قال لأبيه يا أبت» ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ إبراهيم الذي ترضون حالته جميعا هذا كلامه، ينهى عن عبادة غير الله تبارك وتعالى. إبراهيم هو قطب التوحيد لا يذكر إلا ودعا إلى التوحيد، فعلى هذا اتخذه الله خليلا ﴿يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ طريقا مستقيما ﴿يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ كثير العصيان ﴿يَا أَبَتِ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ناصرا أو قرينا ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ فتعيبها أنت لا تحب آلهتي؟ هو لا يحبها قطعا ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن التعرض لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ اذهب عني تسب آلهتي ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكَ﴾ لا

---

1 – (موتوا قبل أن تموتوا) أخرجه الإمام العجلوني في كشف الخفاء حرف الميم (2669). قال العجلوني قال الحافظ ابن حجر هو غير ثابت، وقال القاري هو من كلام الصوفية، والمعنى موتوا اختيارا بترك الشهوات قبل أن تموتوا اضطرارا بالموت الحقيقي.

أصيبك بمكروه، سلام أي متاركة اتركني وأتركك ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ وسوف أستغفر لك، هذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله، الاستغفار للكافر ما لم تعلم أنه مات كافرا ليس بحرام، أما إذا تبين أنه كافر فلا ينبغي الاستغفار له ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أعبد ربي ﴿عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ إبراهيم ابنين ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أعطاه الله ولدين يتأنس بهما إسحاق ويعقوب ولد إسحاق ﴿وَكُلاًّ﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ إسحاق نبي الله ويعقوب نبي الله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾ للثلاثة ﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾ المال والولد، رزقهم الله الغنى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء حسنا من جميع أهل الأديان ﴿عَلِيًّا﴾ يعلو ثناؤهم كل أهل الأديان يثنون على دينهم ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾ في عبادته ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا وَنَادَيْنَاهُ﴾ بقولي "يا موسى إني أنا الله" سيأتي في سورة طه ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم الجبل ﴿الْأَيْمَنِ﴾ الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ مناجيا بأن أسمعه الله تعالى كلامه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا﴾ نعمتنا ﴿أَخَاهُ هَارُونَ﴾ بطلب موسى ﴿نَبِيًّا﴾ صار هارون نبيا بطلب موسى له ذلك من الله تبارك وتعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ ولد إبراهيم ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ لم يعِد بشيء إلا وفى به، وانتظر مَن وعَدَه ثلاثة أيام أو حولا حتى رجع إليه في مكانه[1] ﴿وَكَانَ رَسُولاً﴾ إلى جرهم ﴿نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ

---

1 – ذكره ابن حجر في فتح الباري من رواية ابن أبي حاتم والثوري في كتاب الشهادات/ باب من أمر بإنجاز الوعد. وكذلك ورد ذكره في التفاسير: القرطبي ج115/11، ابن كثير ج125/3، الجلالين ج40/3.

وَالزَّكَاةِ﴾ هكذا أمر إسماعيل ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ كان إسماعيل مرضيا عند الله تبارك وتعالى. إسماعيل هو أبو العرب هو أول من تعرب من ذرية إبراهيم نشأ في جرهم وهم عرب فصار من العرب وتزوج من العرب وهو أبو العرب كان مرضيا عند الله تبارك وتعالى. يحكي واحد من الصالحين أنه بات عنده رجال ضيوف فلما نظر في أحوالهم تيقن أنهم من أولياء الله تبارك وتعالى، فلما أرادوا أن يسافروا قال لهم: أوصوني وصية تنفعني في الآخرة، أوصوه بستة أشياء، قالوا له: قلل من النوم، إذا أكثرت من النوم فلا تطمع في رقة القلب. قلل من الأكل فمن أكثر من الأكل فلا يطمع في قيام الليل. لا تصاحب ظالما فمن صحب ظالما فلا يطمع في سلامة الدين، لا تختلط مع أبناء الدنيا فمن اختلط مع أبناء الدنيا فلا يطمع في حلاوة العبادة، إياك والكذب والغيبة فمن أكثر من الكذب والغيبة فلا يطمع في الخروج من الدنيا مع الإيمان، ومن طلب رضى الناس فلا يطمع في رضى الله تبارك وتعالى[1]. من أحب رضى الله لا يطمع في رضى الناس ومن طلب رضى الناس لا يطمع في رضى الله تبارك وتعالى، لا يجتمعان ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ هو جد أبي نوح ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيئًا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيي ولم يخرج منها، هذا إدريس خرج من الفضاء كلا نحن في التراب الآن، والتراب حوله الماء والماء حوله فلك الفضاء وفلك الأثير النار وفلك المريخ وفلك القمر وفلك الشمس بعد ذلك واسطة بين هذه الأفلاك والأفلاك العلوية[2] والشمس أكبر

---

1 – الحكاية ذكرها في روح البيان ج5/341.

2 – انظر الكلام على هذه الأفلاك في روح البيان ج5/ 342.

من هذا العالم الذي نحن فيه هي جسم من النار المتقدة البالغة الغاية في الحرارة بحيث أنّها لا تطلع إلا إذا أُغرقت في بحر من الثلج وتكسى أكسية من الثلج، وهنالك خمسمائة ملك يغرفون من الثلج ويصبون على الشمس لتخف حرارتها علينا[1]. ومع هذا فهي كما ترون - وهذا كلا بدعوة إدريس - إدريس كان نائما في ظل، فانكشف الظل وبقي نائما في الشمس، والشمس أشد حرا في ذلك الوقت منها الآن، فلما استيقظ ورأى حر الشمس عليه طلب من الله تبارك وتعالى أن يقي حر الشمس الملائكة الذين يباشرون أعمالها فأغرقت في بحر الثلج وكسيت ألبسة من الثلج وصار لهم أعوان، فلما رأى الملك الموكل بالشمس هذه الراحة سأل الله تبارك وتعالى من أين له هذه الراحة؟ أعلمه أن عبدا من عباده الصالحين يسمى إدريس هو الذي طلب له هذا فاستأذن في زيارة إدريس. فأتى إلى إدريس زائرا فلما انصرف طلب منه إدريس أن يرافقه إلى محل طلوع الشمس فرافقه إلى محل طلوع الشمس، فطلب منه أن يذيقه الموت حتى يزداد في النشاط في العبادة، فاستأذن الملك خالقه فأوحى الله أن ملك الموت يذيقه الموت فأذاقه الموت ورد إليه حياته، فطلب أن يرى النار ليزداد خوفا من الله تبارك وتعالى فاستأذن الملك، فأذن له الله تبارك وتعالى أن يريه النار فأراه، بعد ذلك طلب أن يريه الجنة أيضا ليزداد نشاطا في الطاعة، فأري الجنة فدخل فجلس، فوقف الملك مليا وقال له اخرج معي نرجع فقال له أنا لا أخرج، أدخل الجنة وأخرج منها؟ لا يمكن هذا أبدا، فتخاصم معه الملك فأوحى الله إليه أن يتحاكما عند جبريل. فقال إدريس: الله تبارك وتعالى

---

1 - جاء في قصص الأنبياء قوله: (والذي نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لأحرقت كل شيء على وجه الأرض حتى الصخور والحجارة) قصص الأنبياء ص12.

يقول "كل نفس ذائقة الموت" وأنا ذقت الموت، وقال: "وإن منكم إلا واردها" وأنا وردت النار، ودخلت الجنة وقال "وما هم منها بمخرجين" لا أخرج أبدا بنص القرآن، فتركه هنالك فهو هناك إلى الآن[1]. وفي حديث الإسراء أن النبي صلى الله عليه وسلم لقيه في السماء الرابعة[2] وذلك لا يمنع من بقائه في الجنة، العارف إذا صار في عالم الأرواح لا يوافقه إلا أحواله هو أحوال نفسه. الأنبياء كلهم تركهم محمد صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس مجتمعين عند المسجد، فصلى بهم وتركهم هنالك وهو لا يأتي سماء إلا وجد فيها نبيا من الأنبياء، ولكن هذا بمناسبات أحواله صلى الله عليه وسلم كما بيناه في سورة الإسراء ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيئِينَ﴾ بيان له ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة. من ذرية آدم إدريس ليس من ذرية نوح «وممن حملنا مع نوح» إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى كلهم من ذرية إبراهيم ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ وهو يعقوب أي موسى وهارون وزكرياء ويحيى وعيسى هؤلاء كلهم من ذرية يعقوب – يعقوب هو إسرائيل – معنى إسرائيل عبد الله ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ من جملتهم ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ عادهم أهم إذا قرئ عليهم القرآن يخرون سجدا جمع ساجد وباك فكونوا مثلهم. ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ

---

[1] – راجع قصة إدريس عليه السلام مع الملك الموكل بفلك الشمس ورحلتهما إلى أن مكث إدريس في الجنة حيا في تفسير القرطبي ج118/11-119، وفي حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج41/3.

[2] – ذكر كون إدريس عليه السلام في السماء الرابعة في صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ ذكر الملائكة (3207)، وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات (234).

الصَّلاَةَ﴾ هؤلاء الصالحون الذين ذكرناهم خلف من بعدهم خلْف، الخَلَف الخليفة الصالح والخلْف بالسكون الخليفة الطالح، الخليفة إذا كان مفسدا فهو خلْف وإن كان صالحا فهو خلَف[1]. أما هؤلاء الصالحون الذين ذكرناهم ما خلف من بعدهم إلا خلْف شرار أضاعوا الصلاة بتركها تماما كاليهود والنصارى، أو لا أقل من تأخيرها عن أوقاتها ﴿وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ هو واد في جهنم يقعون فيه. ترك الصلاة أوعد الله عليه بواديين من النار واحد يقال له ويل وواحد يقال له غي، فقال "فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون" السهو عن الصلاة هو تركها تماما ليس السهو في الصلاة، السهو في الصلاة محمود لأنه من الوسوسة، ووسوسة الشيطان لا تقع إلا للمؤمن، وأما السهو عن الصلاة فهو تركها، حالة المنافقين، أهله يذهبون إلى "ويل" واد في جهنم، كهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات أيضا يسكنون "غيا" واديا كمثل ويل أيضا، الشهوة والهوى يشتركان في معنى ويختلفان، الإنسان ربما تكون شهوته موافقة للشريعة، هذه الشهوة غير مذمومة، وربما تكون مخالفة للشريعة كل شهوة تخالف الشريعة فهي هوى، وكل شهوة توافق الشريعة فهي شهوة غير مذمومة، إلا أن ترك الشهوات مما يعين على الطاعة والصلاح كما كان عمر يمتنع من أن يشرب الماء مع العسل يقول اعزلوا عني هذا العسل[2] أخشى أن يقال لي "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا" ولما صنع له لباب البر في صغار المعزى قال أخاف أن يقال لي "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا" كان عمر متقشفا، ولقي يوما معاوية ومعاوية

---

1 – قال ابن منظور في لسان العرب: يقال هو خلْف سوء من أبيه، وخَلَفُ صدق من أبيه بالتحريك إذا قام مقامه. (مادة خلف).

2 – حياة الصحابة ج368/2.

منهمك في شهواته المباحة له، يقول له عمر: إياك يا معاوية أن تأتي يوم القيامة فيقال لك "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا"، قال له: دعني من تشديداتك يا عمر أنا نفسي لا تطاوعني على حرام وأنا لا أمنعها من مباح، هذا مذهب معاوية، لا بأس إن كان لا تطاوعه على حرام ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ لا ينقصون من ثوابهم شيئا ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ غائبين عنها ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ﴾ موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾ أي آتيا الصيغة صيغة اسم مفعول والمعنى اسم فاعل «إنه كان وعده» موعوده مأتيا أي آتيا ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ من الكلام ﴿إِلاَّ﴾ لكن يسمعون ﴿سَلاَمًا﴾ من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة نَهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدا ليس فيها شمس ولا قمر ولا نجم، إنما استضاءت بشخص عمر، عمر سراج أهل الجنة في الجنة[1] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ تلك الجنة يعطيها الله تبارك وتعالى لمن كان تقيا من عباده بطاعته، سمى العطاء إرثا لأن الإرث أقوى أسباب الوجدان. الإنسان يجد الإرث قهرا من الله تبارك وتعالى، لا تجد شيئا يقدر أن يرد الإرث حتى أن الإنسان لو قال أنا أسقطت حقي من التركة لم يسقط عند بعض العلماء، وليس شيء ينقض الإرث إذا بعت شيئا أو اشتريت ربما وقعت إقالة، ربما وُهبت شيئا ورجع الواهب فيه، كل أنواع الوجدان ربما يكون فيها نقض إلا الإرث، فعلى هذا عبر بإعطاء الجنة لنا إرثا حتى نتحقق أن هذا

---

1 – عمر سراج أهل الجنة. أخرجه السيوطي في الجامع الصغير للبزار عن ابن عمر ولأبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة ولابن عساكر عن الصعب بن جثامة (5609). وفي مجمع الزوائد عن ابن عمر: كتاب علامات النبوة/ باب عمر سراج أهل الجنة (16441).

الإعطاء لا شيء يرده كالإرث ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتر الوحي وأتاه جبريل قال له: يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ مكث أياما ما أتاه قال له: والله أنا أشد اشتياقا إليك ولكن «وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ»[1] ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أمامنا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة، له علم ذلك جميعه، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ناسيا أي تاركا لك بتأخير الوحي عنك ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾ مالك السماوات ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ هل تعلم بأحد يسمى الله؟ لا. الكفار على جبروت الملوك ما تسمى أحد منهم باسم الله. قال فرعون "أنا ربكم الأعلى" ولكن لم يقل أنا الله، قيل: تسمى به جبار فصهر بطنه فسال ما فيه ومات في الحين، فعلى هذا لا تجد لله سميا، بخلاف غير هذا الإسم من الأسماء، الرحمن تسمى مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ﴾ هذه الآية نزلت في أبي بن خلف أو الوليد بن المغيرة[2]، أنكر البعث ذهب إلى المقبرة فنشر عظاما رميمة وأتى للنبي صلى الله عليه وسلم ففتها في وجهه وقال: من يحيي هذه العظام وهي

---

1 - عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت "وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا". صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب وما نتنزل إلا بأمر ربك (4731). قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: وروى عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق عكرمة قال: أبطأ جبريل في النزول أربعين يوما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا جبريل ما نزلت حتى اشتقت إليك، قال: أنا كنت أشوق إليك، ولكني مأمور، وأوحى الله إلى جبريل قل له : "وما نتنزل إلا بأمر ربك".

2 - ذكره جلال الدين المحلي عند تفسيره للآية "ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا".

رميم؟ أنت تقول إن هذه ستحيى؟ وكذب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يزل له مواقف ومقالات مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى طعنه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد طعنته المشهورة فصار يصرخ ويقول: النار النار النار «ويقول الإنسان» أُبي ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ سوف أبعث بعد الموت؟ لا، لا حياة بعد الموت، إن من قال هذا فقد كذب ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الْإِنسَانُ﴾ لا يتذكر أُبي ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ما تذكر أنه كان عدما، ووجوده من العدم أغرب من بعثه بعد موته ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ أقسم الجليل برب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ نجمع كلا منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿جُثِيًّا﴾ على الركب ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُتِيًّا﴾ جراءة على الله تبارك وتعالى ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا﴾ أحق بجهنم ﴿صِلِيًّا﴾ دخولا واحتراقا فنبدأ بهم ﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ وما منكم أحد ﴿إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ إلا داخل جهنم ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ هذا قضاه الله تبارك وتعالى وحتمه فلا يتركه. لما نزلت هذه الآية كثر البكاء في المدينة بكوا حتى بكى النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكى جبريل الذي جاء بالآية، قبل نزول الآية الآتية، والحكمة في ذلك أن المسلمين إذا دخلوا النار ولم تضرهم ودخلوا الجنة بعد ذلك، ذلك أشد عندهم تيقنا أنهم نجوا من النار، وأيضا الكفار أشد عليهم رؤية المسلمين لا تحرقهم النار ونجاتهم إلى الجنة يزدادون حسرة. وأيضا المسلمون يرون أعداءهم في النار يحترقون يمرون بهم ويذهبون إلى النعيم الخالد يشمتون بهم، هذا محل الشماتة، يشمتون بهم ويضحكون منهم "فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون" ذلك أحلى عندهم، الإنسان ينجو ويرى أعداءه في الهلاك، هذا أشهى إلى النفس، فلهذا لابد من المرور

بالنار حتى يشاهدوا ما عليه أعداؤهم وكيف يصيرون هم في النعيم المقيم، ولكن المسلمين كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدخلون النار إلا تحلة القسم،[1] إلا ما يحل هذا القسم قسم الجليل فقط، والمسلم عندما يجوز على النار تقول النار: جز جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي[2]، حتى أن المسلمين لو تأخروا في النار لطفئت النار بنورهم ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ بعد ذلك ينجي الله من كان من أهل التقوى - جعلنا الله وإياكم منهم - ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جُثِيًّا﴾ على الركب ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين والكافرين ﴿ءَايَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ منزلا، انظروا إلى أحوال المسلمين وأحوال الكفار، الكفار في مساكن حسنة والمسلمون مساكين ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أينا أحسن مجالس نحن أم أنتم؟ فنحن خير منكم، يرون أن رفعة المقام بالمال والجاه، وليس الأمر كذلك رفعة المقام بالإيمان بالله وطاعته وإخلاص العمل له، لأن الله تبارك وتعالى جعل دارين دارا لأوليائه ودارا لأعدائه، ويقول: لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء[3]. هم لهم الآخرة وهؤلاء لهم الدنيا، فلهذا يفتخر أبناء

---

1 - وهو القسم المتضمن في قوله تعالى: "وإن منكم إلا واردها" قاله القرطبي.

2 - تقول النار للمؤمن يوم القيامة :جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي. للطبراني في الكبير ولأبي نعيم في الحلية، كلاهما عن يعلى بن منبه. الجامع الصغير للسيوطي رقم (3354).

3 - عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فرأى شاة شائلة برجلها فقال (أترون هذه الشاة هينة على صاحبها)؟ قالوا :نعم قال: (والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء). الحاكم في مستدركه: كتاب الرقاق/ قال مر رسول الله بذي الحليفة (7919). قال هذا حديث

الدنيا بالدنيا على أهل الله «أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا» قال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كثيرا أهلكنا ﴿قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾ مالا ومتاعا ﴿وَرِئْيًا﴾ منظرا. كما أهلكنا أولئك الذين قبلكم نُهلك هؤلاء أيضا ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ من كان كافرا ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ فيمد ﴿لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ إن الله تبارك وتعالى ربما يستدرج أهل الضلالة فيعطيهم مرادهم ليظنوا أنه يريد بهم خيرا، وهو لا يريد بهم إلا هلاكا ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ كالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ المشتملة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أعوانا أهم أم المؤمنون، هم وجندهم الشيطان والمؤمنون وجندهم الملائكة ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي الطاعات تبقى لصاحبها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ ما يرد إليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في مقابلة قولهم «أي الفريقين خير مقاما» ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً﴾ سبب نزول هذه الآية أن خباب بن الأرت وكان من الصحابة وكان صائغا صاغ حليا للعاص بن وائل من كبار أهل مكة، فلما أتاه بحليه قال له إلى غد، فلما رجع صار يماطله وأبى أن يقضيه حقه، فأتاه يوما يتقاضاه قال له: لا أقضيك إلا بعد أن تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم قال: لا أكفر بمحمد حتى تموت وتبعث، قال: أنا إذا مت سوف أبعث؟ قال: نعم. قال: إذاً لا

صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفي سنن الترمذي من كتاب الزهد/ باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل (2242) ولابن ماجه: كتاب الزهد/ باب مثل الدنيا (4100) كلاهما عن سهل.

أقضيك إلا إذا متُّ وبعثت، إذا بعثت ووجدت مالا سأقضيك هنالك[1] - استهزاء به - نزلت فيه «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا» العاص بن وائل كفر بالقرآن ﴿وَقَالَ﴾ لخباب بن الأرت ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث ﴿مَالاً وَوَلَدًا﴾ نحن إذا ذهبنا إلى الآخرة نكون في الآخرة كما كنا في الدنيا، أنا سوف أكون أكثر منك مالا وولدا أيضا فأقضيك هنالك، قال تعالى ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أعلّمه الله تبارك وتعالى الغيب حتى يعلم أن له ما قال في الآخرة؟ ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أم عاهد الله أنه يعطيه في الآخرة ما ذكر؟ ﴿كَلاَّ﴾ لا يؤتى شيئا ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ نزيد بذلك عذابا فوق عذاب كفره ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ نعطيه المال والولد في الدنيا ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ لا مال له ولا ولد ﴿وَاتَّخَذُواْ﴾ كفار مكة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونهم ﴿لِيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا ﴿كَلاَّ﴾ لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ ينفونَها كما في الآية "ما كانوا إيانا يعبدون" ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أعوانا وأعداء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ سلطناهم ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾ تُهيجهم إلى المعاصي ﴿أَزًّا فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَدًّا﴾ إلى وقت عذابِهم،

---

1 - جاء في الصحيحين عن مسروق قال سمعت خبابا قال جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقا لي عنده فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث، قال وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالا وولدا فأقضيكه فنزلت هذه الآية "أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا" . صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب "أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا" (4732) وفي صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب سؤال اليهود النبي عن الروح يسألونك عن الروح.. (5003).

اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ جمع وافد بمعنى راكب ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ جمع وارد بمعنى ماش عطشان. الله تبارك وتعالى إذا فنيت أيام العمر من عبده استأذنه الملك الذي كان يكتب عمله، يقول: حان أجل صاحبي، ائذن لي أثن عليه خيرا قبل موته، فيأذن له فيأتي ويقول: جزاك الله عن نفسك خيرا أن كنت تخدم خالقك، ولا تَمنعنا معاصيك لا تشغلنا عن التسبيح والتحميد لله تبارك وتعالى، اخرج إلى خير يوم مر عليك قط، اخرج إلى الروح والريحان والرب عليك غير غضبان، فإذا قبض روحه ودخل قبره يجد شيئا جميلا طيب الرائحة يقول: ادن مني أنا أحبك، فيقول: اركبني أنا عملك الصالح فيركب[1] حتى إذا أتى يوم القيامة هكذا إذا أراد الذهاب إلى الجنة يقول الله

---

[1] – عن أبي هريرة قال: إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه، فينطلق به إلى ربه عز وجل ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل قال وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل، قال أبو هريرة: فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت عليه على أنفه هكذا. صحيح مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (5119).

وأخرج الحاكم في مستدركه حديثا مطولا فيه ذكر ما يكون عند موت المؤمن والفاجر من صعود روح المؤمن الطيبة وروح الفاجر الخبيثة وهبوطهما وفيه قوله بالنسبة للمؤمن: ويمثل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك وجه مبشر بالخير؟ قال فيقول: أنا عملك الصالح، وأما الفاجر ففيه أنه: يمثل له رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، قال فيقول: من أنت فوجهك الوجه يبشر بالشر قال: فيقول: أنا عملك الخبيث، إلى آخر الحديث وهو طويل. أخرجه الحاكم

تبارك وتعالى عبدي تعود الركوب لا يعلم المشي، هو قبل ولادته أركبته على ظهر أمه، وبعد ذلك أركبته على الدواب حتى لما مات أركبته على النعش على أعناق الرجال، ولما جاء لقبره ركب عمله الصالح فاليوم أختار له أي مركب يحب، منهم من يتمنى أن يركب الإبل تأتيه إبل كما يشتهي، منهم من يشتهي الخيل، منهم من يشتهي السفن، كلهم يأتيه ما يتمنى فيركب إلى الجنة[1]. وأما إذا كان عكس ذلك يأتيه صاحبه يقول له: لعنة الله عليك والملائكة والناس أجمعين إن كانت ذنوبك تحبسنا عن التسبيح والتقديس والخدمة لمولانا فاليوم اخرج إلى شر يوم مر عليك قط، اخرج إلى النار اخرج إلى سجين إلى الحميم إلى الغساق، فيقبض روحه فيجد شخصا منكرا قبيح الرائحة مخوفا جدا يقول له: لا أحب أن أراك انصرف عني، فيقول له سوف أكون عليك أنا عملك الذي كنت تباشر فيأتي يكون حملا ثقيلا على عنقه "ألا ساء ما يزرون". هؤلاء يأتون راكبين كما تمنوا، وهؤلاء يأتون وهم عطاش مشاة، على رؤوسهم الأحمال الثقيلة التي اكتسبوها في أعمارهم ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ولا يملكون الشفاعة إلا إذا

في مستدركه بعدة أسانيد ثم قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. المستدرك :كتاب الإيمان/ باب مجيئ ملك الموت عند قبض الروح وذكر ما يكون بعد ذلك في القبر للمؤمن والكافر (115).

1 – جاء في حاشية الصاوي عن ابن عباس: من كان يحب ركوب الخيل وفد الله تعالى على خيل لا تروث ولا تبول لحمها من الياقوت الأحمر ومن الزبرجد الأخضر ومن الدر الأبيض وسرجها السندس والإستبرق، ومن كان يحب ركوب النجائب فعلى نجائب لا تبعر ولا تبول أزمتها من الياقوت والزبرجد ومن يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد أمنوا الغرق وأمنوا الأهوال. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج3/ 47.

كانوا قالوا هذه الكلمة أشهد أن لا إله إلا الله أو لا حول ولا قوة إلا بالله[1] ﴿وَقَالُواْ﴾ اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ قال تعالى لهم ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ منكرا عظيما ﴿يَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالانشقاق ﴿مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ تنطبق عليهم من أجل ﴿أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ما يليق به ذلك ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزير ومنهم عيسى ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تبارك وتعالى. الإنسان إذا آمن بالله إيمانا صحيحا وعمل عملا صالحا يجعل الله محبته في قلوب جميع خلقه كما ورد: إذا أحب الله عبده نادى جبريل فيقول يا جبريل إني أحب عبدي فلانا فناد في الملائكة فينادي جبريل: إن الله أحب عبده فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء فينادي في الأرض إن الله أحب عبده فلانا فيوضع له القبول في الأرض لا يراه أحد إلا وأحبه، هذا هو الود[2]. كان الرسول

---

1 – جاء في الجامع لأحكام القرآن ج154/11: وقال مقاتل وابن عباس أيضا: لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله وتبرأ من الحول والقوة لله ولا يرجو إلا الله..

2 – جاء في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض. صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب المقة من الله تعالى (6040)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده (4772). وفي لفظ الترمذي: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلانا فأحبه قال: فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله "إن الذين

صلى الله عليه وسلم يقول: استكثروا من الأوداء استكثروا من الإخوان فإن الله كريم حيي يستحيي أن يعذب عبدا بين يدي أحبابه يوم القيامة[1] فمن كان مكثرا من الأحباء فإن الله يتجاوز عنه لأنه يستحيي أن يعذبه بين يدي أحبابه[2]. وكان عمر بن الخطاب يقول: محك الود ثلاثة أشياء: أن تبدأه بالسلام عند اللقاء، وأن توسع له في المجالس، وأن تناديه بأحب أسمائه إليه[3]. أول الود الموافقة ثم الميل ثم الود ثم المحبة ثم الوله. الموافقة بالطبع، والميل بالنفس، والود بالقلب، والمحبة بالفؤاد، والود فوق المحبة، والوله هو الهوى الهيمان في ذات المحبوب ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ﴾ تخوف ﴿بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ جمع ألدّ أي جدل بالباطل وهم كفار مكة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كثيرا أهلكنا ﴿قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ تجد ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ ماتوا كلا ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتا خفيا؟ لا. الجبابرة الذين كانوا طغوا في الأرض وفعلوا وفعلوا لا تحس لهم بشيء الآن ولا تسمع لهم صوتا خفيا، ماتوا وانقرضوا وصاروا عظاما رفاتا.

آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا" وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل إني أبغضت فلانا فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة مريم (3085).

1 – استكثروا من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة. أخرجه السيوطي في الجامع الصغير لابن النجار في تاريخه عن أنس الجامع الصغير (1001). كما أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال بنفس الإسناد :كتاب الصحبة/ الباب الأول في الترغيب فيها(24642) وله في الباب: (أكثروا من المعارف من المؤمنين فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة) لأبي نعيم في الحلية وللحاكم في تاريخه عن أنس(24643).

2 – روح البيان ج358/5.

3 – روح البيان ج359/5.

سورة طه

مكية مائة وخمس وثلاثون آية أو أربع أو اثنتان

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ طه﴾ الله أعلم بمراده بذلك فيه من الاختلاف ما في جميع ما تقدمه من الحروف وزاد، قيل إنه معناه يا طاهر يا هادي[1]، وقيل إنه اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم. النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي وأنا العاقب وأنا الحاشر وأنا طه وأنا يس، فهو اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم[2] ولا أدل عليه من خطابه «ما أنزلنا عليك القرآن» هذا أدل دليل على أن طه اسمه صلى الله عليه وسلم[3]. «طه» أي يا طه ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْقَى﴾ لتتعب. سبب نزول هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" قال إن الله تبارك وتعالى ما أمرني بتجارة

---

1 – في القرطبي: قيل الطاء من الطهارة والهاء من الهداية، كأنه يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام يا طاهرا من الذنوب يا هادي الخلق إلى علام الغيوب. ج11/ 166.

2 – إن لي عند ربي عز وجل عشرة أسماء: محمد وأحمد وأبو القاسم والفاتح والخاتم والماحي والعاقب والحاشر ويس وطه. كنز العمال: باب الإكمال من أسمائه صلى الله عليه وسلم (32169). لابن عدي في الكامل ولابن عساكر عن أبي الفضيل. وذكره القاضي عياض في الشفا:ج231/1.

3 – أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس في قوله عز وجل: "طه" قال: هو كقولك: يا محمد بلسان الحبش. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير/ باب تفسير سورة طه (3474).

ولا زراعة إنما أمرني بعبادة الله إلى الموت فقط[1]، كان يصلي تارة ثلث الليل وتارة نصفه وتارة ثلثي الليل وصلى الليل كله، صار يصلي حتى ورمت قدماه، فصار الكفار يقولون: أبغضه ربه كلفه بأنه يصلي دائما ولا ينقطع سيهلك الآن ونستريح من أمره فقال «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل، خفف عن نفسك ﴿إلاَّ﴾ لكن أنزلناه ﴿تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَّخْشَى﴾ لمن يخاف الله ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ هذا القرآن نزل من عند الله تبارك وتعالى خالق السماوات والأرض ﴿الرَّحْمَنُ﴾ هو الرحمن، هذا الخالق هو الرحمن. الرحمن مطلقا هو الله تبارك وتعالى ويسمى غيره الرحمن لكن بإضافة شيء، رحمان اليمامة مثلا ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ استواء يليق به تبارك وتعالى. العرش أكبر المخلوقات[2]. وفي لغة العرب العرش سرير الملك، والمخلوقات مندرجة تحت العرش، المخلوقات الجسمانية. والله تبارك وتعالى ذكر أنه استولى على هذا العرش وباستيلائه على العرش استولى على جميع خلقه إن كان أكبر المخلوقات المحيط بهم جميعا هو مستول عليه فهو مستول على ما اندرج تحته، «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» الرحمن صفة من صفاته تبارك وتعالى، أول صفة

---

1 – لأبي نعيم في الحلية عن أبي موسى الخولاني: ما أوحي إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحي إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين.. الجامع الكبير :ج696/1. وللحاكم في تاريخه عن أبي ذر: "ما أوحي إلي أن أكون تاجرا ولا أن أجمع المال ولكن أوحي إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين. كنز العمال: زهده صلى الله عليه وسلم (6374).

2 – قال القرطبي عند قوله تعالى: "عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" خص العرش لأنه أعظم المخلوقات. ج302/8.

تجلى بها هي الرحمة فبرحمته أوجد ما أوجد، رحمته سبقت غضبه[1]، "كتب على نفسه الرحمة" تجلى بالرحمانية، وأول تجل برز الحقيقة المحمدية، فمنها خرجت جميع الأشياء، والموجودات كلا من الحقيقة المحمدية. إذا الله تبارك وتعالى صفاته لا تنحصر، وأسماؤه كذلك، وذاته كذلك، ولكن جانب المخلوقات استوى فيه الرحمة أي تجلى بالرحمانية للعرش وما تحته، المخلوقات الذين يحتاجون لرحمته كلهم تحت العرش، فتجلى بالرحمانية على العرش وما تحته من المخلوقات هذا معنى «الرحمن على العرش استوى» الصفات كل صفة لابد أن تتجلى في شيء صفة الرحمانية ما تجلت إلا فينا نحن ومن انضم تحت العرش من المخلوقات ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ لله تبارك وتعالى ملكا وخلقا وعبيدا جميع ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، هو التراب الندي الذي تحت الأرضين. هذه الأرضون السبع وضعها الله تبارك وتعالى فوق النون حوت يلتقي ذنبه ورأسه عند العرش وهو حامل السماوات السبع والأرضين السبع فهي محمولة على هذا الحوت، وهذا الحوت يحمله ثور بين قرنيه فقط، وهذا الثور واقف على صخرة، تلك الصخرة التي ليست في السماء ولا في الأرض هي الصخرة التي في سورة لقمان "فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض" أو في السماوات أو في الأرض دليل على أن الصخرة ليست جزء من السماوات ولا جزء من الأرض. هي الصخرة التي تحمل الثور الذي يحمل النون

---

1 – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي. صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (7453). صحيح مسلم: كتاب التوبة /باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (4940). وقد تقدم في الدرسين 16 و20.

الذي يحمل الأرضين السبع والسماوات السبع، وتلك الصخرة خضراء، بخضرتها انصبغت هذه السماء التي تلي الدنيا، هذه السماء حمراء ولكن انصبغت بلون الصخرة التي تحت الأرضين، وتلك الصخرة تحت الثرى. إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يفني الوجود، فالنون فاتح فاه أبدا، وأكثر ما خلق الله البحار، فتسيل البحار في فم ذلك الحوت لحظة واحدة فلا تبقى قطرة من الماء في العالم. ما فوق السماوات وما في الأرض وما بينهما من المخلوقات وما تحت الثرى. ذلك كلا لله تبارك وتعالى. الثرى آخر المركبات من الموجودات تحت الأرض. الثرى يحمل الثور والثور يحمل الصخرة والصخرة تحمل الحوت والحوت يحمل السماوات السبع والأرضين السبع، أو يحمل البحار والبحار تحمل الأرضين[1] ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ بذكر أو دعاء فالله غني عن الجهر به ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ إذا جهرت بالذكر أو أسررت فعلى حد السواء، فالله يعلم السر وأخفى، وأخفى يقول المفسر[2] ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به، فعلى هذا فلا تجهد نفسك بالجهر. ذِكر الله تبارك وتعالى محمود على كل حال سواء ذكر سرا أو جهرا أو منفردا أو في جماعة. كان أبو بكر يصلي بالليل ويسر بقراءته حتى ما يسمع نفسه، وكان عمر

---

1 - قال القرطبي في الجامع عند تفسير قوله تعالى: "له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى" يريد ما تحت الصخرة التي لا يعلم ما تحتها إلا الله تعالى، وقال محمد بن كعب: يعني الأرض السابعة. ابن عباس: الأرض على نون والنون على البحر وإن طرفي النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي التي قال الله تعالى فيها: "فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض" والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى إلا الله تعالى. ج168/11.

2 - جلال الدين المحلي (ج49/3).

يصلي بالليل ويجهر حتى يسمع صوته من كل نواحي البلد فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر لم تسر هذا الإسرار؟ قال: أسمعت من ناجيت. وقال لعمر: ولِمَ تجهر؟ قال: أطردِ النعاس عن نفسي وأوقظ النائم وأطرد الشيطان فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: ارفع من صوتك قليلا، وقال لعمر: أخفض من صوتك قليلا[1]. فعلى هذا الذكر على حسب الحال، إذا اقتضى الحال من العبد أن يجهر بالذكر فليذكر جهرا، وإن اقتضى الحال أن يسر بالذكر فليذكر سرا، وإن اقتضى الحال منه ما هو أخفَى من ذلك فالله تبارك وتعالى يعلم السر وأخفَى ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ أتى بالشهادة، كلمة الشهادة لا إله إلا هو، والله قلت أول تجلياته الحقيقة المحمدية، والحقيقة المحمدية كساها ألبسة، كساها سرا وكساها روحا وعقلا وقلبا ونفسا. هذه الحضرات الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عن حضرات الله تبارك وتعالى، يقولون: الناسوت والملكوت والجبروت واللاهوت والهاهوت، والرسول السر والروح والعقل والقلب والنفس. مشرب الصالحين من نفس محمد صلى الله عليه وسلم، أعماله الصالحة التي كان يقوم بِها، وأخلاقه الطيبة، ومن يلونَهم مشربُهم قلبه، ومن يلونَهم مشربُهم عقله، والأقطاب والأنبياء والمرسلون مشربُهم روحه صلى الله عليه وسلم، سره خاص به، (لي وقت مع الله

---

[1] – عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: (مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك) فقال: إني أسمعت من ناجيت، قال: (ارفع قليلا) وقال لعمر: (مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك) قال: إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، قال: (اخفض قليلا). سنن الترمذي: كتاب الصلاة/ باب ما جاء في قراءة الليل (409) واللفظ له. وفي سنن أبي داود: كتاب الصلاة / باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (1133). كما أخرجه الحاكم في المستدرك: من كتاب صلاة التطوع/ تحريض قيام الليل (1202). وقد تقدم الحديث في الدرسين 20 و30.

لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل)[1]. كذلك كل عبد له نفس وله قلب وله عقل وله روح وله سر، والسر وأخفَى من السر هو الله. السر وأخفَى الله.

«اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» هذه كلمة الشهادة من نطق بِها خرج من الكفر إلى الإسلام والكلمة الطيبة "ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة" هي لا إله إلا الله. وكلمة الصدق "وكذب بالصدق" لا إله إلا الله، وكلمة التقوى وكلمة الإخلاص[2]، وورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (خير الذكر لا إله إلا الله وخير الدعاء الحمد لله)[3] وورد (أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله)[4] وورد أن من دخل سوقا وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتبت له ألف ألف حسنة ومحيت عنه ألف ألف سيئة

---

1 - أورده العجلوني في كشف الخفاء: (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) كشف الخفاء: حرف اللام (2159).

2 - قال الإمام الغزالي في الإحياء في فضيلة الهيللة: وقال صلى الله عليه وسلم (لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله) فقيل يا رسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله؟ قال: (من لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة). الإحياء ج1/395.

3 - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) . للحاكم في مستدركه: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر /باب أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله (1888). قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفي سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (3305).

4 - عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له. الموطأ: كتاب النداء للصلاة/ ما جاء فى الدعاء (449)

ورفعت له ألف ألف درجة[1]. وورد أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب علمني شيئا أذكرك به، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: أحب شيئا تخصني به. قال له: قل لا إله إلا الله. قال: كل الناس يقولون هذا. قال له: قل لا إله إلا الله يا موسى واعلم أن السماوات السبع والأرضين السبع والعرش والكرسي لو جعلت في كفة وجعلت كلمة لا إله إلا الله مرة واحدة في كفة أخرى مالت بهن لا إله إلا الله[2]. وورد من قالها مخلصا دخل الجنة[3]. وأكثر الله تبارك وتعالى من ذكره في كتابه تنبيها للناس على أن هذه الكلمة هي طريق شرفهم وطريق سعادتهم وطريق نيلهم للمراد فينبغي الإكثار من هذه الكلمة، فإن المخلوقات أقسام ثلاثة: ناقص لا يتم أبدا، وكامل لا ينتقص أبدا، وشيء تارة يكون كاملا وتارة يكون

---

1 - عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة). المستدرك: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر/ باب دعاء دخول السوق(2010) ورواه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات /باب ما يقول إذا دخل السوق (3350).

2 - أخرج السيوطي في الجامع الكبير ص539 (سأل موسى ربه تعالى حين أعطاه التوراة أن يعلمه دعوة يدعو بها فأمره أن يدعو بلا إله إلا الله فقال موسى يا رب كل عبادك يدعو بها وأنا أريد أن تخصني بدعوة أدعوك بها فقال تعالى: يا موسى لو أن السماوات وساكنها والأرض وساكنها والبحار وما فيها وضعوا في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لوزنت لا إله إلا الله) رواه ابن أبي يعلى عن أبي سعيد.

3 - في الجامع الصغير للسيوطي عن أبي سعيد: (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة) حديث صحيح (8896). وفي معجم الطبراني الكبير عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة) قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إخلاصه أن يحجزه عما حرم الله عليه). معجم الطبراني الكبير: باب الزاي/ زيد بن أرقم. ورواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي طلحة الأنصاري: كتاب التوبة والإنابة/ باب من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة (7713).

ناقصا، فالناقص الذي لا يكمل أبدا الجمادات والحيوانات، لا يتأتى أن يصدر كمال منها أبدا. والمخلوقات التي كملت ولا يصدر منها نقص أبدا الملائكة "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" "يسبحون الليل والنهار لا يفترون" والمخلوقات التي تارة تكمل وتارة تنقص هم بنو آدم. بنو آدم فيهم كمال وفيهم نقصان. ومن كان كاملا تارة ناقصا تارة فكماله ليس من ذاته لو كان من ذاته لبقي كاملا أبدا، إذاً المحل الذي يأتي منه الكمال ينبغي للمرء أن يكثر البقاء فيه لأن الإنسان يحب الكمال، لا يحب إلا الكمال والإكمال. كل إنسان لا يحب إلا شيئا كاملا أو شيئا يكمله هو، الكامل بذاته محبوب وكل ما يكملك أنت فمحبوب عندك. فما الذي يكملنا؟ هو ذكر الله تبارك وتعالى. كلما ذكرنا الله فنحن في حالة كمال وشرف وعز ورفعة، وكلما غفلنا عن ذكر الله بقينا في حيز النقصان. فعلى هذا نبهنا القرآن إلى ترديد ذكر الله في القرآن، يذكرنا أن الواجب علينا هو الإكثار من ذكر الله لأننا لا نكمل ولا نشرف إلا في حالة ذكر الله. والإنسان جبل على أن يكثر من ذكر ما يشرف به ويردده دائما. أقول تجد الإنسان دائما يفتخر بنسبه إذا ظن أن رفعته في نسبه ويكثر ذكر بلده يظن أن رفعته في بلده، تجد العربي يقول أنا عربي، وتجد الإفريقي يقول أنا إفريقي، والمكي يقول أنا مكي، والمصري يقول أنا مصري، والشامي يقول أنا شامي، يفتخر بهذا، يكثر من ذكر هذا لأنه يظن أن له فيه رفعة، والذي يكسبنا رفعة حقيقة هو أن نكثر من قول لا إله إلا الله، فلهذا تكرر في القرآن مرارا وليس له غرض هو تعالى عن ذلك علوا كبيرا، إنما يريد تنبيهنا نحن إلى ما فيه شرفنا وعزنا، قال "فاعلم أنه لا إله إلا الله" وقال "اذكروا الله ذكرا كثيرا" كل هذا لأن هذا هو الذي نكتسب به الكمال لا غير «لا إله إلا هو» ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى التسعة

والتسعون، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة[1]، تكلمنا عليها آنفا في آخر سورة الإسراء. إن لله أربعة آلاف اسم، ألف استأثر الله بعلمه، وألف عرفه الملائكة، وألف عرفه الأنبياء، وألف في كتبه: ثلاثمائة في التوراة وثلاثمائة في الإنجيل وثلاثمائة في الزبور وتسعة وتسعون في القرآن مائة إلا واحدا، والواحد المكتوم أيضا في القرآن، مائة في القرآن، هذه أربعة آلاف اسم لله تبارك وتعالى[2]، وكل أسمائه حسنى. جاء رجلان إلى صالح يطلبان النصيحة منه أحدهما جميل الصورة والآخر قبيح الصورة. خلا بالجميل وقال له: أنت جميل لا يحسن بك أن تفعل شيئا قبيحا، إياك أن تفعل شيئا قبيحا يدنس جمالك. وخلا بالقبيح، قال له أنت قبيح لا تفعل شيئا قبيحا يزيد في قبحك، إذاً من كان قبيحا لا ينبغي له أن يرتكب قبيحا، ومن كان جميلا لا ينبغي أن يرتكب قبيحا[3]. والله تبارك وتعالى جميل، وأسماؤه كلها حسنى، لا يحسن به أن يفعل بنا إلا شيئا حسنا. كان الرسول صلى الله عليه وسلم

---

1 – جاء في صحيح البخاري: عن أبي هريرة رواية قال: لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر. صحيح البخاري: كتاب الدعوات/باب لله مائة اسم غير واحد (6410). وفي إحدى روايتي مسلم: بلفظ (من أحصاها دخل الجنة). صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (4836).

2 – نقله ابن حجر في فتح الباري عن الفخر الرازي أن لله أربعة آلاف إسم استأثر بعلم ألف منها وأعلم الملائكة بالبقية والأنبياء بألفين منها وسائر الناس بألف. فتح الباري: شرح الحديث رقم (6410) من صحيح البخاري.

3 – الحكاية أوردها البروسوي في روح البيان ج368/5. وورد في بهجة المجالس ج2/ص29: قال الحسن البصري: ينبغي لحسن الوجه أن لا يشين وجهه بقبيح فعله وينبغي لقبيح الوجه أن لا يجمع بين قبيحين. تقدم ذكر هذه الحكاية في الدرس 20.

يقول: إذا بعثتم إلي رسولا فابعثوا إلي رسولا حسن الوجه حسن الاسم[1]، وقال: (اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه)[2] فإن حسن الوجه إذا قضى لك حاجة قضاها لك بوجه طلق، وإن ردك ردك بوجه طلق، أما القبيح إذا ردك مع قبح وجهه هذا يكون ثقيلا على النفس ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ امرأته ﴿امْكُثُواْ﴾ هنا، وذلك في مسيره من مديَن طالبا مصر ﴿إِنِّيَ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا لَّعَلِّيَ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ شعلة ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ هاديا يدلني على الطريق. كان موسى عليه الصلاة والسلام لما فر من مصر ولحق بمدين استأجره شعيب نبي الله على رعاية غنمه عشر سنوات ويكون ذلك مهره لبنته صفورياء التي زوجها إياه. فلما قضى موسى الأجل أراد أن يذهب إلى مصر لزيارة أقاربه، فسار مع زوجته وراعي غنم لهما، وكان موسى غيورا، إذا كان الليل يسير في الطريق مع القوافل، وإذا كان في النهار يذهب في الفلاة لئلا يرى الناس زوجته، فأخطأ الطريق فنفست زوجته، وهم في برد شديد وكان الثلج ينزل، فذهب موسى عن زوجته مطلبه نار فقط، يطلب شعلة ليوقد نارا يستدفئ بها هو وأهله، ذهب مطلبه أن يجد نارا ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ لما أتى شجرة عوسج تتقد نارا، ﴿نُودِيَ يَامُوسَى إِنِّي أَنَاْ رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ لما ذهب ومطلبه نار، الله

---

1 - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وضعفه بلفظ (إذا بعثتم إلي رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم). البزار وللطبراني في الأوسط عن أبي هريرة. حديث رقم 511.

2 - في الجامع الصغير (اطلبوا الخير عند حسان الوجوه). حديث حسن رقم 1107 وقد أخرجه العجلوني في كشف الخفاء بلفظ "اطلبوا حوائجكم" وزاد فيه فإن قضى حاجتك قضاها بوجه طليق وإن ردك ردك بوجه طليق فرب حسن الوجه دميمه عند طلب الحاجة ورب دميم الوجه حسنه عند طلب الحاجة (16810) وفي مصنف ابن أبي شيبة بلفظ: اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه (22018).

تبارك وتعالى يربي عباده بقدر حوائجهم وهممهم، لما كان مطلب موسى هو النار نظر إلى شجرة تتقد نارا وهي شجرة عوسج فظن أن هذه نار وهي مطلبه، وليست بنار إنما هي حضرة الله تبارك وتعالى، فلما دنا من الشجرة رآها شجرة خضراء أوراقها تزداد خضرة والنار تتقد تزداد ضياء، فلا النار تنقص من خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تنقص من اتقاد النار شيئا[1]. فبينما هو ينظر ويتعجب نودي إني أنا ربك، ليس بشجرة ولا نار إنما هو الله، أراد الله أن يتجلى له، ولو تجلى له في غير مطلبه لما قرب منه، ولكن لما كان مطلبه النار أراه نارا. فلما قرب ليأخذ النار نودي إني أنا ربك، وصل إلى الله تبارك وتعالى. الحوائج ربما تكون لا بأس بها، هذه حاجة موسى أوصلته إلى حضرة الله «فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس» ﴿طُوَى وَأَنَاْ اخْتَرْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ إليك مني ﴿إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ﴾ خاطبته الحضرة بهذا، أوحى إليه في ذلك الحين فصار نبيا مرسلا ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أخفي وقتها ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ من خير أو شر ﴿فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ لا يصرفنك عن الإيمان ﴿مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ فتهلك. فلما سمع إنني أنا الله فني موسى وفقد حسه حتى لم يبق شيء من موسى، تولى مولاه تربيته، لما أراد الحق أن يرجعه إلى نفسه خاطبه ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ سأله هذا السؤال: وما تلك؟ تفهم من السؤال أنه سؤال رجل مغمي عليه أو غائب عن حسه «وما تلك بيمينك» موسى نسي العصا ونسي أن العصا في يده اليمنى حتى قيل له بيمينك - نسي موسى - يا موسى «وما تلك بيمينك يا موسى» فانتبه تذكر

---

1 - نقله القرطبي عن ابن عباس ج172/11.

موسى، وتذكر يده اليمنى، ورأى عصا في يده ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ﴾ أعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ فتأكل ﴿وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ بسط الجواب تلذذا واختصره أيضا تأدبا ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى﴾ لما قال هي عصاي أمره الحق تبارك وتعالى بإلقائها، فلهذا المريد كل ما يضيفه إلى نفسه تخاطبه الحضرة أن «ألقها يا موسى» ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ وكل ما يضيفه المريد إلى نفسه فهو حية «فألقاها» فصارت حية ﴿قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ﴾ فأخذها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ وكان موسى جزعا مرتعدا ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ﴾ اليمنى ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾ ففعل ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أخرجها تبدلت اليد فصارت بيضاء كالشمس ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴾ هذه آية أخرى ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ العظمى على رسالتك. هي تسع آيات أكبرها هذه ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ أنت مرسل إلى فرعون ومن معه ﴿إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي﴾ لأبلّغها ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ وكان في موسى لكنة بسبب احتراقه بجمرة وضعها له فرعون وهو صغير، كان لما كان مسترضعا عند أمه يستدعيه فرعون ليتأنس به، وكلما جالس فرعون وهو صغير ينتف لحيته وإذا أخذ لحية فرعون وجذب يخرج منه صوت فيغضب فرعون، ويقول هذا هو الغلام الذي يكون بسببه زوال ملكي، تقول له آسية: لا، هذا غلام لا يعلم شيئا، لا يفرق بين الجمرة والدينار، فوضع له دينارا وجمرة فأخذ جمرة وجعلها في فيه فاحترق لسانه فصار ألكن[1]، فلهذا لما بعث نبيا طلب حل هذه العقدة من لسانه فحلها الله تبارك وتعالى ﴿يَفْقَهُواْ قَوْلِي﴾ هذا غرضه من زوال اللكنة ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي

---

1 – القرطبي ج192/11، وفي روح البيان ج378/5.

هَارُونَ أَخِي﴾ طلب النبوة أيضا لأخيه هارون. الإنسان له أعضاء كثيرة، ولكن الإنسان بلسانه فقط، لولا اللسان لا تجد فرقا بين الإنسان والبهيمة، لسان الفتى نصف ونصف فؤاده، كما قال الشاعر[1]. فاللسان شيء يكمل به الإنسان، وهو شيء يفسد به الإنسان أيضا، لأن الإنسان لولا اللسان ما كمل، وهذا اللسان له من القوة إذا صرفه في الصلاح وله من القوة إذا صرفه في الفساد ما لاحد له، تجد كل عضو من أعضاء الإنسان مقيدا في بعض الأوقات، وكل عضو يصلح لشيء واحد لا يتجاوزه، اليد لا يمكنها إلا البطش فقط في شيء موجود، والبصر شيء مبصور فقط، والأذن شيء مسموع فقط والمشي مقيد بأن تقوم وتشتغل بالمشي، في حالة القعود لا تقدر على المشي، في حالة الإضجاع كذلك، أما اللسان فهو مطلق في كل وقت من الأوقات، إذا مشيت فاللسان منطلق، وإذا قعدت فاللسان منطلق، وإذا اضجعت فاللسان منطلق، يتكلم في الموجود وفي المعدوم أي في الحق والكذب، يتكلم في الخالق والمخلوق لا يعجزه شيء، لا يعجز اللسان أن يتكلم في أي شيء حتى في الحق، سبوا الحق وسبوا الأنبياء هذا بالألسنة، هذه الآلة التي لها هذه القوة ينبغي للإنسان أن يكون على حذر منها. طلب النبوءة لأخيه، الأخوة على أقسام: أخوة أعداء كإخوة يوسف، عادوا يوسف وباعوه ورموه في الجب، وموسى أخوه هارون طلب له أعلى مقام وهو النبوءة ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ منًّا عليك ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾

---

1 – لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

البيت الستون من معلقة زهير بن أبي سلمى التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنـــة لم تكلـــم بحومـــانة الدراج فالمتثلـــم.

مناما لما ولدتك ﴿مَا يُوحَى﴾ في أمرك ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ سيلقيه بالساحل ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ هو فرعون ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ لتحبك الناس ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ تربى على رعايتي ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ مريم ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشرا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ درجة كبيرة هي الرسالة ﴿يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ بالرسالة ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ التسع ﴿وَلاَ تَنِيَا﴾ تفترا ﴿فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ بادعائه الربوبية ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾ لعله يؤثر فيه أو لأنه مربيه ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَّفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ يعجل بالعقوبة ﴿أَوْ أَنْ يَّطْغَى﴾ علينا يتكبر ﴿قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ لا تخافا إن الله تبارك وتعالى معكما، ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى الشام أو إلى فلسطين ﴿وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ بحجة ﴿مِن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ السلامة له ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ﴾ بما جئنا به ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض عنه ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَى﴾ اقتصر عليه ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ هداه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ أراد أن يشغله عن التوحيد الذي يشرحه لئلا يهتدي الناس بسماع هذا التوحيد فأراد أن يشغله بحديث القرون، فانصرف موسى إلى ما هو بصدده ﴿لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ فراشا ﴿وَسَلَكَ

لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾ طرقا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أزواجا مختلفة ﴿كُلُواْ﴾ منها ﴿وَارْعَوْاْ أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ صدق الله العظيم.

الدرس الثالث والثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـــم

يا همة الشيخ احضري	لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة	تأتي لنـــا بالظفـــر

﴿مِنْهَا﴾ من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ بخلق أبيكم آدم منها. ذكر تبارك وتعالى أنه خلقنا من الأرض من باب أنه خلق أبانا آدم من تراب كما ذكر، فإذا كان آدم من تراب وهو أصلنا فكلنا من تراب، ومن جهة أخرى إنا خُلقنا من نطفة، والنطفة من الغذاء، والغذاء من الحبوب، والحبوب من النباتات والنباتات من الأرض، إذاً فكلنا خلقنا من الأرض. وورد أيضا أن الملك الموكل بالرحم عندما تقع نطفة في يده يؤمر بأربع: بكتب رزقه، وأجله، وسعيد أم شقي، ومحل دفنه[1]، فيأخذ تربة

---

1 – جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه. صحيح البخاري: كتاب القدر/ باب في القدر (6595). صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله (4785). ولأحمد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل فرغ إلى كل عبد من خلقه من خمس من أجله وعمله ومضجعه وأثره ورزقه. مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث أبي الدرداء (20729). تقدم في الدرس 29.

من محل دفنه فيذْروها مع المني فيخلق منه جسد الإنسان[1]، ففي كل هذه الوجوه الإنسان خلق من الأرض ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت، كذلك الإنسان يموت والأرض كفاته، يقبر في الأرض، أعادَ يتعدى بإلى ولكن عبر بفي لأنه يعود في الأرض مستقرا فيها أبدا ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ خلقنا من الأرض ونعاد إلى الأرض، وهذا لا شك فيه لا يَمترى أحد في كونه يَموت ويدفن في الأرض «ومنها نخرجكم» هذا هو البعث الذي آمن به من آمن وكفر به البعض. في هذه الآيات ذكر فوائد الأرض. ذكر تبارك وتعالى أنه جعل الأرض مهادا أي فراشا لنا، وجعل لنا فيها سبلا إلى مقاصدنا، وأنزل المطر وأخرج أزواجا من نبات رزقا لنا ولأنعامنا، ومن الأرض خلقنا، وفي الأرض يعيدنا، ومن الأرض يخرجنا إلى يوم القيامة إما إلى الجنة وإما إلى النار. فالأرض متصفة ببعض صفات الله تبارك وتعالى، حليمة ساكنة راضية بِما يجري فوقها، فعلى الإنسان العاقل أن يتخلق بأخلاق الأرض حيث أنه منها خلق هي أصله والرجوع إلى الأصل هين «تارة أخرى» ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ فرعون أبصرناه ﴿ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني آيات موسى التسع، العصا واليد تقدم بعضها في سورة الأعراف، وواحدة في سورة يونس، والسنين والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس التي جاء ذكرها في سورة يونس. هذه آيات موسى التسع رآها فرعون كلها ﴿فَكَذَّبَ﴾ بِها كلها وزعم أَنَّها سحر ﴿وَأَبَى﴾ أن يقبلها أو أراه الله تبارك وتعالى جميع آيات الأنبياء، حيث أن

---

1 – ذكر القرطبي حديثين أخرجهما أبو نعيم أحدهما عن ابن مسعود في خلق النطفة وفيه (... ويأخذ التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته) قال: (فذلك قوله منها خلقناكم). وأما الحديث الثاني فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرته) القرطبي ج387/6.

موسى سرد له ما جرى من آيات الأنبياء قبله وما سيجري بعده، وما جرى على يديه فكذَبها كلها وأبى، أو أنه عندما أنكر آيات موسى فقد أنكر آيات جميع الأنبياء، فلهذا وصف فرعون هنا بأنه كذب بآيات الله كلها وأبى أن يقبلها. وفرعون اختلف فيه هل كان يعلم بوجود الله تبارك وتعالى أو لا يعلمه، الصحيح أن فرعون كان يعلم الله تبارك وتعالى بدليل أن موسى قال: "لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض" صرح موسى بأن فرعون يعلم خالقه. وهو بسؤاله لموسى "وما رب العالمين" وإجابة موسى له بقوله "رب المشارق ورب المغارب" "ربكم ورب آبائكم الأولين" رماه بالجنون "إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون" يسأل عن الماهية، هو سأل عن ذات الله، وموسى ما أجاب إلا بالصفات، الجواب ما طابق السؤال، رماه فرعون بالجنون، هذا دليل على أن فرعون كان يعلم الله ولكنه كفر عنادا فقط. ويروى أن موسى لما بعثه الله وأتى لفرعون وقال له إني رسول رب العالمين، قال له إذا آمنت بك ماذا يكون لي؟ قال: أضمن لك شبابا لا تَهرم أبدا، وملكا لا يزول أبدا إلا بالموت، وتبقى لك قوتك، ولا تجد شيئا يؤلمك، وإذا متَّ تكون في الجنة، فاستحسن هذا وقبِله، ولكن حتى يشاور هامان وزيره وكان غائبا، فلما جاء هامان شاوره قال له هذا الذي دعاني إليه موسى حسن وأنا أحب أن أقبله، قال له: كنت أظن أنك رجل عاقل أنت الآن إله، ربٌ، تؤمن بموسى وتصير مربوبا؟ هذا لا يقبله أحد، فامتنع فرعون وتبع هامان وبقي على كفره[1]. فهو كان حاذقا عاقلا، ولا يوجد عاقل يشك في وجود الله تبارك وتعالى، لهذه الدلائل: منها أن فرعون يرى هذه الموجودات ويعلم أن

---

1 – قصص الأنبياء ص105، وفي تفسير روح البيان ج389/5.

لابد لهذه الموجودات من موجِد، وأيضا فرعون كان يملك مصر فقط بحيث أن موسى لما هاجر من أرض مصر ونزل إلى مدين قال له شعيب "لا تخف نجوت من القوم الظالمين" يعني أن مُلك فرعون ما بلغ مدين ومدين في أرض الشام، إذاً هذه المملكة الصغيرة لا يَملك إلا هي، لا تحدثه نفسه أنه رب العالمين مع أنه لا يَملك من الأرض إلا هذا القدر. ففرعون كان عارفا بالله ولكنه كان متكبرا جبارا طاغيا فجحد مع علمه. ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ رمى موسى اتهمه بِهذه التهمة التي هي عادة أبناء الدنيا مع أهل الله يتهمونَهم بحب الرياسة وحب الملك والتغلب فقط ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ يعارضه، وهذا ليغضب قومه القبط إذا أراهم أن موسى إنما جاء ليعزلهم من ملكهم ويأخذ هو الملك كلهم يتعصب لفرعون، فهذا مقصده الأول. وثانيا رماه بالسحر لأن الناس إذا تيقنوا أن هذه معجزات من عند الله تبارك وتعالى يخافونَها، ولكن إذا قال لهم فرعون إنَّها سحر فقط يتجرأون عليه، فلهذا وصف ما أتى به موسى من المعجزات وهو يعلم أنَّها من عند الله بأنَّها سحر فقط، ليتجرأ الناس على معارضته «فلنأتينك بسحر مثله» ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ﴾ وكل أمر الموعد إلى موسى من شدة تعقله حتى يري قومه أنه لا يخاف، أنه مستعد لأي موعد سواء قريب أو بعيد، لو ضرب موعدا بنفسه فربما يشك أنه يخاف من شيء، ولكن جعل الاختيار لموسى ليري قومه أنه لا يخاف أيَّ موعد سواء قريب أم بعيد ﴿مَكَانًا سِوًى﴾ أي في مكان وسط تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَنْ يُّحْشَرَ النَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى﴾ وقته للنظر فيما يقع. الأعياد في الأمم كانت خمسة: عيد قوم إبراهيم الذي قطع فيه آلهتهم كما سيأتي

في ذكر الأنبياء، وعيد قوم موسى يوم الزينة ـ هذا اليوم ـ وعيد قوم عيسى يوم نزول المائدة، وكان لأهل المدينة عيدان في العام فأبدلهما الله لهم لما آمنوا بعيدي الفطر والأضحى[1]، فبقيت هذه الأعياد إلى يوم القيامة. فطلب موسى أن يكون الموعد يوم الزينة لأنه أدعى لاجتماع الناس فهو يحب أن يشاهدوا المعجزات جميعا ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ بهم للموعد ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى﴾ وهم السحرة اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا ﴿وَيْلَكُمْ﴾ ألزمكم الله الويل ﴿لاَ تَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ افْتَرَى﴾ كذبا على الله تبارك وتعالى ﴿فَتَنَازَعُواْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى﴾ الكلام بينهم فيهما ﴿قَالُواْ﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّ هَذَانِ﴾ موسى وهارون ﴿لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ يعزلاكم عن دولتكم ويذهبا بطريقتكم أي شرفكم ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾ من السحر ﴿ثُمَّ ائْتُواْ صَفًّا﴾ مصطفين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ من غلب، فاجتمع السحرة وخرج فرعون بجموعه ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى﴾ اختر ﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ﴾ عصاك أولا ﴿وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ إن شئت تقدم ألق عصاك وإن شئت نتقدم نلقي ما عندنا ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ﴾ أمرهم موسى أن يلقوا قبله، لأنه إن ألقى عصاه قبلهم، إذا خرج هذا الثعبان خافه الناس وتفرقوا جميعا قبل ظهور المعجزة فلا يظهر شيء، فلهذا أمرهم بالإلقاء، أمرهم بالإلقاء وهو سحر والأمر بالمعصية لا يجوز، ولكن وسيلة إلى ظهور الحق، وكل وسيلة إلى الحق فهي حق،

1- روح البيان ج399/5.

«ألقوا» فألقوا ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾ حيات ﴿تَسْعَى﴾ ألقوا فكل عصا من عصيهم صارت ثعبانا وكل حبل كذلك ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ أحس موسى بخوف لا من جهة أن سحرهم يغلب المعجزة ولكن مخافة أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به، أوجس في نفسه خيفة موسى، كيف يخاف موسى من غير الله وهو عارف بالله؟ لم يخف من السحرة ولا من فرعون إنّما خاف من التجلي القهري الذي ألفه يتجلى له به الحق دائما في فرعون، خاف من ذلك التجلي المألوف أن يكون تجلي اليوم كما قبله من التجليات وهي في مظهر فرعون قهرية دائما نحو موسى، أو أن البشرية تقتضي هذا الخوف[1]. الأنبياء والأولياء لابد أن تبقى فيهم بشرية، يخافون في بعض الأحيان كما يخاف الناس، ولكن يؤمنهم الحق تبارك وتعالى فيأمنون لا يخافون من شيء. ﴿قُلْنَا لاَ تَخَفْ﴾ هذا هو مطلب موسى، لما خاف جاءه الأمن من قِبل الله لما قال له «لا تخف» ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾ عليهم بالغلبة ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُواْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ من جنسه ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ بسحره، فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه، وجال الثعبان فصار يبتلع الحجارة والجبال، يسمعون أصوات الحجارة في جوف الثعبان فعمد إلى فرعون، فجزع فرعون وسقط من عرشه وفر إلى قصره، فتبعه الثعبان، فقال بحق من أرسلك يا موسى خذ هذا الثعبان، فأخذه فصار عصا في يده ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ خر السحرة جميعا ساجدين لله تبارك وتعالى ﴿قَالُواْ ءامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ آمنوا بالله لأنّهم بلغوا من علم السحر مبلغا

---

1 – انظر هذا القول في القرطبي ج202/11.

كل ما أعجزهم يعلمون أنه ليس من جنس السحر، فلهذا ينبغي لكل إنسان إذا طلب علما أن يبلغ غايته، فالسحرة بلغوا الغاية في السحر ولما رأوا المعجزة تيقنوا أنّها ليست من جنس السحر، لأنّهم لا يخفى عليهم من السحر شيء، فآمنوا بالله. لما قالوا آمنا برب هارون قال فرعون أنا، لأن هارون كان من عبيده، قالوا: «وموسى» رب موسى، علم أنّهم لا يعنونه لأنه ما ملك موسى قط ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ﴾ تؤمنون بموسى و لم تأخذوا مني الإذن ﴿إِنَّهُ﴾ موسى ﴿لَكَبِيرُكُمْ﴾ معلمكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ موسى ساحر وهو شيخكم في السحر علمكم بعضا وكتم عنكم بعضا ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ مختلفة، الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي عليها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ يعني نفسه ورب موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ستعلمون هل أنا أشد عذابا أم رب موسى - ما أشد طغيان فرعون هذا. السحرة كانوا ستمائة، رؤساؤهم اثنان وسبعون الذين ذكرنا، ولكن جماعة السحرة كلهم كانوا ستمائة، لما ظهرت المعجزة كلهم قالوا: "آمنا برب العالمين رب موسى وهارون" وخروا سجدا وفتح عليهم كلا فشاهدوا الحقيقة فلهذا ما خافوا من تهديد فرعون ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ قسم ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ اقض ما شئت ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ لأنك قضاؤك في الدنيا فقط، ونحن نجزى في الآخرة ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ أكرهتنا على تعلم السحر ومعارضة موسى نبي الله نرجو أننا بإيماننا يغفر الله لنا جميع ما مر علينا من الإشراك والكبائر والسحر ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك ثوابا إذا أطيع ﴿وَأَبْقَى﴾ منك عذابا إذا عُصي. هكذا صاروا من أهل الله

تبارك وتعالى «إنه من يأت ربه مجرما» قال تعالى ﴿إِنَّهُ﴾ الشأن ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ كافرا كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلاَ يَحْيَى﴾ حياة تنفعه ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ جمع علْيا مؤنث أعلى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة، بيان له ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى﴾ تطهر من الذنوب ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اسْرِ بِعِبَادِي﴾ بعد ذلك أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى، بعد عشرين سنة أو بعد أربعين سنة على الأصح[1] أوحى الله إلى موسى أن اسر بعبادي ليلا من أرض مصر ﴿فَاضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ﴾ بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يابسا، فامتثل ما أمر به وأيبس الله الأرض فمروا في البحر ﴿لاَ تَخَافُ دَرَكًا﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون ﴿وَلاَ تَخْشَى﴾ غرقا ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ لما أصبح الصبح خرج فرعون بجنوده يطلب موسى ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ﴾ البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ فأغرقهم، أبهمَه لعظمته وهوله ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَى﴾ دعاهم إلى الضلال وما دعاهم إلى الهداية ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ هما الترنجبين والطير السمانَى ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ المنعم به عليكم ﴿وَلاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ عندما تكفرون بنعمتي ينزل عليكم غضب الله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ

---

[1] – ورد القولان في جامع القرطبي قال: روى إسرائيل عن سماك عن نوف الشامي قال: مكث موسى صلى الله عليه وسلم في آل فرعون بعدما غلب السحرة أربعين عاما، وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن منجاب: عشرين سنة يريهم الآيات الجراد والقمل والضفادع والدم. القرطبي ج267/7.

﴿غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ سقط في النار ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وحد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ الفرض والنفل ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ باستمراره على ما ذكر. الله تبارك وتعالى وعد بالغفران لمن جمع هذه الأشياء: تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استمر على ذلك ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ لما طلب موسى أن يختاروا سبعين من خيارهم ليأتوا الميقات تقدم هو أمامهم، فلما وصل قبل كل أحد خاطبه تبارك وتعالى بقوله «وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ» لمجيئ ميعاد أخذ التوراة «يَا مُوسَى» ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَاءِ﴾ بالقرب مني يأتون ﴿عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ تعجلت إليك طلبا لمرضاتك ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ وقعت فتنة بعدك، بعد فراقك لهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العجل دون الله ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ رجع موسى في غاية الغضب ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ بأنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ مدة مفارقتي ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أم أردتم غضب الله تبارك وتعالى بعبادة العجل ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ وتركتم المجيئ بعدي ﴿قَالُواْ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ أي بقدرتنا أو أمرنا ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ أثقالا ﴿مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ حلي قوم فرعون، استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً﴾ من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحما ودما ﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾ صوت يسمع، انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثر الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فمه ﴿فَقَالُواْ﴾ أي السامري وأتباعه ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ نسي موسى ربه وذهب يطلبه. موسى

عليه الصلاة والسلام لما خرج إلى الميقات ترك أخاه هارون وقال: "يا هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين" فذهب موسى إلى الميقات ليأتِيهم بالتوراة، وكانوا قد استعاروا حليا من القبط قبل هلاكهم فلما هلك القبط حملوا الحلي معهم إلى بلاد الشام فبقي هذا المال في أيديهم، فلما ذهب موسى إلى الميقات وكان السامري ولد زنى، زنت أمه فحملت فلما وضعته خافت من أن تعير بولدها فذهبت إلى فلاة حتى رأت مغارة ألقته فيها، وذهبت ليهلك فقط، والله تبارك وتعالى رحيم بعباده مهما كانوا، أرسل الله جبريل يرضع هذا الغلام في المغارة فصار يرضعه جبريل[1] حتى كبر فسموه موسى أيضا، لما كبر صار كافرا، وقد علم من أسرار جبريل أنه يركب فرس الحياة. الحياة هذه التي خلقها الله لجميع الحيوانات على صورة فرس كما أن الموت على صورة كبش[2]، وجبريل عندما يسير في الأمور العظام يركب هذا الفرس فرس الحياة ولا يمسه شيء إلا وسرت فيه الحياة. فهم السامري هذا، فلما ركب جبريل الفرس وذهب بموسى إلى الميقات أخذ من أثر حافر هذا الفرس ترابا يعلم أنه لا يجعل في شيء إلا صار حيا، وأتى للجماعة وقال لهم: هذا المال الذي أخذتم من القبط وبقي عندكم اجمعوه أصنع لكم به ما هو خير لكم، فجمعوا المال فصاغ صورة عجل فجعل فيه التراب فصار عجلا جسدا له خوار - فقال هذا هو الله - فصاروا يعبدونه، والعبادة يرقصون

---

1 - ذكره الصاوي في حاشيته على الجلالين ج62/3.

2 - قال ابن حجر في فتح الباري تعليقا على الحديث رقم (6548) من صحيح البخاري كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار: وذكر مقاتل والكلبي في تفسيرهما في قوله تعالى "الذي خلق الموت والحياة" قال: خلق الموت في صورة كبش لا يمر على أحد إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس لا يمر على شيء إلا حيي.

حوله فقط ويصفقون[1] إنما جاءت الفتنة من قبل هذا المال، لو تركوا المال في مصر ما وقعت هذه القضية ولكن حملوه وهي فتنة. ولما فعلوا هذا رجع موسى غضبان أسفا شديد الغضب، الغضب لله من صفات أولياء الله تبارك وتعالى كما وصِف نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يغضب لنفسه ويغضب لله، وإذا غضب لله لا يقوم لغضبه شيء[2]، فلهذا تجد الغضب لله من صفات الكمل وغضبهم لا شك يوجب غضب الله كما أن رضاهم يوجب رضى الله، بل ربما يكون غضبهم عين غضب الله، ورضاهم عين رضاه، فعلى هذا إذا غضبوا على شيء لابد أن يهلكه الله تبارك وتعالى. موسى رجع غضبان أسفا ليس لنفسه بل لله فصار غضبه غضب الله فهلكوا. والسامري هذا الذي رباه جبريل جاء كافرا، موسى الذي رباه جبريل هو السامري جاء كافرا، وموسى نبي الله وكليمه الذي اصطفاه من رباه؟ رباه فرعون، فعلى هذا الله تبارك وتعالى يخص من شاء بما شاء

فموسى الذي رباه جبريل كافر ‏ ‏ ‏ ‏ وموسى الذي رباه فرعون مرسل[3]

يعطي ما شاء لمن شاء – نسأله من فضله العظيم. من شدة غفلتهم لم ينتبهوا إلى أن العجل لا يصلح أن يكون إلها ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ﴾ أنه لا ﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾ لو

---

1 – قاله القرطبي ج237/11.

2 – ذكر القاضي عياض في الشفا في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء. الشفا ج116/1. وفي دلائل النبوة لأبي نعيم من وصف هند بن هالة التميمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها وإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. ج238/3.

3 – أورده الصاوي في حاشيته ثاني بيتين لم يعزهما:

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل ‏ ‏ ‏ ‏ فقد خاب من ربى وخاب المؤمل

فموسى الذي رباه جبريل كافر ‏ ‏ ‏ ‏ وموسى الذي رباه فرعون مرسل

كلموه لا يقدر أن يرد لهم جوابا، كيف يكون إلها؟ ﴿وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ دفعه ﴿وَلاَ نَفْعًا﴾ لا ينفع ولا يضر كيف يتخذ إلها؟ ولكن غمرتْهم الغفلة حتى عبدوا العجل وهو لا يستحق العبادة ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ﴾ قبل أن يرجع موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ﴾ هذه فتنة فقط ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُواْ أَمْرِي﴾ فيها ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ﴾ لن نزال ﴿عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ نحن لا نترك عبادة العجل إلا إذا رجع موسى ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ﴾ بعبادته ﴿أَلاَّ تَتَّبِعَنِي﴾ صار موسى يغضب على هارون ويقول له: ما منعك من اتباعي لما عبدوا العجل؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى، ما لك لا تتبعني أي ألا تتبعني في الغضب لله تبارك وتعالى وقتالهم والخروج فورا على أثري؟ هذا هو كان مطلبه من أخيه. لما عبدوا غير الله كان من حقه أن يغضب كما غضب موسى، وأن يقاتلهم أو يخرج مهاجرا عنهم. ﴿قَالَ﴾ هارون ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ استعطفه بهذه الكلمة ﴿لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ وقد أخذ موسى بلحيته وشعر رأسه أخذ بشماله لحيته وبيمينه شعر رأسه غضبا عليه فصار يجره، قال «لا تأخذ بلحيتي» ﴿وَلاَ بِرَأْسِيَ إِنِّي خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كنت أخاف أني إذا خرجت على أثرك وتركتهم في هذه الحالة تغضب علي أيضا وتقول أنت الذي فرقت الجماعة ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ لم تنتظر ﴿قَوْلِي﴾ فيما رأيته تركه موسى قبل عذره، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿يَا سَامِرِيُّ﴾ خاطب السامريَّ عدو الله ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ﴾ علمت شيئا لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾ جبريل، علمت أن تراب أثر فرس جبريل يؤثر الحياة في كل شيء فأخذته

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في صورة العجل المصوغ ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لِي نَفْسِي﴾ نفسي دعتني لهذا فصنعته ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَاذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ مدة حياتك ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن رأيته ﴿لاَ مِسَاسَ﴾ لا تقربني. دعا عليه موسى فوقع فيه بلاء كل من مسه تأخذه حمى شديدة وتأخذ السامري مثله، فصار من مسه يمرض وهو يمرض، وصار كل الناس يفرون منه وهو يفر من كل الناس، والإنسان لا يعيش إلا بين الناس. المس واللمس في اللغة واحد إلا أن اللمس ربما يطلق على الطلب، على طلب اللمس[1] وإن لم تجد. والمس لا يكون إلا بالمس. لما كان الإنسان لا يعيش إلا بين الناس، ورماه الله بهذه المصيبة لا يقرب من أحد إلا ومرض، مرض الممسوس والماس كلاهما، فصار الناس يفرون منه وهو يفر منهم فبقي متوحشا في الفلاة فقط حتى هلك. ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَن تُخْلَفَهُ﴾ بعد ذلك لم ينته الأمر بموتك، ستبعث يوم القيامة والله يعذبك بالنار ﴿وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ انظر إلى الإله الذي صغت للناس قتله موسى وحرقه بالنار ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أرشدهم إلى التوحيد الحق هو أن الله تبارك وتعالى هو الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ﴾ أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآنا ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ هذا القرآن من لم يؤمن به يحمل حملا ثقيلا من الإثم يوم القيامة ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ في عذاب الوزر ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾

---

1 – في اللسان: اللمس باليد أن تطلب شيئا ههنا وههنا. (مادة لمس)

حمل ثقيل وبئس الحمل ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عيونُهم مع سواد وجوههم ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتسارون، يتكلمون سرا ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلاَّ عَشْرًا﴾ من الليالي ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك، ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ أعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾ نسوا جميعا ما مر عليهم من الدنيا حتى ظنوا أن الدنيا يوم واحد ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالريح ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطا ﴿صَفْصَفًا﴾ مستويا ﴿لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضا ﴿وَلاَ أَمْتًا﴾ ارتفاعا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم إذا نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ الناس بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِيَ﴾ إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لاَ عِوَجَ لَهُ﴾ لاتباعهم أي لا يقدرون أن لا يتبعوه ﴿وَخَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا﴾ صوت وطء الأقدام، لا تسمع تكلما ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ أحدا ﴿إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ بأن يقول لا إله إلا الله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ لا يعلمون ذلك ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ خضعت الوجوه ﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ الذي هو الله تبارك وتعالى ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ شركا ﴿وَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلاَ هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ عما يقول المشركون ﴿وَلاَ

تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ﴾ بقراءته ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ هذا نزل في حق النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الوحي، كان جبريل إذا نزل بالآية يباشر بجسمه جسم الرسول صلى الله عليه وسلم فيدخل القرآن في جسد النبي صلى الله عليه وسلم، فيتعجله الرسول يقرؤه عندما يدخل القرآن جسده يتعجل بقراءته، فأمر أن يصبر حتى يقرأ جبريل، فبعد قراءة جبريل يقرأ هو[1] هذا كمثل آية سورة القيامة "لا تحرك به لسانك لتعجل به" والحكمة في كون النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى القرآن بواسطة جبريل ظاهرا - هي التلقي - فإن التلقي مطلوب، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن من جبريل عليه الصلاة والسلام، وأخذ عنه الصحابة، وأخذ عنهم التابعون فبقي التلقي أمرا معمولا به في دين الله إلى يوم القيامة، فعلى هذا لابد من تلقي القرآن من شيخ ولا بد من تلقي العلم من شيخ، أما من تلقى العلم من الكتب فقط ولم يصاحب الشيوخ فقلّ أن ينجح لأنه فاته سر التلقي «ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه» ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ بالقرآن كلما نزل شيء منه زاد به علمه. إن الله تبارك وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالقراءة، أول ما أمره اقرأ، وأمره بطلب الزيادة من العلم. وما أمره بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم. وذلك لأن العلم هو الكفيل بسعادة الدنيا والآخرة. سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال: (العلم بالله واليقين، قيل: عن الأعمال نسأل، فقال: العلم بالله واليقين، قالوا: نسأل عن الأعمال وتجيب عن العلم؟ قال: إن قليل العمل مع العلم ينفع وكثير العمل مع الجهل لا ينفع)[2] الله

---

1 - حاشية الصاوي ج66/3.

2 - أخرج السيوطي في الجامع الصغير (أفضل الأعمال العلم بالله، إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره، وإن الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره). للحكيم عن أنس، الجامع الصغير (1240).

يقول "فاعلم أنه لا إله إلا الله" فلهذا قدم البخاري باب العلم قبل العمل[1]. والعلم حيث ذكر فالمراد به العلم النافع، العلم بالله وما يقرب إليه زلفى. طلب الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر ربه الزيادة في العلم "زدني علما" لأن العلم بحر لا ساحل له، لاسيما العلم بالله، كما أن ذاته ليس لها غاية ولا نهاية فصفاته كذلك وأسماؤه كذلك والعلم كذلك لا ينتهي أبدا ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ﴾ وصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل أكله منها ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك عهدنا ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ما وجدنا لآدم عزما وصبرا عما نهيناه عنه. النسيان نسيانان نسيان تعمد، ترك الشيء تعمدا فهذا مذموم، ونسيان خطإ هذا ليس بمذموم، فلهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[2] هذا النسيان الذي ليس فيه تعمد، أما النسيان الذي فيه تعمد فهو المذموم. فقد عاتب

وأخرجه في كنز العمال المتقي الهندي: كتاب العلم/ الباب الأول في الترغيب فيه. الديلمي عن مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن عبادة بن الصامت عن أنس (28940).

وفي تخريج أحاديث الإحياء قال الحافظ العراقي: الحديث: (قيل له يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فقال العلم بالله عز وجل، فقيل أي العلم تريد؟ قال صلى الله عليه وسلم : العلم بالله سبحانه، فقيل له: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم، فقال صلى الله عليه وسلم : إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله، وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله) أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف. الإحياء: المجلد الأول: كتاب العلم /الباب الأول.

1 – وهو أول أبواب صحيح البخاري: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى "فاعلم أنه لا إله إلا الله".

2 – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. الحاكم في المستدرك: كتاب الطلاق/ باب ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة (3851) ولابن ماجه في سننه عن أبي ذر الغفاري : كتاب الطلاق/ باب طلاق المكره والناسي (2033).

أبانا آدم ووصفه بالنسيان وكأنه نسيان متعمد حيث قال "ولم نجد له عزما" ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُواْ﴾ اذكر أيضا من قصة آدم، لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم خليفة الله فسجدوا ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أَبى﴾ عن السجود لآدم "قال أنا خير منه" ﴿فَقُلْنَا يَاءادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء ﴿فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ إياكم أن يخرجكم هذا العدو من الجنة بكيده ووسوسته، فإذا وقع ذلك ستجد تعبا كثيرا يا آدم بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك، واقتصر على شقاه لأن الرجل يسعى على زوجته ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى﴾ لك في الجنة أن لا تجوع أبدا ولا تعرى أبدا، ﴿وَإِنَّكَ لاَ تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾ لا ترى ظمأ ولا حر الشمس. بنو آدم يجعلون المقارنة بين الجوع والعطش، والقرآن جعل المقارنة بين الجوع والعري، وجعل المقارنة بين الظمإ وحر الشمس، والحكمة في ذلك أن الجوع ذل في باطن الشخص والعري ذل في ظاهر الشخص فتناسب الذلان. والظمأ حر في باطن الشخص، والضحو حر في ظاهر الشخص فتناسبا. آدم لا يرى في الجنة ذلا ظاهرا ولا باطنا، ولا حرا ظاهرا ولا باطنا. لأن الجنة ليس فيها شمس ولا حر، ظل ممدود ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاءادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ الشجرة التي يخلد من يأكل منها في الجنة ﴿وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾ لا يفنى ﴿فَأَكَلاَ﴾ آدم وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءاتُهُمَا﴾ ظهر لكل منهما قبُله وقبُل الآخر ودبره ودبر الآخر، انكشفا، طار عنهما ملابسهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ذهب اللباس فصارا يأخذان من ورق الشجرة ما يستتران به ﴿وَعَصَى ءادَمُ رَبَّهُ﴾ خالف ما أمر به من عدم أكل الشجرة ﴿فَغَوَى﴾ ضل عن مطلبه، غوى أي ضل

عن مطلبه، ما هو مطلبه؟ الخلود في الجنة، أكل الشجرة ليخلد في الجنة فخرج منها، عصى إذا خالف الأمر أصله من امتنع بعصاه، الإنسان إذا أراد أن يمتنع عن شيء يأخذ عصاه ويمتنع بِها، فأطلق على المعصية. وآدم وصفه القرآن بأنه خالف ما أمر به وضل عن مطلبه ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ فاجتباه الله وقربه إليه وقبل توبته وهداه إلى المداومة على التوبة. الاجتبائية سبقت العصيان فلم تضر المعصية، من سبقت له العناية لم تضره الجناية، بل هذه الاجتبائية ساقت آدم إلى التوبة فتاب وقبلت توبته وهداه الله بعدما مكث ثلاثمائة سنة يبكي ليلا ونَهارا لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تبارك وتعالى[1]، حتى روي أن دموع بني آدم لو جمعت لا تبلغ دموع داود عليه الصلاة والسلام، ودموع داود ودموع بني آدم كلا لو جمعت لا تبلغ دموع نوح عليه الصلاة والسلام، ودموع نوح وداود وبني آدم كلا لو جمعت لا تبلغ دموع آدم عليه الصلاة والسلام في عصيانه هذا[2]. ألهمه الله كلمات دعا بِها فاستجيب دعاؤه وقبلت توبته، وهذه الكلمات قيل: "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين"، رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، والصحيح ما قال عمر: إن آدم قال: يا رب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم أن تغفر لي، قيل له فكيف علمت بمحمد وما خلقته بعد؟ فقال: لما خلقتني بيدك وأدخلتني تحت العرش نظرت فإذا كل محل مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لا تقرّن باسمك إلا اسم أحب العباد إليك، قال: صدقت يا آدم هو أحب الخلق إلي، ولولا محمد ما خلقتك وقد غفرت

---

1 – حاشية الصاوي على الجلالين ج24/1.

2 – روح البيان ج338/1.

لك[1] بذكرك لمحمد صلى الله عليه وسلم. ﴿قَالَ اهْبِطَا﴾ آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ بعض الذرية عدو لبعض من ظلم بعضهم بعضا ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ كتاب أو نبي ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ كتابي ﴿فَلاَ يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلاَ يَشْقَى﴾ في الآخرة. يروى أن آدم لقي موسى عليه الصلاة والسلام قال له: يا آدم أنت الذي ضررت بنا أخرجتنا من الجنة بأكل الشجرة التي نَهاك الله عن أكلها، لولاك ما خرجنا من الجنة ولا شقينا ولا تعبنا كل هذا منك، أنت الذي فعلت بنا هذا. قال: يا موسى أنت موسى بن عمران الذي أنزل عليه التوراة؟ قال: نعم، قال: متى قضى الله علي أني آكل هذه الشجرة؟ قال: قبل أن تخلق بخمسين ألف سنة. قال: أنت موسى بن عمران تعاتبني على شيء كتبه الله علي قبل أن يخلقني بخمسين ألف سنة؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (فحج آدم موسى فحج آدم موسى)[2] غلبه في

---

[1] – أخرج الحاكم في مستدركه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدا و لم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك). قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد. المستدرك: من كتاب آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في دلائل النبوة/ باب استغفار آدم عليه السلام بحق محمد صلى الله عليه وسلم (4278).

[2] – جاء في الصحيحين عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى مرتين. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب وفاة موسى وذكره بعد (3409). صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب حجاج آدم موسى (4796).

الحجة. والإنسان إذا خالف أمر الله تبارك وتعالى يعلم أنه من قدر الله، ولكن لا يكفي هذا لا يرفع هذا عنه اللوم - لا يكون إلا ما أراد الله - ولكن مع هذا نحن ليس لنا حجة في هذا، لابد من امتثال الأمر واجتناب النهي. والدعاة إلى الله يجدون أمرين صادرين من الله تبارك وتعالى أمر إرادي هو شيء أراده الله، وأمر شرعي، الهداة دائما يحملون الناس على الأمر الشرعي وهو امتثال الأمر واجتناب النهي، ولو أمروا الناس بالأمر الإرادي لما نهوا عن شيء لأنه هو الذي أراد الله، ولكنهم أرسِلوا للهداية يأمرون الناس بالأمر الشرعي ولا يتركوهم مع الأمر الإرادي على أنه لا يكون إلا ما أراد الله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ الذي هو القرآن فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ من أدبر عن القرآن وكفر بالله يصير في عيش ضنك ﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ المعرِض عن القرآن ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ أعمى البصر. ذكر القرآن أن من كفر بالقرآن يقيض الله له معيشة ضنكا والمشاهد عيانا كأنه يخالف هذا، الكافرون كأنَّهم في جنة، وأهل الله كأنَّهم في عيش ضنك كيف يصح هذا؟ يصح لأن من آمن بالله تبارك وتعالى وأيقن بأنه هو الرازق وهو القاسم رضي بما قسم له وقنع بما عنده، والقناعة كنز لا ينفد[1]، يكون مستريح القلب دائما – ولو قل ما عنده – فهو في راحة، في عيش طيب؛ ومن كفر بالله إذا جمع له مال قارون لا يرى إلا في ضنك، لا يزيده ذلك إلا ضنكا، دائما هموم وغموم وأحزان وحسرات وحرص دائما، تستعبده الدنيا، تستولي على سمعه وبصره ويده

---

[1] – عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالقناعة فإن القناعة مال لا ينفد). رواه الطبراني في الأوسط، وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي وهو متروك. مجمع الزوائد للهيثمي: كتاب الزهد/ باب القناعة (96871). وهو الحديث (6193) من الجامع الصغير بلفظ: (القناعة مال لا ينفد) للقضاعي عن أنس.

ورجله وقلبه حتى لا يجد فراغا في لحظة واحدة وهو مع ذلك ليس بمستريح القلب، ليس في عيش طيب، إنما هم في معيشة ضنك وهذا مشاهد، ويوم القيامة يأتون عميا ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا وعند البعث ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ تركتها ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿الْيَوْمَ تُنسَى﴾ تترك في النار ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي مثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ من أشرك بالله ﴿وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَى﴾ أدوم ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين ﴿لَهُمْ﴾ أي لكفار مكة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كثيرا إهلاكنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية بتكذيب الرسل ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ رأوا آثار الهالكين في أسفارهم إلى الشام فهلا اعتبروا بذلك؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعبرا ﴿لِأُوْلِي النُّهَى﴾ لذوي العقول ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة له ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزَامًا﴾ لهم لازما لهم. لولا أن الله قضى في سابق أزله أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تؤخر إلى يوم القيامة ولن تهلك بعذاب، لولا ذلك لأهلكوا في الحين ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ولكن سيهلكون، لازم، ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ هذا منسوخ بآيات القتال ﴿وَسَبِّحْ﴾ صلّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ متلبسا به ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَاءِ الَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ صلّ أيضا المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ صل الظهر بعد زوال الشمس هذه الصلوات الخمس أيضا ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ إذا دمت على هذه الصلوات سترضى بما تعطى من الثواب غدا يوم القيامة ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافا ﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ بأن يطغوا ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة

﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوا في الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾ أدوم ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ مرهم أن يقيموا الصلاة ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ اصبر أنت ﴿عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ﴾ نكلفك ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى وَقَالُواْ﴾ المشركون ﴿لَوْلاَ يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ مما يقترحونه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ بيان ما في الصحف الأولى المشتمل عليها القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ قبل محمد الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لَقَالُواْ﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ قبل ذلنا ﴿وَنَخْزَى﴾ وقبل خزينا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ في القيامة ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ﴾ الطريق ﴿السَّوِيِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ من الضلالة هل نحن أم أنتم. بعث الله الأنبياء أو الرسل قطعا لحجة الكفار، لأنه لو لم يبعث الرسل لقالوا إن الله لو أرسل إليهم رسولا لآمنوا. فالله تبارك وتعالى أرسل الرسل في كل قرن من عصر آدم إلى عصر محمد صلى الله عليه وسلم. والله تبارك وتعالى خلق الإنسان وأعطاه من القوة والعقل ما يدرك به وما يعمل وما يكسب به الخير أو الشر، فكل عاقل يدرك وجود الله تبارك وتعالى، حتى أنه لو لم يبعث أي رسول لكان العاقل يعلم بعقله بقوة عقل الإنسان أن هذه الموجودات لابد لها من خالق، كل حدث لابد له من محدِث، حتى الحمار الذي يضرب المثلُ على حماقته إذا أتيته من ورائه وضربته يفر من الجانب الذي جاء منه الضرب، يعلم أن هناك ضاربا، إذا هذه المخلوقات السماوات السبع والأرضون السبع وما بينهما من المخلوقات، شيء فعل ولابد له من فاعل، كل عقل يدرك هذا حتى لو لم يأتِ الأنبياء، ولكن لو لم يأت الأنبياء لا نعرف ما أمر الله به وما

نَهى عنه وما يكون جزاء في الجنة، جزاء الإنسان إذا آمن الجنة وإذا كفر النار، لولا الأنبياء ما عرفنا هذا، العقل لا يهتدي إليه، فلما أرسل الرسل وبين ما أمر به وما نَهى عنه وما يجازي كلا من ممتثل الأمر والمنتهك ذكر الثواب والعقاب والجنة والنار، الآن قطع حجة الكافر ليس عنده أي حجة. يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ثلاثة أنفار يحتجون على الله يوم القيامة واحد مات في الفترة قبل مجيئ الرسول يقول أنا ما أدركت زمن الرسول حتى أومن، وواحد مات صبيا قبل إدراكه، وواحد كان مجنونا، الأول يقول: أنا ما أدركت رسولا، والثاني يقول: أنا مت صبيا لا أعقل شيئا، والثالث يقول: أنا كنت مجنونا ليس عندي عقل. فيضرم نارا بين أيديهم ويقول ادخلوا النار، من أراد به السعادة يمتثل الأمر، فتصير بردا وسلاما عليه، ومن أراد شقاوته ينكل عن النار ويفر عنها قال: إذاً إذا كنت تخالف أمري بين يدي فكيف تمتثل أمر الرسول؟ فيأخذ الممتثلين إلى الجنة والفارين يأخذهم إلى النار[1]. هذه السورة ليس في القرآن سورة يقرؤها أهل الجنة إلا هذه: سورة طه.

---

1 – أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي سعيد يعني الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم – أحسبه – قال: (يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أي رب، لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا، ويقول المولود: لم أدرك العمل. فيرفع لهم نارا فيقال لهم: ردوها– أو قال ادخلوها– فيدخلها من كان في علم الله سعيدا أن لو أدرك العمل قال: ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا أن لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالى: إياي عصيتم، فكيف برسلي بالغيب؟). رواه البزار، مجمع الزوائد للهيثمي: كتاب القدر/ باب في من لم تبلغه الدعوة ممن مات في فترة وغير ذلك (83911).

سورة الأنبياء

مكية وهي مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث ﴿حِسَابُهُمْ﴾ الذي هو يوم القيامة، دنا يوم القيامة، كان جماعة من الصحابة يبنون فلما نزلت هذه الآية تركوا بناءهم انتظارا ليوم الحساب[1]، ذكر في هذه الآية أن يوم القيامة قد قرب، وهو يوم الحساب، سمي يوم الحساب كتسمية اليوم بما يجري فيه، لأنه يجري فيه الحساب، وقربه من باب أن كل يوم يزيده قربا، فهو أقرب اليوم من أمس، وفي كل نفَس يكون أقرب من النفس الذي مضى. الإنسان كأنه مجموع أيام كل يوم ينتقص يوم، هذا إلى الفناء أقرب، ومجموع أنفاسٍ كل نفَس خرج فهو جزء منك لا يعود أبدا، فهذا لا شك يؤول إلى الفناء، والليل والنهار كأنّهم معاول تستعمل لهدم حياتك فقط، فيوم القيامة حيث أنه آت لا ريب فيه أقرب من أمس هذا الذي مضى ولا يعود أبدا، وقرب الساعة لأن هذه الأمة هي آخر الأمم وهذا الرسول هو آخر الأنبياء (بعثت أنا والساعة كهاتين)[2] حيث أنه لا نبي بعده ولا أمة بعد أمته علمنا بقرب زوال الأمر ولكن "لا يجليها لوقتها إلا هو". الساعة تبقى في حيز الكتمان ليست من علم المخلوقات لا يعلمها إلا الله تبارك

---

1 – انظره في تفسير القرطبي ج266/11.

2 – عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين). صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين (6504) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب قرب الساعة (5245). وقد تقدم في الدرسين 20 و29.

وتعالى، هي الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، كل غيب ربما اطلع عليه بعض عباد الله تبارك وتعالى إلا يوم القيامة، اليوم الذي تقع فيه النفخة فيفنى الناس جميعا هو النفخة الثانية يبعثون جميعا ويأتون يوم القيامة، هذا لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن أخبركم بأماراتِها إذا ولدت الأمة ربتها وإذا كان الرعاة يتطاولون في البنيان وإذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله)[1] الرعاة في زمنه أهل نجد هم أفقر الناس في ذلك الزمان لا يشتغلون إلا بالرعي للناس، والآن هم الذين يتطاولون في البنيان كما رأيت في الحجاز. هذا ظهر، وأن تلد الأمة ربتها هذا وقع بالفتوحات لما كثر الجهاد وأخذوا السراري وتسروا بِهن ولدن سادتَهن والعلامات الكبرى التي إذا ظهرت آذنت بتغير العالم هي: المهدي، ونزول عيسى بن مريم، وخروج الدجال، ويأجوج

---

1 – طرف من حديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر، قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك، قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رءوس الناس فذاك من أشراطها وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا صلى الله عليه وسلم "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير" قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ردوا علي الرجل فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم. صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (10). صحيح البخاري: كتاب التفسير/باب قوله إن الله عنده علم الساعة(4777).

ومأجوج، وشروق الشمس من مغربها[1] ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ معرضون عن التأهب له بالإيمان ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ نزوله شيئا فشيئا أي لفظ القرآن ﴿إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون، كلما حدث نزول آية استهزأوا بها ولعبوا وأعرضوا عنها ﴿لاَهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه، لا يتفكرون في معاني القرآن ﴿وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى﴾ الكلام ﴿الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بدل من الفاعل ﴿هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ محمد إنسان فقط كيف يكون رسولا وهو إنسان؟ ما أشد حماقتهم ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ هذا سحر فقط لا تقبلوه لا تتبعوه فهو ساحر ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائنا ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما أسروه ﴿الْعَلِيمُ﴾ به ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُواْ﴾ فيما أتى به من القرآن هو ﴿أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ مرة قالوا اختلقه من عند نفسه، ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ هذا شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ إذا أراد محمد أن نؤمن به فليأت بمعجزات الأنبياء كناقة مثل ناقة صالح، وعصا كعصا موسى واليد، ومائدة كمائدة عيسى، هذه هي المعجزات إذا أراد محمد أن نؤمن به فليأت بمثل هذا قال تعالى ﴿مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ هذه الآيات القوم الذين نزلت عليهم

---

[1] – عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (5126).

ما آمنوا بها حتى أهلكوا ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ هل يؤمنون بها إذا رأوها؟ لا. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ لما قالوا إن محمدا بشر لا يستحق الرسالة أخبر الحق تبارك وتعالى أن الأنبياء والمرسلين قبله ليسوا إلا رجالا فقط، واسألوا علماء التوراة والإنجيل هل الأنبياء قبل محمد إلا رجال فقط؟ إن كنتم لا تعلمون فإنّهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ الرسل ﴿جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم من جنس البشر فقط يأكلون ويشربون، ليسوا ملائكة ﴿وَمَا كَانُواْ خَالِدِينَ﴾ وإذا جاء أجل أحد منهم يموت ليس لهم الخلود، كل هذه ليست من شروط النبوة ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾ من المصدقين لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ هو القرآن لأنه بلغتكم ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ الله أنزل القرآن على لغة العرب وهذا شرف للعرب هلا يعقلون فيدركون هذه النعمة وهذا الشرف فيؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويؤمنون بالقرآن ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ كثيرا ما يهلك الله أمة ثم يأتي بأمة بعدها ﴿فَلَمَّا أَحَسُّواْ بَأْسَنَا﴾ أي شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ إذا جاء العذاب يفرون ويهربون يظنون أنهم ينجيهم الهرب من عذاب الله تبارك وتعالى، قالت لهم الملائكة استهزاء ﴿لاَ تَرْكُضُواْ﴾ لا تهربوا ﴿وَارْجِعُواْ إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ نعمتم ﴿فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ شيئا من دنياكم على العادة ﴿قَالُواْ يَاوَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالكفر ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ الكلمات ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ﴾ صيرناهم ﴿حَصِيدًا﴾

كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف ﴿خَامِدِينَ﴾ ميتين كخمود النار إذا طفئت ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ عابثين، بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يلهى به من زوجة أو ولد ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ اتّهموا الحق تبارك وتعالى أن له زوجة هي مريم وولدا، والله تبارك وتعالى لو أراد زوجة فعنده من الحور العين والملائكة ما هو أجمل وأشرف وأرفع قدرا من مريم هذه ﴿إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ لو أردنا أن نفعل ذلك لوجدنا في حضرتنا ما هو أحسن من مريم كالحور العين وغيرها. الله تبارك وتعالى أوجد أشياء ليس لغرض وليس بلاعب، ونحن في حقنا إذا عملنا عملا أي عمل إما أن يكون لنا غرض في هذا العمل، وإما أن نكون لاعبين. العاقل لا يعمل شيئا ليس له فيه غرض إن فعل هذا يكون لاعبا. والله عمل ولا غرض له وليس بلاعب، بل عمل لحكمة هو أن ينفع عباده، الحكمة من يعمل لنفع الغير، الله تبارك وتعالى مع ما خلق من المخلوقات لا يعود إليه أي نفع ولكن النفع يعود إلينا نحن عباده ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الكفر ﴿فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ عادة الله تبارك وتعالى أن الباطل يظهر قبل الحق فيأتي الحق عليه فيذهبه حتى لا يبقى له أثر "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا" والباطل حينما كان كأنه لم يكن قط فإذا جاء الحق يبقى الباطل كأنه لا وجود له أصلا، ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ العذاب الشديد من وصفِكم خالقَكم بهذه الصفات الزوجية والولدية. ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكا كلهم عبيده، كيف تكون زوجة وليست بكفء هي أمة ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾ الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ يعبدون الله لا يتكبرون ولا يعيون أبدا ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ يخرج منهم التسبيح كالنفس في حق بني آدم ﴿أَمْ﴾ للانتقال ﴿اتَّخَذُوا

ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أخذوا حجرا وقالوا هذا إله، وصاغوا شيئا من الذهب وقالوا هذا إله، وشيئا من الفضة وقالوا هذا إله. هذا من الأرض جزء مما خلق الله تبارك وتعالى ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ هل يحيون الموتى هؤلاء الآلهة؟ لا. لا يكون إلها إلا من يحيي الموتى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ السماوات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ﴾ غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ ما يمكن مجموع آلهة، لو كان غير إله واحد لفسدت السماوات والأرض في أسرع من طرفة العين، ما حاجتنا إلى تعدد الآلهة؟ إما أن يكون بعض الآلهة كاملا وبعض ناقصا أو كلهم ناقصين، إذا كانوا كلهم ناقصين فليسوا بآلهة يحتاجون إلى من يكملهم، وإذا كان بعض ناقصا وبعض كاملا استغنينا بالكامل وتركنا الناقص. إذا تعددت الآلهة لابد من خلاف بينها، فإذا تنازع اثنان لابد أن تقع بينهما حرب فإذا وقعت بينهما حرب لابد أن يغلب أحدهما الآخر، فإذا غلب أحدهما الآخر وهو مثل، ما جاز في المثل يجوز في المماثل ليست هذه آلهة إنما هي مخلوقات لا يمكن إلا إله واحد. هذا النظام الباقي في السماوات والأرض لم يبق إلا بأن الإله واحد لو تعدد لفسد كل شيء، الله واحد. ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزه نفسه عما يقول الكفار من الشريك لله ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ من صفاته تبارك وتعالى أنه لا يسأل عما يفعل وهم المخلوقات يسألون عن أفعالهم، ولم هذا؟ هو عالم أعلم منا بكل شيء ونحن جهلة، العالم الذي يعلم ما لا تعلم لا تسأله عن فعله فهو أعلم منك وأحكم وأرحم، وأنت أجهل وأعجز، كيف تسأله وهو يعلم وأنت لا تعلم؟ «وهم يسألون» لأنَّهم لا يعلمون، يفعلون شيئا جهلا ويفعلون شيئا خطأ. التوحيد: توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال، توحيد الذات: "هو الله أحد" "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" "ذلك بأن الله هو الحق" "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان

زهوقا". توحيد الصفات: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"، لا يشاكله شيء. وتوحيد الأفعال: «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»، هذه الآيات تكفي وتغني عن علم الكلام، ﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك ﴿هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ من أمتي وهو القرآن ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله إلها كما قالوا هم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين منكم وخاصة، قالوا من هم يا رسول الله؟ قال: حملة القرآن هم أهل الله وخاصته[1]. ولما دنا أجله صلى الله عليه وسلم اجتمع عليه الصحابة في بيت عائشة رضي الله عنها فقال: مرحبا حياكم الله، دنا الأجل، قرب الرحيل إلى سدرة المنتهى إلى جنة المأوى، إذا مت فليغسلني رجال من أهلي ويكفنوني في هذه الأثواب الثلاثة أو في غيرها، ضعوني على شفير قبري واخرجوا عني، أول من يصلي علي خليلي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت، وادخلوا بعد ذلك أفواجا تصلون علي[2]. قالوا: كيف تذهب عنا يا رسول الله

---

[1] – أخرج الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله أهلين من الناس، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته). الحاكم في مستدركه: كتاب فضائل القرآن/ باب قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته (2083) قال الحاكم: قد روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا مثلها.

[2] – عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا: من يصلي عليك يا رسول الله؟ فبكى وبكينا وقال: مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتموني وحنطتموني وكفنتموني فضعوني على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي خليلي وجليسي جبريل وميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود من الملائكة ثم ليبدأ بالصلاة علي رجال من أهل بيتي ثم نساؤهم ثم ادخلوا أفواجا أفواجا وفرادى ولا تؤذوني بباكية ولا برنة ولا بصيحة ومن كان

وأنت نورنا وشمل جموعنا وسلطان أمرنا ومرشدنا كيف يصح أن تذهب عنا؟ قال: (تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا[1]. الصامت الموت أي كلما فترت النفس ذكّرها بتذكر الأموات. وناطقا هو القرآن، لن تضلوا بعدي، هذا القرآن "ذكر من معي وذكر من قبلي") ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾ وحدوني. كل رسول جاء يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى. وقف علي كرم الله وجهه على المنبر بالكوفة وقال: سلوني سلوني سلوني عما شئتم هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلبي، سلوني والله لو سُئلت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فأخبرتُ وتكلموا لصدقوني. هذا بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه. قام رجل فقال: هذا دعواه طويلة وعريضة وأنا لابد أن أعجزه وقف وقال له: أسألُ يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم سل عما شئت، ولكن سل تعلما ولا تسل تعنتا، فقال: أوَ ترى ربك؟ قال: لا أعبد ربا لم أره، ولكن لا يرى بالعيون عيانا وإنما يرى بالقلوب إيمانا، ربي أحد لا شريك له، ربي واحد أحد لا ثاني له، لا يحويه مكان، ولا يداوله زمان، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالقياس، فسقط السائل مغموما مغشيا عليه[2]. ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ هؤلاء الملائكة الذين يريدون أن يجعلوهم أولادا لله عباد فقط،

غائبا من أصحابي فأبلغوه مني السلام فإني أشهدكم على أني قد سلمت على من دخل في الإسلام ومن تابعني على ديني هذا منذ اليوم إلى يوم القيامة. مستدرك الحاكم: كتاب المغازي والسرايا/ باب وصية النبي في من يصلي عليه بعده على الترتيب (4448).

1 – ذكره الإمام الغزالي في مجموع رسائله ص297.

2 – روح البيان ج472/5.

أكرمهم الله تبارك وتعالى بعبوديته ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ تعالى أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ﴾ تعالى ﴿مُشْفِقُونَ﴾ مع ذلك هم خائفون من الله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَّقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ﴾ من دون الله أي غيره، وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ سدا أي بمعنى مسدودة بعضها ببعض ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا، وفتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت، كانت كلها شيئا واحدا فلما وقع التفريق فصارت السماوات سبعا والأرضين سبعا وكان الهواء، أمكن نزول المطر وخروج النباتات ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أوجد الله كل شيء من الماء، نبات وغيره فالماء سبب لحياة كل شيء، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول كما أنه لا يمكن حياة شيء في الدنيا بدون ماء كذلك لا إله إلا الله محمد رسول الله في الآخرة لا يمكن أن يحيا شيء بدون هذه الكلمة ﴿أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوحيد؟ الذي خلق السماوات السبع والأرضين السبع والبحار لا يعلمون أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله؟ ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ الأرض وضعت على البحر، البحر هو الذي يحمل الأرضين والبحر متحرك دائما، كانت الأرض تتحرك بأهلها فنصب الله الرواسي جبالا ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ﴾ أن لا تميد ﴿بِهِمْ﴾ لولا هذه الجبال لبقيت الأرض تتحرك دائما كالسفن إذا كانت على البحر لأنّها فوق بحر هي أصغر بالنسبة إلى ذلك البحر من السفن

على هذا البحر الذي ترى، ولكن ثبتها الله بوجود جبال ثوابت تمنعها من الحركة، وهذه الجبال حسية ومعنوية: الجبال الحسية كما ترون، والجبال المعنوية هم خلفاء الله في أرضه ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ رواسي ﴿فِجَاجًا﴾ مسالك ﴿سُبُلاً﴾ طرقا نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار. هذه الطرق التي نسلكها إذا أردنا السفر خلقها الله لنا وهدانا لمقاصدنا، كل بلد تريده تجد له طريقا وهذا نعمة من الله تبارك وتعالى، لو لم تكن هذه السبل لا تهتدي إلى أي محل ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿مَحْفُوظًا﴾ عن الوقوع، سقف لا يسقط عليك أبدا ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ وهم معرضون عن آياتِها ومع ذلك بنو آدم لا يتفكرون في الآيات التي في السماء من الشمس والقمر والنجوم. معرضون لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مستدير كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون بسرعة كالسابح في الماء ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ نزلت لما قال الكفار نستريح فقط ونمهل محمدا سوف يموت، إذا مات استرحنا قال: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد» البقاء في الدنيا ليس لأحد لا للأنبياء ولا لغيرهم ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ إذا قبلنا أن محمدا يموت ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ هل الكفار باقون؟ يموت محمد ولكن يموتون أيضا. مات أبو جهل قبله يوم بدر ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أما نفس لا تموت فلم تخلق، كل نفس ذائقة الموت في الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نختبركم ﴿بالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ كفقر وغنى وسقم وصحة ﴿فِتْنَةً﴾ لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم ﴿وَإِذَا رَءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ يَّتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُؤًا﴾ مهزوءا به يقولون ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يعيبها ﴿وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ كفروا

بالرحمن واستهزأوا بالرسول صلى الله عليه وسلم قالوا: عجل بالعذاب، نحن استعجلنا العذاب ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ الإنسان لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَاتِي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ﴾ انتظروا سترون فأراهم القتل يوم بدر. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالقيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لاَ يَكُفُّونَ﴾ يدفعون ﴿عَنْ وُّجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ﴾ النار ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منها في القيامة لما قالوا ذلك ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيرهم ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يمهلون لتوبة أو معذرة وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَقَدُ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إذا استهزأوا بك فاصبر كما صبر الرسل قبلك فقد استهزئ بهم قبلك ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ بك العذاب ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ يَّكْلَؤُكُمْ﴾ يحفظكم ﴿بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ من عذابه إن نزل بكم؟ لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيه ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ﴾ مما يسوؤهم ﴿مِن دُونِنَا﴾ هل لهم آلهة غير الله؟ لا، ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ الآلهة ﴿نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ الآلهة سيصيرون إلى النار ولا يقدرون على أن ينصروا أنفسهم فكيف بغيرهم ﴿وَلاَ هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ يجارون، يقال: صحبك الله أي حفظك وأجارك ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغتروا بذلك ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ بالفتح على النبي صلى الله

عليه وسلم، لو نظروا أن الله ينقص الأرض لعلموا أنّهم سيهلكون عن آخرهم. قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن نقصان الأرض هو موت العلماء[1] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ من كان أصم لا يسمع الدعاء إذا أنذر لتركهم العمل بما سمعوا من الإنذار كالصم. ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالإشراك والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ ذوات العدل ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ إن الله تبارك وتعالى يزن أعمال العباد يوم القيامة إقامة للعدل، فالعمل الصالح يكون ثقيلا والعمل السيئ يكون خفيفا، والمؤمن يكون ثقيلا والكافر الأكول الشروب يكون خفيفا لا يزن جناح بعوضة ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَإِن كَانَ﴾ العمل ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ وإن كان مثقال حبة من خردل إذا وجد هذا أتينا بموزونها ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ محصين في كل شيء ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ التوراة سميت الفرقان لأنّها الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءً﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾ عظة ﴿لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ عن الناس في الخلاء عنهم ﴿وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ﴾ أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ الاستفهام للتوبيخ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾ هداه قبل بلوغه، إبراهيم نشأ هاديا مهديا ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ بأنه أهل لذلك ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾

---

1 - أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: (أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها). قال: موت علمائها وفقهائها. هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير/ تفسير الرعد (3382).

الأصنام ﴿الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ إبراهيم قطب التوحيد لا يتكلم إلا في توحيد الله تبارك وتعالى. هو صبي يقول لهم ما هذه الأصنام التي تعبدونَها وأنتم مقيمون على عبادتِها وهي لا تنفع ولا تضر ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ وجدنا آباءنا كذلك فاقتدينا بآبائنا ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ بعبادتِها ﴿فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ أنتم ضالون أنتم وآباؤكم، ما أشد جراءة الأنبياء ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ هذا حق عندك أم هزل ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ﴾ تلاعبنا أم هذا هو الحق عندك؟ ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وَأَنَاْ عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الذي قلته من الشاهدين به ﴿وَتَاللَّهِ﴾ أقسم لهم ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ سأدمر هذه الآلهة كلا ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ إذا ذهبتم إلى عيدكم سأهلك هذه الآلهة ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابِهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿جُذَاذًا﴾ قطّعهم حتى تركهم فتاتا ﴿إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ علق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ لعلهم إذا أتوا يرجعون إليه. كان آزر يصنع الآلهة ويعطيها لإبراهيم وهو صبي يذهب بِها إلى السوق يبيعها، يقول إبراهيم: من يشتري شيئا لا ينفع ولا يضر؟[1] من أراد أن يشتري شيئا لا ينفعه ولا يضره فليشتر، فلا يشتري أحد، فيرجع يقول أبوه أنت لم تبع شيئا. فخاطبهم قال لهم: هؤلاء الآلهة التي تعبدون لا تضر ولا تنفع مالكم؟ قالوا له هكذا وجدنا آباءنا. قال لهم أنا أعادي هذه الآلهة عداوة شديدة، "فإنّهم عدو لي إلا رب العالمين" أنا لا أحبكم أن تعبدوا إلا رب العالمين لا هذه الآلهة. فقالوا نحن هكذا نفعل وكان عندهم يوم عيد فوعدهم أنّهم إذا خرجوا ليوم العيد

---

1 – قصص الأنبياء (العرائس) ص45.

سوف يدمر آلهتهم، طبخوا كثيرا من الأطعمة وأتوا بها ووضعوها حول الآلهة لتبارك لهم الآلهة طعامهم. فأتى إبراهيم فقال: ما لكم لا تأكلون كلوا الطعام إن كنتم آلهة؟ فلم يتكلموا فأخذ الفأس فقطع الآلهة جميعا وترك واحدا كبيرا علق فأسه عليه وذهب مستخفيا فلما جاءوا ﴿قَالُواْ﴾ عند رجوعهم ﴿مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ما الظالمون إلا هم ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ كنا سمعنا بالأمس فتى يعيب هذه الآلهة ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ اسم هذا الفتى إبراهيم هو الذي كان يعيب الآلهة محقق أنه هو الذي فعل هذا ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ ظاهرا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل ﴿قَالُواْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أنت الذي كسرت آلهتنا؟ ﴿قَالَ﴾ ساكتا عن فعله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ قال لهم: الإله الكبير هو الذي دمر الآلهة الصغار لأنه لا يحب أن تشركوه بهم ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ما كذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات[1]: إحداها قال: هي أختي، والثانية قال: إني سقيم، والثالثة

---

1 – في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيا قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر، قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا(3358). صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ من فضائل إبراهيم الخليل (4371).

قال: «بل فعله كبيرهم» وهو يقصد الإله الكبير الذي هو الله، الفاعل حقيقة هو الله. كل هذه ليست بكذب إنما هي معاريض. هي أختي وسارة زوجته، ولكن سارة بنت عمه[1]، أبواهما شقيقان وهو يعني أنَّها أخته في الدين (ليس على وجه الأرض مسلم ولا مسلمة غيرنا). والآلهة قطع صغارها كلا وعلق الفأس على الكبير ولما سألوه قال: الإله الكبير غضب لكونكم تعبدون هذه الصغار معه، وهو يعني الله الأكبر. وإني سقيم، لما أرادوا أن يخرجوا به إلى عيدهم وهو أراد أن يتخلف ليقطع الآلهة قال لهم: إني سقيم وهو يعني سوف أسقم، كل من كان حيا لابد أن يكون سقيما يوما ما وهو يقصد أنه سيكون سقيما في يوم من الأيام، أو سقيم القلب بإشراككم بالله تبارك وتعالى، هذا ليس فيه شيء كذب، كله حق ولكن لتواضعه يقول: كذبت ثلاث كذبات، يوم القيامة يعتذر عن الشفاعة[2].

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

---

1 – ذكره ابن حجر في الفتح ضمن أقوال عند شرحه للحديث (3358).

2 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فقال إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فذكر حديث الشفاعة فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من الأرض اشفع لنا إلى ربك فيقول فذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى موسى تابعه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا (3361). صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (287).

الدرس الرابع والثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

﴿فَرَجَعُواْ إِلَى أَنفُسِهِمْ﴾ بالتفكر ﴿فَقَالُواْ﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي بعبادتكم من لا ينطق ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي ردوا إلى كفرهم وقالوا والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنطِقُونَ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالهم؟ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ بدله ﴿مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلاَ يَضُرُّكُمْ﴾ ما حاجتكم بهذه الآلهة التي لا تنفع ولا تضر؟ ﴿أُفٍّ﴾ قبحا نتنا ﴿لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تبارك وتعالى، فعلى هذا العبد يفرد وجهته إلى الله تبارك وتعالى موقنا أنه لا يضر ولا ينفع إلا هو تبارك وتعالى، ولا يتوجه إلى غيره في طلب ما له، فالدنيا والآخرة لله تبارك وتعالى، فمن طلب إحداهما فليطلبها من الله تبارك وتعالى أو كليهما. فلهذا تجد أولياء الله تبارك وتعالى مقبلين على الله برفض كل ما سواه، لا يلتفتون إلى غيره، والله تبارك وتعالى يعزهم مع ذلك ويحارب من يحاربُهم، ويقضي لهم أمورهم ويتولى شؤونَهم. يحكى أن الحبيب العجمي كان وليا من الأولياء ألحت عليه زوجته يوما أن لابد أن يطلب وظيفة يعمل فيها ويأخذ عوضا ليكثر ما عندهم من المال، ألحت عليه حتى خرج صباحا وذهب إلى فلاة بعيدة

وظل فيها يتعبد إلى أن غربت الشمس، فلما رجع إليها قالت له: أين أجرة عملك اليوم؟ قال لها: أنا عملت لكبير كريم أستحيي أن أطلب منه الأجر حتى يعطيني هو، وفي الغد كذلك، وبعد غد كذلك، ألحت عليه أن لابد أن يطالب من يعمل له بالأجرة، وإلا يتركه ويذهب إلى غيره، فخرج الشيخ وذهب إلى الفلاة يتعبد إلى المساء، فلما رجع وقرب من الدار شم رائحة الطعام، فسأل عن الخبر، قالت له: الكريم الذي كنت تعمل له هذه الأيام بعث إلينا بأشياء عظيمة كذا وكذا وكيسا من الذهب، فها أنا أصنع الطعام من ذلك الذي دفع لك، فبكى الولي وعلم أن ذلك من عند الله تبارك وتعالى وأخبرها الخبر، فتابت إلى الله تبارك وتعالى ورجعت عن مطالبتها بالعمل لغير الله[1]. قوم إبراهيم عبدوا الأصنام والأصنام لا تضر ولا تنفع فلهذا خاطبهم الخليل بقوله: «أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون» أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ﴾ حرّقوا إبراهيم ﴿وَانصُرُواْ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بتحريقه ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ إن أردتم نصر آلهتكم، فأشد العقوبات الحرق فلابد أن تحرقوا إبراهيم، فعزموا على ذلك، وكان نمرود بن كنعان هو الملك الذي ملك الدنيا جميعا كلف الناس أن كل إنسان ذكرا أو أنثى لابد أن يأتي بالحطب لحرق إبراهيم فكان المريض يكتري من يأتيه بحطبه والمرأة العاجزة كذلك، ومن مات يوصي أن يؤخذ من ماله شيء يشترى به الحطب لحرق إبراهيم، فجمعوا كثيرا من الحطب، وبنوا عليه بنيانا طوله ستون ذراعا، فأوقدوا النار، فلما أوقدوا النار بلغ من عظمتها أن الجو لا يمكن أن يطير فيه طائر من شدة الحر، فأرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار وما قدروا على الدنو منها، فأتاهم إبليس

---

1 - أورد الحكاية إسماعيل حقي البروسوي في تفسيره روح البيان ج5/496.

اللعين وألهمهم أنّهم يبنون بنيانا بعيدا من النار وصنع لهم المنجنيق[1] آلة قذف إذا وضع فيها إبراهيم تقذفه إلى النار لأنَّهم لا يقدرون على الدنو منها من شدة حرها، فأخذوا إبراهيم وجعلوه في المنجنيق فلما أرادوا أن يرموه أمسك الملائكة بإبراهيم ما قدروا على رميه، فجاء إبليس اللعين وقال: ادعوا النساء يكشفن رؤوسهن فإن الملائكة ينصرفون إذا فعل النساء هذا، ففعلوا ذلك فانصرفت الملائكة فأخذوا إبراهيم وجردوه وأوثقوه وألقوه في النار، فلما ألقوه في النار ضجت الملائكة يا ربنا عبدك إبراهيم ليس لك عبد على وجه الأرض سواه يعذب لأجلك تأمرنا بنصرته؟ قال: اذهبوا إليه كل من طلب منه إبراهيم النصر فلينصره، فأتى ملك قال: أنا ملك الرياح أطيِّر جميع ما حولك من النار ولا يبقى شيء، وجاء ملك البحار وملك الأمطار، وجاء جبريل نفسه قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى ربي فنعم. قال: سل ربك إذاً، قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي. فألقوه في النار ﴿قُلْنَا﴾ قال الله تبارك وتعالى ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أمر الله النار أن تصير بردا وسلاما على إبراهيم، فلم تحرق النار منه غير وثاقه، صارت بردا وسلاما على إبراهيم[2]. واختلف في كيفية برودة النار قيل سلب الله الحر من النار

---

1 – المنجنيق: في لسان العرب لابن منظور: جنق: الجنق بضم الجيم والنون: حجارة المنجنيق، وقال ابن الأعرابي: الجنق أصحاب تدبير المنجنيق، يقال: جنقوا يجنقون جنقا، حكى الفارسي عن أبي زيد: جنقونا بالمنجنيق تجنيقا أي رمونا بأحجارها. ويقال مجنق المنجنيق وجنّق، وقيل لإعرابي كيف كانت حروبكم؟ قال: كانت بيننا حروب عُون، تفقأ فيها العيون فتارة نجنق وأخرى نرشق.

2 – قصة إلقاء إبراهيم في النار وحيثياتها وردت مفصلة في تفسير الطبري على نحو ما ذكر هنا. من سورة الأنبياء عند قوله تعالى حكاية عن أعداء إبراهيم: "قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم. ووردت كذلك بشيء من التفصيل في التفاسير.

فصارت هواء طيبا، والله قادر على ذلك، أو جعل شخص إبراهيم بحيث لا يؤثر فيه حر النار كما جعل لخزنة النار، يسكنون النار ولا تضرهم، أو أمر النار بالبرودة وهذا سياق الآية، وأتاه جبريل بقميص من الجنة فكساه إياه، من الحرير؛ وفجر حوله أنهارا، وأتاه ملك على صورة إنسان يجالسه ويؤنسه، وجلب الله إليه من الثمار والفواكه حتى أن الحطب الذي أُوقِد نارا أينع ثمارا يجني إبراهيم كيف شاء حتى أن الخليل قال ما وجدت أياما في الدنيا هي أحلى عندي وأطيب من الأيام التي كنت فيها في النار[1]. مكث إبراهيم أياما على تلك الحالة فاطلع نمرود على قصره فنظر إلى إبراهيم فإذا معه شخص وإذا هو في خير. قال: يا إبراهيم أما رأيت شخصا معك؟ قال: نعم، هذا ملَك أرسله الله ليؤنسني. قال: ما تأكل؟ قال: الحطب الذي أوقد كله أثمر وأنا آكل كيف شئت. قال: وما تشرب؟ قال: الأنهار تجري من تحتي. قال: تقدر على الخروج من النار؟ قال: نعم. قال: اخرج، فخرج. قال: ومن أين لك هذا اللباس وأنت أُلقيت في النار مجردا، قال: كساني ربي، قال: ربك هذا عظيم لابد أن أتقرب إليه بأربعة آلاف بقرة، قال له إبراهيم: لا يتقبل منك مع بقائك على الكفر، قال: أنا لا أترك ملكي ولكن هذا الرب العظيم الذي صنع هذا لابد أن أتقرب إليه، فتقرب بأربعة آلاف ثور ذبحهم قربانا[2]، فسلط الله البعوض أضعف خلق الله تبارك وتعالى على نمرود وأصحابه، أكلهم البعوض حتى صارت عظامهم تلوح فماتوا كذلك، أما هو فدخلت بعوضة في أذنه وواحدة في

---

1 – جاء في تفسير ابن كثير نقلا عن المنهال بن عمر قال: أخبرت أن إبراهيم ألقي في النار قال فكان فيها إما خمسين وإما أربعين، قال: ما كنت أياما وليالي قط أطيب عيشا إذ كنت فيها وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها. ج3/ 185.

2 – ذبح نمرود أربعة آلاف بقرة تعظيما لرب إبراهيم ذكره في روح البيان ج5/499.

منخره تتحرك في دماغه ليلا ونَهارا حتى صار أحب الناس إليه وأعزهم من يضرب رأسه بالمزبرة ليلا يحس بحركة البعوض في دماغه[1] مكث هكذا حتى مل من هذا، فقال: أنا رأسي هذا فسد، لابد أن تصنعوا لي رأسا من الذهب واقطعوا هذا الرأس وركبوا عليه ذلك الرأس الذي تصنعونه لي - ما أشد حماقته - فقُطع رأسه فمات، ادعى الربوبية فأهلكه الله بأضعف خلقه، فلهذا قال ﴿وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْدًا﴾ هو إبراهيم أرادوا حرقه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ فجعلناهم أخسر خاسر في الدنيا في مرادهم، ما وجدوا مرادهم، ما وصلوا إلى تعذيب إبراهيم ولا إلى إهانته. العبد إذا تولى اللهَ تولاه الله، وولي الله من أراد أن يذله لا يصل إلى مراده أبدا، فإن من أعزه الله لا يقدر أحد على إهانته بدليل حديث: (من عادى لي وليا أو من أهان لي وليا فقد آذنته بالحرب)[2] من حاربه الله يهلكه، فلهذا تجد أعداء أولياء الله يحاولون إهانة أولياء الله ولا يصلون إلى مرادهم أبدا، من يذل من أعزه الله؟ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ لوط هذا ابن أخي إبراهيم، هاران أخو إبراهيم وهو والد لوط، وكان كافرا من أعداء إبراهيم. قال هاران: هذه النار ما حرقت إبراهيم لأنّها سحرت ليس فيها

---

1 - القرطبي ج305/11

2 - أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته). صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب التواضع (6502). وقد تقدم في الدرس الرابع عشر. ورواية "من أهان" أوردها السيوطي في الجامع الكبير ج1010/1. وهي كذلك عند الهيثمي في زوائده عن الطبراني في الأوسط بلفظ: (من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) مجمع الزوائد: كتاب التوبة/ باب في من آذى أولياء الله (15971).

حرق الآن، والدليل على ذلك خذوا رجلا وألقوه في النار، لا تأكله النار، فأرسلوا رجلا منهم فأكلته النار في أسرع من طرفة العين وطارت شرارة من النار ووقعت في يد هاران فحرقتها وحرقت وجهه كلا. «نجيناه ولوطا»، لوط ابن هاران وهو تلميذ إبراهيم ونبي مشارك له في النبوة، من إكرام الله له نجاه ونجى لوطا معه من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ فهاجروا من العراق إبراهيم ولوط وسارة، فأتوا بلاد الشام التي بارك الله فيها بكثرة الأنهار والأشجار، نزل إبراهيم بفلسطين، ولوط بالموتفكة، وبينهما مسافة يوم واحد ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ لإبراهيم وقد كان سأل ولدا - كما في الصافات - ﴿إِسْحَاقَ﴾ أعطاه الله ولدا هو إسحاق ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ إسحاق ولَدَ يعقوب ﴿نَافِلَةً﴾ زيادة على المسئول، هو طلب ولدا فوجد ولدا وولدَ ولدٍ ﴿وَكُلًّا﴾ هو وولده وولد ولدِه ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ جعلهم الله من الصالحين أنبياء ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ كل الأنبياء أمرهم الله بفعل الخيرات ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ وأن يدفعوا الزكاة من أموالهم ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ كانوا مشتغلين بعبادة الله تبارك وتعالى ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ لوط هذا ابن أخي إبراهيم أرسله الله وجعله نبيا، «حكما» أي نبوة وفصلا بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ كانوا شرارا ﴿فَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعة الله تبارك وتعالى ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أدخل الله لوطا في رحمته بأن أنجاه من قومه ﴿إِنَّهُ﴾ لوط ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ وَنُوحًا﴾ كله عطف على إبراهيم «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل» واذكر نوحا وما بعده ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا على قومه بقوله "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل إبراهيم

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ الذين في سفينته ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ الغرق وتكذيب قومه له ﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾ منعناه ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطوفان ﴿أَجْمَعِينَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ اذكر قصتهما أيضا ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ رعته ليلا بلا راع ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ والله تبارك وتعالى كان حاضرا معهم، أتى أهل الزرع إلى داود وشكوا عنده: إن غنم فلان نفشت في زرعنا ولم تبق منه شيئا، فقال داود خذ الغنم كلا ملكا لك بدلا من زرعك، فلما خرجوا سأل سليمان وهو صغير كيف حكم نبي الله بينكم؟ ذكروا له الحكم أنه سلم الغنم لرب الزرع. قال: لو كنت أنا الحاكم لحكمت بغير هذا، فأخبر داود بذلك فدعاه فقال له: بحق الأبوة إلا أخبرتني ماذا تقضي به لو كنت أنت القاضي. قال: أسلم الغنم لرب الزرع ينتفع بدرها ونسلها ووبرها، وأسلم الزرع لصاحب الغنم يسقي الزرع ويصلحه حتى يعود الزرع كما كان فيأخذ رب الغنم غنمه ويأخذ رب الزرع زرعه، فقال داود: الحكم هذا فقط، فأمضى ما حكم به ابنه قال الله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي الخصومة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ كلهم كان يحكم بوحي أو باجتهاد، وهذه القصة تدل على أن داود حكم باجتهاد، والأنبياء لهم أن يحكموا بما أنزل الله، وأن يحكموا باجتهاد، والمجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد، وخطأ النبي في الاجتهاد فيما لا يؤول بالفساد إلى الدين أو في العالم يجوز بشرط أن الله تبارك وتعالى يتداركه حتى يفهم الخطأ، كما وقع لداود ﴿وَكُلاًّ ءَاتَيْنَا﴾ هُ ﴿حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ كلهم عالم بأمور الدين وعالم بالحكم بين الناس، ولكن الله فهّم سليمان في هذه القضية دون داود عليه الصلاة والسلام. وهذا في شريعتهم، أما في شريعتنا فالمشهور في مذهب

مالك أن حفظ المواشي ليلا على أصحابها فإذا أفسدت الزرع ليلا لزمهم القضاء، ومذهب أبي حنيفة أن ما أفسدته البهائم لا قضاء فيه مطلقا ليلا ولا نَهارا، والشافعي يفصل في ذلك. «وكلا آتينا حكما وعلما» ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كذلك سخر تسبيحهما معه ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجبا عندكم ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ هي الدروع لأنّها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح ﴿لَكُمْ﴾ لجملة الناس ﴿لِيُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾ اللبوس وفي قراءة لتحصنكم هي الصنعة، وفي قراءة لنحصنكم نحن من بأسكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ نعمتي بتصديق الرسول؟ أي اشكروني بذلك. كان داود عليه الصلاة والسلام كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم يصوم يوما ويفطر يوما، صوم نصف الدهر، ويقوم نصف الليل وينام نصفا، وكان مجاهدا ولا يفر في ميادين القتال[1] وكان يأكل من بيت المال، وكان يتحسس، إذا أتى الليل تنكر ودخل في الناس يسأل عن عيبه: ما حال ملككم هذا؟ ليعلم عيبه حتى يتجنبه، وكلما سأل عن الملك يقولون عنه خيرا، فتنكر يوما فصار يسأل الناس فنزل جبريل متنكرا على صورة إنسان فقال له: نِعم الملك ملككم لو كان يعيش بعمله، ولكنه يعيش من بيت المال. فرجع داود وسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمه

---

1 – جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عِمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ فقلت: نعم، فقال: فإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين ونفهت النفس صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر أو كصوم الدهر قلت إني أجد بي قال مسعر يعني قوة قال: فصم صوم داود عليه السلام وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قوله تعالى "وآتينا داود زبورا" (3419). صحيح مسلم: كتاب الصيام/ باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا (1967).

حرفة يعيش بِها دون بيت المال. فعلّمه الله صنعة لبوس فلين الله له الحديد فصار كالعجين عنده فقط لا يحتاج لمطرقة ولا سندان ولا أي شيء، آلات الحداد كلا هو مستغن عنها، إنما يصير في يده كالعجين فقط، يبني الدرع كيف شاء. فصنع وكان بجواره لقمان الحكيم، وكان يحب أن يسأله ماذا يصنع فسكت حتى تم فلبسه فقال: نعم لباس الحرب هذه، فكان يبيع هذا ويعيش به، هي حرفته. وكان إدريس خياطا يعيش بالخياطة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم غالب عمله في بيته الخياطة[1]. وقال أفضل أعمال المرأة في بيتها الغزل، ورعى النبي صلى الله عليه وسلم أيضا كما رعى جميع الأنبياء[2] ولكن حرفته بعد النبوة الجهاد. فأفضل الحرف الجهاد لأنه حرفة محمد صلى الله عليه وسلم، وبعده التجارة حرفة أبي بكر وعمر وعثمان بشرط عدم الخيانة، وبعد التجارة الزراعة ثم الصنائع ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ قال في آية أخرى رخاء أي خفيفة الهبوب بحسب إرادته. سليمان كان عنده خيل فلما شغلته الخيل يوما عن صلاة العصر ذبحها كلا في سبيل الله وتصدق بلحومها تقربا إلى الله تبارك وتعالى فأبدلها الله له بالريح. وكانوا صنعوا له منزلا فرسخا في فرسخ وفيه ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة، كراسي الذهب يجلس عليها الأنبياء، وكراسي الفضة يجلس عليها العلماء، وعامة الناس يجلسون على البساط فيأتي الرخاء فيطيره ويذهب بسليمان إلى حيث شاء من الأرض،

---

1 – انظره في روح البيان ج509/5.

2 – في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة). صحيح البخاري: كتاب الإجارة/ باب رعي الغنم على قراريط (2262).

غدوها شهر ورواحها شهر[1] وكان يسكن تدمر في الشام ويذهب إلى العراق وإلى فارس وإلى الصين ويرجع إلى تدمر في يوم واحد ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ وَ﴾ سخرنا ﴿مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾ سوى الغوص من البناء وغيره، كل ما يحتاج إليه يصنعه له الجن وبنو آدم ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ من أن يفسدوا ما عملوا، لأنّهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره ﴿وَ﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته رحمة بنت إبراهيم بن يوسف، ثلاثا أو سبعا أو ثماني عشرة سنة[2]، وضيق عيشه دعا ربه بعد ذلك ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ الشدة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ

---

1 – في حاشية الصاوي على الجلالين عن مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في إبريسم وكان يوضع له منبر الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح. حاشية الصاوي على الجلالين ج85/3.

2 – ذكر هذا القول ابن كثير في حديث رواه ابن أبي حاتم مرفوعا عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب عليه السلام: ما أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب".. تفسير ابن كثير ج190/3.

الرَّاحِمِينَ﴾ أيوب كان من أغنياء الناس، وكان إبليس لما طرد ولعن ما حجب عن السماء يذهب إلى السماء السابعة ويطلع على ما يجري هنالك، فرأى أيوب مع كثرة ماله وولده إذا سار إلى السماء يجد الملائكة مشتغلين بكتب حسناته فقط، قال: يا رب أيوب هذا عبد شكور، ولكن لو سلطتني عليه لكفر نعمك. قال له: سلطتك عليه إلا على لسانه وقلبه، فجمع الشياطين وقال لهم: إن الله قد سلطني على أيوب، كلكم يقول ما يقدر عليه. قام عفريت فقال: أنا أقدر على أن أتبدل إعصارا فيه نار فأحرق جميع ما عند أيوب من الإبل والرعاة، قال له: افعل فإذا بإعصار فيه نار هب على إبل أيوب فحرقها عن آخرها ورعاتِها، وأتى إبليس على صورة كبير الرعاة إلى أيوب يتباكى يقول له: كل ما كان عندك من الإبل حرق بنار، والرعاة ماتوا. قال الحمد لله ليس في هذا شيء إن الله أعطاني إياها وإن شاء أخذها، والحمد لله، فذهب وقام واحد فقال أنا أحرق ما عنده من الغنم، ففعل كذلك ولم يؤثر في أيوب، فذهبوا إلى خزائنه ففعلوا كذلك فلم يؤثر فيه، فرجع إلى الله تبارك وتعالى قال: سلطني على أولاده، وكان له أولاد يتعلمون عند معلمهم، فأتى عفريت من الجن فقلع القصر وأسقطه على الأولاد، فماتوا عن آخرهم مع معلمهم بعضهم شدخ رأسه وبعضهم تقطع وبعضهم... ماتوا جميعا، فأتى على صورة المعلم يبكي يقول: كل أولادك ماتوا إذا رأيت فلانا رأسه مشدوخ، وفلانا مقطعا وفلانا.. فبكى أيوب، فطمع عدو الله فيه وطار إلى السماء، قال أثرت في أيوب، فلما خرج أوحى الله إليه أن هذا المتكلم هو إبليس عدو الله، فراجع أيوب وحمد الله ورضي بحكم الله. فلما لم يؤثر فيه قال يا رب سلطني على جسده، فسلطه على جسده فنفخ في منخره، فأتاه مرض كأن نارا دخلت بين جلده ولحمه فصار فيه حكة، صار يحك جلده حتى يحكه بالحجارة

ويحكه بالحديد حتى تمزق جلده وتمزق لحمه، وصار فيه نتن شديد هجره الناس جميعا وتركوه، وأخرجوه من الديار وجعلوه خارج البلد لا يجلس معه إلا زوجته رحمة بنت إبراهيم بن يوسف، فقدَ جميع ماله لم يبق عنده شيء، هذه الزوجة هي التي تسعى كل يوم في طلب ما يأكله أيوب، مكثوا كذلك ثلاثا أو سبعا أو ثماني عشرة سنة – الله أعلم – فعجزت المرأة عن جميع ما كانت تقوم به من الأسباب، في يوم من الأيام ذهبت إلى السوق تطلب له طعاما فلم تجد شيئا، فأتاها أحد قال لها: تبيعين لي شيئا من شعرك، فقطعت شيئا من شعرها وباعته له واشترت طعاما لأيوب، قال لها هذا المشتري: زوجك إنما عبد رب السماء و لم يعبد رب الأرض[1]، فلهذا وقع فيه ما وقع، فأتت إلى أيوب وأيوب كان مع شدة الحال لا تأتيه بطعام إلا سألها من أين هذا الطعام؟ حتى يتيقن أنه حلال، فلما أتت هذه المرة سألها من أين هذا الطعام؟ أخبرته أنّها باعت شيئا من شعرها وأن أحدا نصحها أن زوجك يعبد رب السماء ويترك رب الأرض، امتنع من الطعام وأقسم أنه يضربُها مائة ضربة، فخرجت تطلب شيئا آخر، وفي ذلك الوقت مر بعض من أعداء أيوب به وصاروا يشمتون به، وشماتة الأعداء أشد على أولياء الله تبارك وتعالى من كل شيء، فلما سمع بشماتة أعدائه طلب من الله تبارك وتعالى «أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» راعى الأدب في دعائه، لم يطلب رفع الشدة إنما قال «مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ علم الله ما في ضمن هذا الكلام من الشكوى والطلب فاستجاب دعاءه، ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ أولاده الذكور كلا والإناث، أحياهم الله ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ وكان الأولاد ثلاثة أو سبعة

1– ذكره الخازن على أنه من كلام إبليس اللعين. تفسير الخازن ج3/ 272.

رجعوا، كل واحد رجع مع أخ له ما كان ذهب معه ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ نزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال له: «اركض برجلك هذا مغتسل بارد» فركض برجله فنبع عينان عين ماء حارة وعين باردة، فقال له: اشرب من الماء البارد، فشرب فخرج من باطنه كل علة، اغتسلْ من الحار فاغتسل فرجع كما كان أيوب، وكان من أجمل الناس، فأحيى الله إبله وبقره وغنمه، وأحيى أولاده ومثلهم معهم وأمطر له من الذهب في بيدره الذي كان ينشر فيه التمر. نزلت سحابة تمطر ذهبا فقط حتى امتلأ البيدر من الدنانير، وبعد ذلك خلق الله ذهبا على صورة الجراد يطير حوله فيأخذه ويجمعه ويجعله في جيبه يقول الله تبارك وتعالى: أما لك غنى عن هذا؟ قال: لا غنى لي عن بركتك يا رب[1]. فرجعت المرأة فصارت تبحث عن أيوب وكلما مرت بِهذا الرجل الجالس ليس به علة على حالة جميلة، لا تعرفه، تدور تذهب وتجيئ حتى سألهَا من تطلبُ، قالت: مسكين مريض تركته هنا، فلما تأملت علمت أن المتكلم أيوب[2] فوقعت عليه قال: الحمد لله ذهب

---

1 - جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك. صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى "وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر.. (3391).

2 - روى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبسه الله حلية من الجنة فتنحى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله أين ذهب هذا المبتلى الذي كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب فجعلت تكلمه ساعة فقال: ويحك أنا أيوب، قالت أتسخر مني يا عبد الله قال ويحك أنا أيوب قد رد الله علي جسدي. وبه قال ابن عباس ورد عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فإن فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك. ابن كثير ج190/3.

البلاء، أتى الله بالخير. هذا أيوب من أهل مقام الصبر والشكر جميعا لأنه ابتلي فصبر وأعطي فشكر ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ ليصير خبره تذكرة لكل من يعبد الله تبارك وتعالى، يعلم أن الصبر لا يعقب إلا خيرا. ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ وَذَا النُّونِ﴾ واذكر ذا النون، هو يونس بن متى أرسله الله إلى الموصل بالعراق ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ لقومه غضبان عليهم مما قاسى منهم، ذهب و لم يوذن له في ذلك ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أن لن نقضي عليه بما قضيناه، نقدر ليس على ظاهره، من ظن أن الله لا يقدر هذا كفر لا يصدر من الأنبياء، إنما كان يظن أن القدر لا يقع عليه هكذا، أي أن القضاء لا يجري عليه هكذا، ظن أن لن نقضي عليه ما قضيناه عليه من حبسه في بطن الحوت ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت[1] ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن.

يونس بن متى دعا قومه إلى الله تبارك وتعالى مدة طويلة فلم يؤمنوا به، فأوعدهم بنزول العذاب عليهم وخرج مهاجرا، والأنبياء لا يذهبون إلا بإذن من الله تبارك وتعالى، والعذاب محقق ولكن الله تبارك وتعالى ما علمه بوقت نزول العذاب، ولا أمره بالخروج، فخرج من شدة الغضب وأتى إلى بحر فوجد سفينة وركب فيها، فلما توسطت السفينة البحر هاج عليهم البحر فكادوا أن يغرقوا في سفينتهم، فقال الملاحون: سفينتنا هذه مجربة لا يقع فيها هذا إلا إذا كان فيها عبد آبق. فاضربوا

---

1 – قال ابن مسعود: ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل، وكذا روي عن ابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والضحاك والحسن وقتادة. تفسير ابن كثير ج193/3.

قرعة إذا عرفنا العبد الآبق نرميه في البحر لننجو بأنفسنا، فضربوا القرعة فوقعت على يونس، قالوا هذا نبي الله ليس هذا، فضربوا ثانيا وثالثا فوقعت على يونس، فألقى نفسه هو في البحر فغرق في البحر وابتلعه حوت وابتلع ذلك الحوت حوت آخر فطاب لهم البحر وساروا، فلما جن الليل سمع يونس سكان البحر كلهم يصرخون بذكر الله تبارك وتعالى، فتذكر فذكر الله بهذه الكلمة: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"، والحوت الذي ابتلع يونس أوحى الله إليه وحي إلهام: هذا الذي ابتلعت ليس برزق لك، ما رزقتك يونس إنما جعلت بطنك سجنا له[1] أو مسجدا له، وهذا أليق بالأدب إنما جعلت بطنك مسجدا ولم أجعله رزقا لك إياك. يحكى أن هذه السمكة راودها زوجها في الليل فامتنعت أن عندها سرا من أسرار الله تبارك وتعالى لا يليق معه الاشتغال بالشهوات، فلهذا كتب هذا الحوت من الدواب التي تدخل الجنة. فلما ذكر يونس اسم الله هكذا ألقاه الحوت وألقاه البحر بالساحل "فنبذناه بالعراء وهو سقيم"، - "فالتقمه الحوت وهو مليم" آت بما يلام عليه من ذهابه بدون إذن خالقه، - فلما خرج إلى الساحل وهو كالفرخ الممعّط[2]، جسده كله كأنه قرح، أنبت الله اليقطين عليه لئلا يقع عليه

---

1 - قال ابن كثير إن يونس لما وقعت القرعة عليه تجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر، وقد أرسل الله سبحانه من البحر الأخضر فيما قاله ابن مسعود حوتا يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحما ولا تهشم له عظما فإن يونس ليس لك رزقا وإنما بطنك تكون له سجنا. ابن كثير ج193/3. وفي الصاوي ج87/3.

2 - في لسان العرب لابن منظور يقال رجل أمعَطُ أمرَطُ لا شعر له على جسده، بيّن المَعَط ومَعِطٌ وتمعّط وامّعط، ...ومعَطَه يمعَطه معطا: نتفه، وتمعّطت أوبار الإبل: تطايرت وتفرقت.

الذباب، لأن اليقطين هذا لا يقترب منه الذباب[1]، وهو في تلك الحالة لو مسه الذباب لصار جسده كلا قروحا، فحفظه الله باليقطين وأرسل الله ظبية تأتيه صباحا فيشرب من لبنها، وتأتيه مساء فيشرب من لبنها حتى قوي. وشجرة اليقطين أيضا أثمرت فصار يأكل من القرع ويجد طعم كل طعام حتى قوي وعاد كما كان، فنام يوما واستيقظ فوجد الأرضة قطعت شجرة اليقطين هذه فيبست، فجزع جزعا شديدا أوحى الله إليه: تجزع يا يونس من قطع يقطينة واحدة ولا تجزع من هلاك مائة ألف إنسان؟[2] فرجع إلى قومه ودعاهم إلى الله فآمنوا جميعا وهو قوله تعالى: "وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون" مائة ألف أو مائة ألف وعشرون ألفا. هذه قصة نبي الله يونس، هو يونس بن متى، عاتبه الله تبارك وتعالى على خروجه بلا إذن، سماه في القرآن في سورة "ن"[3] بصاحب الحوت. وهنا سماه بذي النون. والنون أجل قدرا من الحوت وهنا جعله الله هو مالك النون، وهنالك جعل النون حوتا فقط، وجعل الحوت هو صاحب يونس كأنه مالكه لأنه في تلك السورة في معرض العتاب "ولا تكن كصاحب الحوت" وهنا في معرض الثناء عليه، فلهذا اذكر "ذا النون"، هو ملك الحوت هنا، والحوت كبر حتى صار نونا. وفي سورة "ن والقلم" حوت فقط وكاد الحوت أن يملكه. صاحب الحوت كأنه تابع للحوت صاحب له فقط. هذا ذكر عظيم "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" من مرض وذكره أربعين مرة، إن مات مات شهيدا أي دخل الجنة، ومن كان في غم وذكر هذه الكلمات إن الله ينجيه من غمه. قال أحد الصالحين:

---

1 - قاله الصاوي في حاشيته ج347/3.

2 - القرطبي ج128/15. وقد تقدم في الدرس 24.

3 - أي سورة القلم

عجبت من أحد نزل به غم وهو يعرف "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" ولم يذكرها وهو يسمع كلام الله "فاستجبنا له ونجيناه من الغم"، وأحد تُوُعّد بالعذاب وهو يعرف "وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد" ولم يذكرها وهو يسمع الله تبارك وتعالى يقول: "فوقاه الله سيئات ما مكروا"، وأحد هدده أعداؤه وهو يعرف "حسبنا الله ونعم الوكيل" ولم يقلها وهو يسمع الله يقول "وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء"[1] هذه الكلمات كنوز في حق المريد، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ كما نجيناه ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿زَكَرِيَّاءَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بقوله ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ فردا أي بلا ولد يرثني وأنت خير الوارثين، دعاؤه الذي تقدم في سورة مريم ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ ولدا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ فأتت بالولد بعد عقمها ﴿إِنَّهُمْ﴾ من ذُكر من الأنبياء في هذه السورة ﴿كَانُواْ يُسَارِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ هو ذكر هؤلاء الأنبياء وكلهم إذا دعا الله تبارك وتعالى يستجيب له دعاءه والعلة في ذلك أنّهم كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون طاعات الله تبارك وتعالى ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ﴾ فلهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)[2] عبد إذا كان في رخاء ينسى خالقه، وإذا أتت شدة يدعوه هذا

---

1 – ذكرها إسماعيل حقي البروسوي في روح البيان ج518/5.

2 – روى الحاكم في مستدركه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلي الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا

مرجوح، الأحسن أن العبد يتعرف إلى الله ويدوم على ذكره وعبادته والوقوف ببابه في زمن الرخاء وفي زمن الشدة معاً ﴿وَ﴾ اذكر مريم ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته من أن ينال، اذكر هذه المرأة، تذكر مع الرجال دائما ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا﴾ عيسى ﴿ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن وللملائكة حيث ولدته من غير فحل[1]. ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون، يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ وحدوني ﴿وَتَقَطَّعُواْ﴾ أي بعض المخاطبين ﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي تفرقوا في دينهم المتخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ فنجازيه بعمله قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ما أنا عليه وأصحابي)[2] «وتقطعوا أمرهم بينهم» الفرق الضالة ﴿فَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ

لم يرد الله أن يعطيك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا أن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يصيبك لم يقدروا على ذلك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا واعلم أن القلم قد جرى بما هو كائن . الحاكم في مستدركه: كتاب معرفة الصحابة / ذكر الكلام بين ابن عباس ومعاوية في استلام الركنين (6355).

1 - كما قال جلال الدين المحلي في الجلالين. انظر حاشية الصاوي على الجلالين ج88/3.

2 - عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي. سنن الترمذي: كتاب الإيمان/ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (2565). وللحاكم في المستدرك بلفظ: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين

الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ﴾ جحود ﴿لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ بأن نأمر الحفظة تكتبه فنجازيه عليه ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ ممتنع ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أريد هلاكها ﴿أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ أي رجوعهم، حرام على قرية أهلكها الله رجوعهم إلى الدنيا[1]، أو حرام على أي قرية أهلكها الله عدم رجوعهم إلى الله يوم القيامة ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾ ممتنع حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج إسمان عجميان لقبيلتين. يقال إنهم تسعة أعشار البشر[2] ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ وهم ينسلون: يهرعون من كل حدب مرتفع من الأرض هذا في حق يأجوج ومأجوج إذا خرجوا آخر الدنيا، أو في حق خلق الله جميعا يوم يرجعون إلى المحشر ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ القصة ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في ذلك اليوم لشدته يقولون ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بتكذيبنا للرسل ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره من الأوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقودها، كفار مكة وآلهتهم كلا حطب جهنم ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ داخلون فيها ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ كما زعمتم ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾ دخلوها ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ﴾ إذا دخلوا النار لهم زفير وهم لا يسمعون شيئا لشدة غليانِها، لما نزلت هذه الآية أتى عبد العزيز بن الزبعرى جاء

فرقة وافرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة). صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب العلم/ باب تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة (446). تقدم في الدروس 14، 17، و26.

1 - ذكره ابن كثير عن ابن عباس ج195/3.

2 - حاشية الصاوي ج89/3.

كفار مكة وقال لهم اجعلوا لي جعلا أغلب لكم محمدا صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: نعم لك ما تطلب، فأتى للنبي صلى الله عليه وسلم وقال له: أنت تعلم أن اليهود عبدوا عزيرا، والنصارى عبدوا المسيح، وبني ملجم عبدوا الملائكة، إذا كان كل ما عُبد من دون الله من أهل النار فعزير وعيسى والملائكة كلهم في النار، وقال: غلبت محمدا ورب الكعبة. نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا﴾ المنزلة ﴿الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ هؤلاء الذين ذكرهم ابن الزبعرى سبقت لهم الحسنى فهم ليسوا من أهل النار، هو الذي يأتي ذكر آيته في سورة الزخرف "ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون" يعلمون أن (ما) لغير العاقل، و(من) للعقلاء، لو أراد الله إدخال عيسى وعزير والملائكة لقال إنكم ومن تعبدون من دون الله حصب جهنم، وهم يعلمون هذا لأنّهم فصحاء بلغاء ولكنهم قالوا هذا جدلا فقط وتعنتا، ولكن هذا لا يدخل هؤلاء النار، مبعدون عن النار ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتَها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ من النعيم ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ الفزع الأكبر لا يحملهم على الفزع، هو يوم طلب إخراج بعث النار من آدم عليه الصلاة والسلام كما سيأتي في أول سورة الحج ﴿وَتَتَلَقَّاهُمْ﴾ تستقبلهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ عند خروجهم من القبور ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ اذكر يوم نطوي السماء ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ﴾ اسم ملك يكتب أعمال بني آدم وعند موت الإنسان يطوي سجله أي كتابه ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ عن عدم ﴿نُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه ﴿وَعْدًا عَلَيْنَا﴾ حقا، هذا وعد صادق ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ «وعدا علينا إنا كنا فاعلين» ما وعدنا ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ بمعنى الكتاب أي كتب الله المنزلة ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ بعد أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ

الصَّالِحُونَ﴾ عام في كل صالح ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلاَغًا﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ عاملين به ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد صلى الله عليك وسلم ﴿إِلاَّ رَحْمَةً﴾ أي للرحمة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. هذا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله المطلق بحيث أن الله ليس له عبد إلا محمد صلى الله عليه وسلم فكل عبد جزء من محمد صلى الله عليه وسلم، فلهذا يوم القيامة يقول: أمتي أمتي حيث يقول كل نبي نفسي نفسي، لا يقول نفسي نفسي لأنه الكل تكلم بلسان الكل أمتي أمتي وغيره يقول نفسي نفسي. لما كان هو عبد الله، وكل عبد جزء من هذا العبد وهو الكل من مجموع خاطبه الحق بأنه أرسله رحمة لجميع خلقه الإنس والجن والمَلَك. سأل صلى الله عليه وسلم جبريل: هل نالك شيء من رحمتي التي ذكر الله أني رحمة لجميع العالمين؟ قال جبريل: نعم. كنت أخشى العاقبة لما رأيت ما وقع في إبليس، كنت أخاف جدا على خاتمتي حتى ذكرني القرآن بالصفات التي ذكرني بها "مطاع ثم أمين" فأمنت[1]. ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي ما يوحى إلي من أمر الإله إلا الوحدانية، ما أتى في القرآن ذكر آلهة، إنما أتى في القرآن وحدانية الله فقط تبارك وتعالى ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ هل أنتم تنقادون لهذه الوحدانية؟ نعم. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ من امتنع عن التوحيد فأنا أعلمته بالحرب، فلتتأهبوا للحرب ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب أو القيامة ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾

---

1 – قال القاضي عياض في الشفا: وحكي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل علي بقوله: "ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين". الشفا ج1/ ص17.

أنتم وغيركم من السر ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته ﴿فِتْنَةٌ﴾ اختبار ﴿لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ انقضاء آجالكم ﴿قُل رَّبِّ احْكُمْ﴾ بيني وبين مكذبي ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم أو النصر عليهم، فعذبوا ببدر وأحد والأحزاب وحنين والخندق، ونُصِر عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: اتخذ ولدا، وعليَّ في قولكم: ساحر، وعلى القرآن في قولكم: شعر.

سورة الحج

مكية إلا "ومن الناس من يعبد الله" الآيتين، أو إلا "هذان خصمان" الست آيات فمدنيات،
وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة. مكة أم القرى إذا قيل أهل مكة دخل جميع القرى وأهلها ﴿اتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ إن الحركة الشديدة التي تقع في الساعة، زلزلة الساعة من إضافة المصدر لفاعله ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ أمر الساعة أمر عظيم وهي الوقائع التي تقع بعد طلوع الشمس من مغربها في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ إذا جاءت أهوال يوم القيامة تنسى المرأة ولدها الذي كانت ترضعه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ المرأة تلقي حملها من شدة الفزع ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾ من الشراب ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ يخافونه. وهذا يقع عند سؤال الله تبارك وتعالى بعث النار لآدم: يقول الله يا آدم، يقول لبيك وسعديك والخير كله في يديك، يقول:

أخرِجْ من ذريتك بعث النار قال آدم: وما بعث النار يا رب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. فعند ذلك يشيب الولدان من شدة الفزع، وتلقي الحبالى أولادها، وتنسى المرضعة ولدها الذي كانت ترضعه، فلما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بكى الصحابة جميعا، قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: أبشروا، من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد[1]، فعلى هذا كثرة الكفار رحمة بالمؤمنين لأن كل واحد يجد ألفا من الكفار يفدونه من النار، ولكن على كل حال هذا هول كبير وزلزلة الساعة هذه هل هي في الدنيا أم يوم القيامة؟ فإن وضع الحمل ونسيان الرضيع هذه كأنّها أحوال في الدنيا. والصحيح أن هذه الزلزلة يوم القيامة، فعبر على عادة العرب إذا اشتد الأمر يصفونه بِهذه الأوصاف. أو أن بعض النساء يمتن حبالى ويحشرن كما متن، فإذا وقعت الزلزلة ألقت كل امرأة كانت حاملا حملها، ولكن الزلزلة يوم القيامة لأن النبي صلى الله عليه وسلم فسره بأنه قول الله لآدم: أخرج من ذريتك بعث النار. والناس يبعثون وقت الضحى، ويقومون إلى القيامة وقت الظهر، وتوزن

---

1 – جاء في الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعَ مائة وتسعةً وتسعين فذاك حين يشيب الصغير "وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكْرى وما هم بسَكْرى ولكن عذاب الله شديد" فاشتد ذلك عليهم، فقالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل، ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة، قال: فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو الرقمة في ذراع الحمار. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب قوله تعالى إن زلزلة الساعة شيء عظيم (6530). صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب يقول الله لآدم أخرج بعث النار (327).

أعمالهم وقت العصر، وتعطى الكتب وقت المغرب، ويجوزون على الصراط وقت العشاء، فلهذا أمرنا بإقامة هذه الصلوات، فهذه الصلوات تحول بين العبد وبين الفزع في تلك الساعات ذلك اليوم.

ونزل في النضر بن الحارث وجماعة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابا ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ متمرد ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضي على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي تبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوه ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ في شك ﴿مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أصلكم آدم ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ثم خلقنا ذريته من نطفة مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ هو الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ وغير تامة الخلق ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كمال قدرتنا. الله تبارك وتعالى وكل بالرحم ملكا يدعو دائما: يا رب نطفة يا رب نطفة، إذا استجاب الله دعاءه حصل الوقاع، يجمل الله المرأة في عين الرجل، والرجل في عين المرأة فيقع الوقاع، فإذا جاء المني يأخذه المَلَك ويقول: يا رب تخلق منه خلقا أم لا تخلق منه خلقا؟ هذا «مخلقة وغير مخلقة»، أخلق منه خلقا أو لا أخلق منه خلقا، إذا كان يخلق منه خلقا يؤمر بكتب أجله ورزقه وسعيد أم شقي[1]

---

[1] – عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وكل الله بالرحم ملكا فيقول: أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه. صحيح البخاري: كتاب القدر/ باب في القدر (6595). صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله (4785). وقد تقدم في الدرسين 29 و33.

ومحل دفنه[1] رفعت الأقلام وجفت الصحف[2]. الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد كذلك، ﴿وَنُقِرُّ﴾ مستأنف ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت خروجه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلاً﴾ أي أطفالا ﴿ثُمَّ﴾ نعمركم ﴿لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ﴾ الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين ﴿وَمِنْكُم مَّنْ يُّتَوَفَّى﴾ منكم من يموت قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنْكُم مَّنْ يُّرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ ومنكم من يعيش حتى يهرم ويخرف ﴿لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ هذا هو الخرف، من كان يعلم شيئا إذا ذهب عقله حتى لا يميز شيئا هذا هو الخرف، قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر إلى هذه الحالة، حملة القرآن لا يصيبهم الخرف[3] ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ ذَلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ من خلق الإنسان هكذا، وأحيى الأرض بعد موتها هكذا ذلك هو الحق ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى﴾ من قدر على إحياء الأرض قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

---

1 – جاء في حديث أخرجه أحمد في مسنده عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل فرغ إلى كل عبد من خلقه من خمس من أجله وعمله ومضجعه وأثره ورزقه. مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث أبي الدرداء (20729). وقد تقدم قريبا في الدرس 33.

2 – قوله (رفعت الأقلام وجفت الصحف) طرف من حديث أخرجه الترمذي عن ابن عباس في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ رقم (2440)، وقد تقدم في الدروس 15، 18، 20، 24، 26.

3 – روى الحاكم في مستدركه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا، وذلك قوله عز وجل: "ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا"، قال: إلا الذين قرأوا القرآن. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير /سورة والتين/ باب من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر (4000).

قَدِيرٌ﴾ وهو قدير على كل شيء أيضا ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ ونزل في أبي جهل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُّجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى﴾ معه ﴿وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ يجادل تعنتا فقط وجحودا ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ لاوي عنقه تكبرا عن الإيمان ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ليضل الناس عن دينه ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عذاب، فقتل يوم بدر ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ الإحراق بالنار، ويقال له ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ قدمته، عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ﴾ بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ نزل في بعض الأعراب كانوا إذا أسلم واحد منهم وولدت زوجته غلاما، وأتانه مهرا قال: هذا دين حسن مبارك. وإذا كان غير ذلك يقول: هذا دين مشئوم ويرتد. «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ» شك في عبادته ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ رجع إلى الكفر ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ بالكفر ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُواْ﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لاَ يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لاَ يَنفَعُهُ﴾ إن عبده ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ عبادة ما لا ينفع ولا يضر هو الضلال البعيد ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُ﴾ بعبادته ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ بل الضرر في عبادته أقرب من النفع ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾ بئس الناصر هو الصنم ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ بئس الصاحب هو هذا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ الله تبارك وتعالى يدخل المؤمنين الجنة - جعلنا الله منهم - «إن الله يفعل ما يريد» من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَّنصُرَهُ اللَّهُ﴾ من كان يظن أن الله

لا ينصر محمدا ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ فليمد حبلا طويلا ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ ليختنق بهذا الحبل حتى يموت إن كان لا يرى ما يسره في هذه الفعلة، فهو لا يرى ما يسره أبدا إن أراد أن يخذل الله محمدا ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ في عدم نصرة محمد ﴿مَا يَغِيظُ وَكَذَلِكَ﴾ مثل إنزالنا الآيات السابقة ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُّرِيدُ﴾ هداه ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ هم اليهود ﴿وَالصَّابِينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة وغيرهم النار. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ عالم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لم تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ كل ما في السماوات يسجد لله ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ جميع خلق الله في الأرض ما عدا الثقلين يسجدون لله ﴿وَالشَّمْسُ﴾ تسجد لله ﴿وَالْقَمَرُ﴾ يسجد لله ﴿وَالنُّجُومُ﴾ تسجد لله ﴿وَالْجِبَالُ﴾ كذلك تسجد لله ﴿وَالشَّجَرُ﴾ يسجد لله ﴿وَالدَّوَابُّ﴾ تسجد لله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ هم المؤمنون أيضا يسجدون لله ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ فضيحة على الإنسان، جميع خلق الله يسجدون لله، أما بنو آدم ففيهم من يسجد لله وفيهم من لا يسجد له، ومن يسجدون لله أقل من الذين لا يسجدون لله «وكثير حق عليه العذاب» الكافرون من بني البشر أكثر من المؤمنين، المؤمنون أقل، بنو آدم عشرة أجزاء تسعة منهم يأجوج ومأجوج كفار كلهم، وجزء منهم مؤمنون، والمؤمنون عشرة أجزاء تسعة منهم منافقون، وواحد منهم مؤمن، والمؤمنون المحقون عشرة أجزاء تسعة منهم عصاة وواحد منهم مطيع، والمطيعون عشرة أجزاء تسعة منهم جهال، وواحد منهم يعبد الله حقا، والذين يعبدون الله حقا عشرة أجزاء تسعة منهم في الطريق وفي البرزخ، وواحد منهم أهل المنزل

والوصلة، ما وصل إلا واحد[1]. قطاع الفيافي كثيرون ولكن الواصلين قليل، الحكمة في خلق هذه الموجودات هي إظهار الإنسان الكامل، هو هذا الواحد الذي وصل إلى المراد، و لِمَ يكون المؤمنون أقل من غيرهم؟ لأن الله تبارك وتعالى يرينا استغناءه عن جميع خلقه، فجعل أكثر الناس كفارا وأقلهم مؤمنين، لأنه غني، وليري عزة المؤمنين، لأن الشيء إذا كان قليلا يكون عزيزا، وإذا كان كثيرا استهانوا به، فلما كان الإيمان قليلا كان المؤمنون أعزاء، والإيمان عزيزا كالمعادن لما كانت قليلة أقبل الناس عليها واستعظموها، وليري المؤمنين أنه قادر على حفظهم من أعدائهم مع كثرتِهم وقوتِهم، كل هذا صحيح ولكن ينافي قوله تعالى في الحديث الرباني: (إن رحمتي سبقت غضبي)[2]، إذا كان الكفار أكثر يكون أهل الغضب أكثر، وقد ثبت أن أهل الرحمة أكثر، نعم قلة المؤمنين بالنسبة إلى بني آدم، أما بالنسبة إلى جميع المخلوقات، فالملائكة والحور العين والولدان والغلمان وما هنالك أكثر بكثير من الكفار، فصار أهل الرحمة أكثر من أهل الغضب ولكن في حق بني آدم المؤمنون أقل من غيرهم لعزتِهم وشرفهم، وليرينا الله قدرته على حفظنا من بين أعدائنا الذين أحاطوا بنا من كل جانب ولم يقدروا أن يضرونا بشيء. ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾ يشقه ﴿فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ مسعد، من أراد الله شقاءه لا يوجد من يسعده ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإهانة والإكرام ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ المؤمنون والكفار، المؤمنون

---

1 – ورد هذا الكلام في روح البيان ج6/18

2 – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي. صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (7453). صحيح مسلم: كتاب التوبة /باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (4940). وقد تقدم في الدروس 16، 20، 32.

خصم والكفار خصم، ﴿اخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ قيل نزلت يوم بدر في مبارزة عتبة وشيبة والوليد لعلي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وأبي عبيدة بن الحارث بن مطلب. وعلي كرم الله وجهه يقول: أنا أول من يجثو يوم القيامة لخصمي[1] لأن أول ما يقضى به بين الناس يوم القيامة الدماء[2]، وأول قتيل هو قتيل علي، هو أول من قتل في سبيل الله، فلهذا يكون أول من يخاصم يوم القيامة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة، ﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من شحوم وغيرها ﴿وَ﴾ تشوى به ﴿الْجُلُودُ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ لضرب رؤوسهم ﴿كُلَّمَا أَرَادُواْ أَنْ يَّخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ ردوا إليها بالمقامع ﴿وَ﴾ قيل لهم ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ البالغ نهاية الإحراق. وقال في المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا ﴿وَهُدُواْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿وَهُدُواْ إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ طريق الله المحمودة ودينه

---

1 - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. وقال قيس بن عباد وفيهم أنزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم، قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب قتل أبي جهل (3965).

2 - عن عبد الله (وهو ابن مسعود) قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول ما يقضى بين الناس في الدماء. صحيح البخاري: كتاب الديات/ باب قوله تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم (6864). وفي صحيح مسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات/ باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه (3178).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَ﴾ عن ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ﴾ منسكا ومتعبدا ﴿لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ﴾ المقيم ﴿فِيهِ وَالْبَادِ﴾ الطارئ ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ بسببه بأن ارتكب منهيا ولو شتم الخادم ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم. هذا بيت الله تبارك وتعالى، سواء العاكف فيه والبادي، أهل البلد والغرباء سواء فيه، ومن ظلم في هذا البيت أذاقه الله من عذاب أليم. اختلف العلماء هل الخواطر تكتب على صاحبها، فقيل لا تكتب إلا في مكة لعموم هذه الآية «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم»[1] فلهذا كان ابن عباس لا يسكن مكة إنما يسكن الطائف[2] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾ بيّنا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ الخليل ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ ليبنيه وكان قد رفع من الطوفان وأمرناه ﴿أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمع راكع وساجد أي المصلين. إبراهيم لما هاجر من سواد العراق إلى الشام كانت معه زوجته سارة وكانت عقيما، وهي أحسن الناس كما في الحديث[3]، حتى أن حسن يوسف لشبهه بها. ولما أراد إبراهيم أن يخرج إلى فلسطين كان في الطريق ملك جبار يأمر أصحاب مكسه أن من مر بامرأة جميلة يأخذها

---

1 – قال القرطبي في الجامع: ومن نوى سيئة لم يعملها لم يحاسب عليها إلا في مكة، هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم ج36/12.

2 – انظره في روح البيان ج22/6.

3 – أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله: قوله إني سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس.. الحديث. صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب من فضائل إبراهيم الخليل (4371). وقد تقدم في الدرس 5 والدرس 33.

منه قهرا إن كانت زوجته، وإن لم تكن زوجته لا يتعرضون لها. أما من قال: هذه زوجتي، يقول الملك: لا أنا أحق بِها. وكان إبراهيم قصد تلك الطريق، وإبراهيم غيور، وامرأته أجمل الناس، فلما دنوا من المحل، محل المكس خاطبها إبراهيم: ليس على وجه الأرض مسلم أو مسلمة غيري وغيرك، هذا الملك لا يقبل أحدا عنده زوجة جميلة إلا وأخذها، فإذا سئلت فقولي إنك أختي، وأنا أقول هي أختي. فلما مروا بالمكاس، وكان إبراهيم، فعل حزما صنع صندوقا وقفله على زوجته، وأتى لأهل المكس، سألوه: ما في الصندوق؟ قال لهم: اقضوا ما شئتم فقط إن شئتم قلتم إن الصندوق مملوء ذهبا أو فضة أو ما شئتم أعطيكم ربعه فقط ولا تفتحوا صندوقي، فأبوا إلا أن يفتحوه، ففتحوه فإذا فيه سارة، أخذوها وذهبوا بِها إلى الملك، وبقي إبراهيم، وإبراهيم غيور، فكشف الله عنه الحجاب فلم تغب المرأة عن عينه طرفة عين لئلا يدخله الشك[1]، فلما دخلت على الملك مد يده إليها فشلت يده، فصرعه الجن حتى خبت على الأرض، فاستغاث بِها ورجع عنه ما كان يجد، فمد يده مرة ثانية وقع له ذلك ثلاث مرات، قال لها: أنت ساحرة؟ قالت: لا. قال: ما هذا الذي يقع فيّ إذا تعرضتُ لكِ؟ قالت: أنا زوجة إبراهيم الخليل، والجليل يحفظني من غير الخليل، فوهب لها جارية اسمها هاجر، بعدما أراد نكايتها ثقب أذنَها وجعل فيها حليا فصار النساء كلا يفعلن هذا لشدة جمالها فرجعت إلى إبراهيم قالت له: علمتَ أن الله كف العدو وأخدمنا جارية هاهي هدية مني إليك، لأنك لم تجد ولدا مني، تسَرّ بِهذه الجارية لعل الله أن يرزقك ولدا، فتسرى بِها

---

1 – جاء في قصص الأنبياء المسمى بالعرائس: إن الله تعالى رفع الحجاب بين إبراهيم وسارة حتى كان ينظر إليها من وقت خروجها من عنده إلى وقت انصرافها إليه كرامة لها وتطييبا لقلب إبراهيم عليه السلام. ص82 ط دار الفكر

إبراهيم فولدت إسماعيل[1]، والمرأة ربما تحملها الغيرة على الولادة، فغارت وحملت هي بإسحاق، فكان إسماعيل أكبر من إسحاق، إذا خرجا ضرب إسماعيل إسحاق، فقالت سارة إنّها لا تصبر على هذا جارية كانت تملكها صار ولدها يضرب ولدها دائما، هذا لا صبر لها عليه، لابد أن إبراهيم يخرج بِهاجر وولدها إلى ما شاء الله، لا يساكنوهم بعد[2]. فخرج إبراهيم يركب بعيرا يتزود سقاء من ماء ووعاء من تمر، حتى أتى لمحل مكة، فتركهما هنالك وذهب، فقالت هاجر: إبراهيم تتركني في هذه الفلاة ليس فيها أنيس لا ماء ولا شيء؟ ذهب إبراهيم مسرعا و لم يلتفت إليها، حتى قالت له: آالله أمرك بِهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً فاذهب فإن الله لا يضيعنا،

---

1 – عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال له لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأتي بها فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت، فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين فقال: ادعي الله أن يطلق يدي فلك الله أن لا أضرك ففعلت وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له إنك إنما أتيتني بشيطان و لم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر قال فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف فقال لها: مهيم، قالت: خيرا كف الله يد الفاجر وأخدم خادما، قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب من فضائل إبراهيم الخليل (4371). صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلا" (3358). واللفظ لمسلم.

2 – قال ابن حجر في فتح الباري: ويقال إن سارة اشتدت بها الغيرة فخرج إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة لذلك. ج6/401.

فبقيا هنالك، فلما عطشا، أتى جبريل وضرب بقدمه الأرض فنبعت بئر زمزم فسكنا هنالك حتى كبر إسماعيل أمر الله إبراهيم أن يأتي ليبني هذا البيت، والكعبة بنيت قبل آدم بناها الملائكة أولا، فلما نزل آدم بناها مرة ثانية، فلما جاء الطوفان رفعها الله إلى السماء، فأتى إبراهيم وأمِر بتجديد بنائها أيضا، ولم يعلم مكانَها أرسل الله خجوجا[1] إعصارا فبين محل البيت، فنزل مطر أيضا لم يتجاوز محل البيت فحفر إبراهيم ورأى الأساس الذي وضعته الملائكة فبنى عليه هذا البيت، كان يبني وإسماعيل يعينه وجبريل وميكائيل هم أربعة رسل اثنان من الملائكة واثنان من بني آدم. لما أتم البناء أمره الله أن ينادي الناس للحج قال: كيف أناديهم وهم في أصلاب آبائهم ما ولِدوا بعد؟ قال: ناد، عليك النداء وعلي أن أسمعهم، فوقف إبراهيم على مقام إبراهيم بعدما وضعه فوق جبل أبي قبيس فنادى بأعلى صوته: يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كُتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، كل من استجاب في ذلك الوقت لابد أن يحج، من أجاب مرة واحدة حج مرة، ومن أجاب مرارا حج مرارا، وجمع ما كان يسقط من الطين والحجارة وقت بنائه للكعبة فجمعه وألقاه على وجه

---

1 – في لسان العرب: خجج: خجت الريح في هبوبها تخج خجوجا: التوَت، وريح خجوج تخج في هبوبها أي تلتوي، والخجوج من الرياح الشديدة المر. قال ابن سيده: وقيل هي الشديدة من كل ريح ما لم تثر عجاجا. وروى الأزهري بإسناده عن خالد بن عروة قال: سمعت عليا عليه السلام وذكر بناء الكعبة فقال: إن إبراهيم حين أُمِر ببناء البيت ضاق به ذرعا، قال: فبعث الله إليه السكينة وهي ريح خجوج لها رأس فتطوقت بالبيت كطوق الحجفة، ثم استقرت، قال: فبنى إبراهيم حين استقرت..الخ. وقال الأصمعي: الخجوج: الريح الشديدة المر. وأصل الخج: الشق، قال ابن الأثير: وجاء في كتاب المعجم الأوسط للطبراني عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "السكينة ريح خَجوج".

الأرض، كل محل سقط فيه شيء من ذلك لابد أن يبنى فيه مسجد أو جامع ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾ مشاة جمع راجل ﴿وَ﴾ ركبانا ﴿عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ بعير ﴿يَأْتِينَ﴾ الضوامر ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ طريق بعيد ﴿لِيَشْهَدُواْ﴾ ليحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ يحجون ويشهدون منافع لهم، الحج فيه منافع جمة، للتجارة أو منافع الآخرة ﴿وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ عشر ذي الحجة على مذهبهم أو يوم عرفة أو يوم النحر أو إلى آخر أيام التشريق، هذا مذهبنا[1] ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطْعِمُواْ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الشديد الفقر ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ يزيلوا أوساخهم وشعثهم ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ القديم لأنه أول بيت وضع للناس ﴿ذَلِكَ﴾ الشأن كما ذكر ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ تعظيمه ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ أكلا بعد الذبح ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى

---

1 – تقدم في الدرس السادس كلام لمولانا الشيخ رضي الله عنه في الخلاف حول الأيام المعدودات والمعلومات نورده بنصه لمزيد فائدة قال: والأيام المعدودات اختلف فيها مالك والشافعي، مالك يقول: يوم النحر وتالياه، والشافعي يقول: أيام التشريق هي الأيام المعدودات بدليل «فمن تعجل في يومين» من أيام التشريق «فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه» فصلت الآية الأيام المعدودات من أيام الرمي وهي أيام التشريق، فاليوم الأول يوم النحر معدود، وقال الله في آية الحج «واذكروا الله في أيام معدودات» والأيام المعلومات عند مالك ثلاثة أيام بعد يوم النحر فاليوم الأول معدود عنده غير معلوم، واليومان معدودان معلومان واليوم الرابع معلوم غير معدود، هذا مذهب مالك. انتهى. وقال ابن عباس الأيام المعدودات أيام التشريق والأيام المعلومات أيام العشر. وقال عكرمة "واذكروا الله في أيام معدودات" يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات الله أكبر الله أكبر. ابن كثير ج245/1.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في "حرمت" ﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ الرجس الذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ﴾ الشرك بالله ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ تأخذه بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ تسقطه ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد، فهو لا يرجى خلاصه ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا﴾ تعظيمها وهي البُدْن ﴿مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ منهم ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ مكان حل نحرها ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ عنده، المراد الحرم جميعه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ ذبحا قربانا أو مكانه ﴿لِيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ﴾ الله ﴿مِن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواْ﴾ انقادوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المطيعين المتواضعين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ من البلايا ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ الذين يقيمون الصلاة في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وينفقون مما رزقناهم ﴿وَ﴾ جعلنا ﴿الْبُدْنَ﴾ جمع بدنة وهي الإبل ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ من أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ نفع في الدنيا كما تقدم وأجر في العقبى ﴿فَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَافَّ﴾ قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾ سقطت ﴿جُنُوبُهَا﴾ إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُواْ الْقَانِعَ﴾ الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ السائل أو المتعرض ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التسخير ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ بأن تُنحَر وتُركب وإلا لم تطق، لولا أن الله سخر الإبل ما انتفعنا بها لأنّها قوية جدا ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنعامي عليكم ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ

﴿لُحُومُهَا﴾ لا يرفع اللحم مقام الشخص ﴿وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ إنما الذي يرفع العبد هو العمل الصالح الخالص له مع الإيمان[1] ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الموحدين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ غوائل المشركين ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانته ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمته، وهم المشركون ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ المؤمنين ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿ظُلِمُواْ﴾ بظلم الكافرين إياهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿إِلاَّ أَن يَقُولُواْ﴾ إلا بقولهم ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وحده، وهذا القول حق، فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْلاَ دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ دفع الله الناس بعضهم ﴿بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ كنائس النصارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كنائس اليهود ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ المساجد للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ أخر المساجد وهي أعلى مقاما من غيرها، لأن التقديم لا يقتضي شيئا كما في قوله "فمنكم كافر ومنكم مؤمن" يذكر فيها ﴿اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ أي ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾ منيع في سلطانه وقدرته ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَءَاتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ إن الله تبارك وتعالى لينصر هؤلاء ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ إليه مرجعها ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ كذبوا نوحا ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود كذبوا هودا ﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح كذبوا صالحا ﴿وَقَوْمُ

---

1 ـ في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (4651). وقد تقدم في الدروس18، 26، 29

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ كذبوا إبراهيم ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ كذبه القبط وفرعون ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ معناه واقع موقعه ﴿فَكَأَيِّنْ﴾ كم ﴿مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أهلها بكفرهم ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها ﴿وَ﴾ كم من ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ رفيع خال بموت أهله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبرون ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ العمى إنما هو عمى القلب، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزال العذاب فأنزله يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ المصير إلي ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار وأنا بشير للمؤمنين ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ القرآن بإبطالها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مقدرين العجز من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويثبطونهم عن الإيمان أي مقدرين عجزنا عنهم ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ سبب نزول هذه الآية، وقد زلت قدم المفسر هنا فإنه قال: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم بسورة النجم بمجلس من قريش بعد "أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى" بإلقاء الشيطان على لسانه من

غير علمه صلى الله عليه وسلم به تلك الغرانيق العلى[1] وإن شفاعتهن لترتجى ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن، فسلي بِهذه الآية ليطمئن، هذا قول المفسر[2]، مشى على حديث الغرانيق، وهو حديث موضوع، ما أتى إلا من طريق الكلبي وهو كذاب معروف بالكذب[3]، وهذا مستحيل في حق النبي صلى الله عليه وسلم لأن الشيطان إذا أمكنه أن يقرأ على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فلا نؤمن بالقرآن إذاً يمكن أن هذه الآية التي تقدمت أيضا بقراءة الشيطان، إذاً نشك في القرآن، ونشك في النبي صلى الله عليه وسلم ونشك في الشريعة فيفسد الدين تماما، أعاذنا الله من صحة هذا الحديث، إنما هو كذب لا أصل له ولا يمكن بحال من الأحوال أن يصدر هذا، لقول الله تبارك وتعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" ولقوله "ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين" إذا لو قال مثل هذا القول لوقع به هذا، فإذاً هذا الحديث موضوع وليس في الكتب الستة إنما لا يأتي إلا من طريق الكلبي، والكلبي كل أهل الحديث أجمعوا على أنه كذاب وواضع للأحاديث، وهذا

---

1 – الغرانيق في لسان العرب لابن منظور: وفي الحديث تلك الغرانيق العلى، هي الأصنام وهي في الأصل الذكور من طير الماء. ابن الأنباري: الغرانيق الذكور من الطير، واحدها غرنوق وغرنيق سمي به لبياضه، وقيل هو الكركي، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله عز وجل وتشفع لهم إليه فشبهت بالطيور التي تعلو وترتفع في السماء.

2 – جلال الدين المحلي في الجلالين عند تفسير الآية.

3 – نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري عن البزار قال : وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس والكلبي متروك ولا يعتمد عليه. ونقل عن عياض قوله : وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: كتاب التفسير / سورة الحج.

الحديث من وضعه. الصحيح ما نقول، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم حول الكعبة، وأول ما سمعت جماعة قريش من النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم، فلما انتهى إلى آخر السورة سجد النبي صلى الله عليه وسلم، فسجدوا كلهم المسلمون والكفار جميعا إلا واحدا منهم قال: لا يعلوني دبري أبدا، أخذ تبنة من الأرض ووضعها على جبهته فقال يكفيني هذا، فقتل كافرا[1]. إنما الذي تقول الآية أن كل نبي بعثه الله يأتى بالحق، إنما الشيطان يلقي الوساوس في قلوب بعض الناس فيكفرون بالنبي صلى الله عليه وسلم، فالله تبارك وتعالى يذهب بما يلقي الشيطان في بعض قلوب الناس فيثبت فيهم الحق فيؤمنون كما وقع لجميع الناس مع جميع الأنبياء «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ» ﴿وَلاَ نَبِيءٍ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى﴾ إلا إذا قرأ[2] ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ألقى شكا في قلوب من يسمع قراءته يشك فيه هل هذا آت من عند الله أم لا ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ﴾ يبطل ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ﴾ يثبتها في قلوب من أراد إيمانه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه يفعل ما يشاء ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ من أراد الله به الكفر والنفاق يبقي فيه إلقاء الشيطان

---

1 - عن عبد الله رضي الله عنه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف. صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب فاسجدوا لله واعبدوا (4863).

2 - جاء في اللسان (مادة مني): تمنى الكتاب قرأه وكتبه وفي التنزيل العزيز "إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" أي قرأ وتلا فألقى في تلاوته ما ليس فيه، قال في مرثية عثمان رضي الله عنه:

[تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر]

والتمني التلاوة وتمنى إذا تلا القرآن وقال آخر:

[تمنى كتاب الله آخر ليله تمني داود الزبور على رسل].

الذي هو الشك والوسوسة ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المشركين ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ القرآن ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ﴾ تطمئن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءامَنُواْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق مستقيم دين الإسلام ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ حتى يأتي يوم القيامة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يوم بدر ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ وحده ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين ﴿فَالَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الحكم هكذا ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ فضلا من الله تبارك وتعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ شديد ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُواْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أفضل المعطين ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾ إدخالا أو موضعا يرضونه، ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنياتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن عقابهم ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قصصنا عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ظلم فانتقم من ظالمه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ منهم أي ظلم بإخراجه من منزله ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين ﴿غَفُورٌ﴾ لهم عن قتالهم في الشهر الحرام إذا قوتلوا فيه ﴿ذَلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ﴾ يدخل كلا منهما في الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التي بها النصر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم ﴿ذَلِكَ﴾ النصر أيضا ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

هُوَ الْعَلِيُّ﴾ العالي على كل شيء بقدرته ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي مطرا ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات، وهذا من آثار قدرته ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأوليائه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم ﴿وَالْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾ من ﴿أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ فتهلكوا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ في التسخير والإمساك ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ المشرك ﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله تبارك وتعالى بتركه توحيده ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ﴾ يراد به لا تنازعهم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أمر الذبيحة، إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم، هذا جدال باطل كان يلقيه الكفار، ولكن لا تتنازع معهم فيه ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى﴾ دين ﴿مُسْتَقِيمٍ وَإِن جَادَلُوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ ما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ علم ما ذكر ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل على الله تبارك وتعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي المشركون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ هو الأصنام ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة ﴿وَمَا

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمُنكَرَ﴾ الإنكار لها أي أثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يقعون ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ يقبضون على القرآن حتى لو قدروا لوقعوا على القارئ وبطشوا به ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ﴾ بأكره إليكم من القرآن المتلوّ عليكم، أنتم تكرهون القرآن أنبئكم بشيء تكرهونه أشد من القرآن ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هو أنكم جميعا من أهل النار، وهذا أشد عليكم من القرآن ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ومصيركم بئس المصير ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ﴾ الله تبارك وتعالى ضرب مثلا فاستمعوا لهذا المثل ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره وهم الأصنام ﴿لَنْ يَّخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ لم يقدروا على خلق ذبابة واحدة ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ﴾ إذا اجتمع الأصنام جميعا لإيجاد ذبابة واحدة ما قدروا ﴿وَإِنْ يَّسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخين به ﴿لاَ يَسْتَنقِذُوهُ﴾ لا يستردوه ﴿مِنْهُ﴾ لجهلهم يعلقون الطيب والزعفران على الأصنام تعظيما لها فيقع الذباب على الصنم يسلبه ما لطخ به ولا يقدر على طرده مسكين لعجزه فكيف يعبدون شركاء لله تبارك وتعالى؟ ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ العابد ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ العابد الذي يعبد هذا ضعيف، ضعيف العقل، والمعبود الذي لا يقدر أن يخلق ذبابا ولا أن يسترد منه شيئا ضعيف أيضا ﴿مَا قَدَرُواْ اللَّهَ﴾ ما عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾ عظمته ما عظموا الله حق تعظيمه، أو ما عرفوا الله حق معرفته حيث يشركون به هذا الصنم العاجز ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ لأن الله تبارك وتعالى قادر على كل شيء ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ لما قال المشركون "أأنزل عليه الذكر من بيننا"؟ قال الله تبارك

وتعالى «الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس» اصطفى من الملائكة جبريل وميكائيل، واصطفى من الناس محمدا وإبراهيم ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما قدموا وما خلفوا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ الأمور كلها ترجع إلى الله تبارك وتعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُوا﴾ أي صلوا، الصلاةُ بالركوع والسجود خاصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ وحدوه ﴿وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ﴾ جميع الخير كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ صلوا لله تبارك وتعالى الصلوات الخمس، خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة، ووحدوه تبارك وتعالى، وافعلوا الخير، أبواب الخيرات كثيرة، منها النوافل، الصلاة بالليل، ومنها الصيام صيام التطوع، ومنها الإنفاق، وقراءة القرآن، وذكر الله، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وحج البيت، وجوه الخير كثيرة وطبائع الإنسان مختلفة، ربما يفتح الله على عبد في صلاة ولا يفتح عليه في صيام، ويفتح على عبد في صيام ولا يفتح عليه في حج، ويفتح الله عليه في حج ولا يفتح عليه في تلاوة، يفتح عليه في تلاوة ولا يفتح عليه في إنفاق، فكل إنسان وجد بابا من أبواب الخير له قابلية عليه فليلازم ذلك فقط، الخير كله سواء «افعلوا الخير لعلكم تفلحون» ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا أن (من كسا عريانا كساه الله من سندس الجنة)، وقال (من سقى ظمآنا سقاه الله من رحيق الجنة)[1] وقال (من أطعم لقمة واحدة غفر الله

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمإ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عري كساه الله من خضر الجنة). سنن الترمذي:

له وأعتقه من النار)[1] كل هذه من أبواب الخير. ﴿وَجَاهِدُواْ فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستفراغ الطاقة فيه ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ضيق بأن سهله عند الضرورات، دين النبي صلى الله عليه وسلم يسر، كالقصر إذا سافر، والتيمم إذا عدم الماء، أكل الميتة إذا فقد الحلال، والفطر للمرض والسفر في الصوم، كل هذا تسهيل من الله تبارك وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ الزموا ملة أبيكم ﴿إِبْرَاهِيمَ هُوَ﴾ الله ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ﴾ إن الله سمى أمة محمد المسلمين قبل هذا الكتاب، في كتبه المنزلة قبل القرآن أن أمة محمد هم المسلمون ﴿وَفِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُواْ﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رسلهم بَلَّغتهم. أول ما يحاسِب الله تبارك وتعالى القلم[2]، يقول الحق للقلم: هل بلغت للوح ما أمرتك بإبلاغه؟ يقول: نعم بلغتُ، ويقول للوح: هل بلّغ لك القلم؟ يقول اللوح: نعم بلّغ لي القلم. يقول للوح: هل بلغت لجبريل ما أمرتك بتبليغه له؟ يقول: بلغت لجبريل. يقول لجبريل: هل بلغك اللوح؟ يقول: نعم بلّغ لي اللوح. يقول لجبريل: هل بلغت لنوح أول الأنبياء؟ يقول: نعم بلغت لنوح. يقول لنوح: هل بلغ لك جبريل؟ يقول: بلغ لي جبريل. يقول له الحق: وهل بلغت لأمتك؟ يقول: بلغت لأمتي فكفروا. يقول لأمة نوح: هل بلّغ لكم نوح؟ يقولون:

كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ باب ما جاء في صفة أواني الحوض (2373). وفي سنن أبي داود: كتاب الزكاة/ باب في فضل سقي الماء (1432).

[1] – وأخرج السيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة: (من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار) للبيهقي في شعب الإيمان، حديث حسن ج2/ رقم 8465.

[2] – انظره في روح البيان ج7/ 142.

كذب ما بلغنا، ما جاءنا من بشير ولا نذير. يقول لنوح: هل لك من شاهد يا نوح؟ يقول: نعم أمة محمد صلى الله عليه وسلم. فتشهد أمة محمد أن نوحا بلغ لأمته فكفروه لأنّهم يقرأون سورة "إنا أرسلنا نوحا إلى قومه" إلى آخرها فيقولون: كيف يشهد علينا هؤلاء وهم أتوا بعدنا؟ فيقول الله: لِمَ تشهدون على هؤلاء وأنتم غائبون؟ قالوا: إن الله بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، فأنزل عليه كتابا "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" وذلك الكتاب أخبرنا "إنا أرسلنا نوحا إلى قومه" إلى آخره[1]. فقامت حجة نوح عليه الصلاة والسلام فلهذا يقول الله: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ دوموا عليها ﴿وَءَاتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ﴾ ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلاَكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو الله تبارك وتعالى، لا ناصر ولا مولى حقيقة إلا الله تبارك وتعالى، غيره يخذل من نصره والله تبارك وتعالى من نصره لا يخذل "إن ينصركم الله فلا غالب لكم". صدق الله العظيم. اللهم صل على سيدنا محمد.

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب، فيقول هل بلغت؟ فيقول نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا فذلك قوله جل ذكره "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" والوسط العدل. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء (4487).

الدرس الخامس والثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـــم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

سورة المؤمنون

مكية مائة وثمان عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ الذين آمنوا بالله ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ وصف المؤمنين بهذه الصفات، الإيمان وحده لا يكفي، وهو الإيمان بالله وبما ثبت إتيان النبي صلى الله عليه وسلم به ضرورة، من آمن بهذا فهو المؤمن، هذا اعتقاد بالقلب لابد أن يكون مقرونا بعمل الجوارح أيضا، النطق باللسان والعمل بالجوارح «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» الذين يقيمون الصلوات ويخشعون في صلاتهم أي يتواضعون فيها، الخشوع خشوع الجوارح، والضراعة خشوع الباطن، الخشوع في الصلاة مشروط، خشوع الرأس أن يكون منتكسا، وخشوع البصر عدم الالتفات يمينا أو شمالا، وخشوع الأذن الاستماع للقراءة، وخشوع اللسان النطق بالقرآن، وخشوع اليدين وضع اليمين على الشمال

فوق الصدر، وخشوع القدمين ثبوتُهما، وخشوع القلب عدم جولان الخواطر في الشهوات، هذا خشوع الجوارح، أي خشوع ظاهر. وبقي خشوع الباطن، خشوع الباطن الذكر والحضور مع الله وعدم التفكر في سوى الله، وخشوع الروح عدم الالتفات إلى غير الله، وخشوع السر عدم وجود ما سوى الله تبارك وتعالى، أول ما وصف المؤمنين في هذه الآي بالخشوع، والخشوع المعتبر منه عمل القلب ولكن الظاهر عنوان الباطن، والخشوع الظاهر يورث الخشوع الباطن. رأى النبي صلى الله عليه وسلم مصليا يلتفت يمينا وشمالا، فقال: (لو خشع قلبه لخشعت جوارحه)[1] فعلى هذا الإنسان يلازم الخشوع ظاهرا والأدب ظاهرا حتى يصل إلى الخشوع باطنا والأدب باطنا، فإذا كمل وتقوى ربما لا يؤثر في خشوعه شيء، كما كان عمر أخشع أهل زمانه وكان إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع[2] ومع هذا كان غاية في الخشوع لكن هذا بعد بلوغه الكمال. والله تبارك وتعالى أمرنا بالصلاة، والصلاة في كل دين من الأديان السماوية، طلب إبراهيم بقوله "رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي" "إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" وأمر بِها موسى عليه الصلاة والسلام "وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة" وتكلم عيسى في مهده وذكر الصلاة "إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيئا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة" ومحمد صلى الله عليه وسلم أمره الله هو وأمته بإقامة الصلاة، ليس مجرد صلاة فقط "أقيموا الصلاة" "الذين يقيمون الصلاة"

---

1 – (لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه). الحكيم عن أبي هريرة حديث ضعيف الجامع الصغير ج2/ رقم 7447.

2 – ذكره القرطبي ج375/1، وفي تفسير روح البيان ج125/1.

أي يقوّمونَها، يصلون صلاة مستقيمة، وذلك بالإتيان بشرائطها وأركانِها وبأدائها في الجماعة "واركعوا مع الراكعين" وفي الوقت "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا" وبالخشوع فيها «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتِهم خاشعون» فالنبي صلى الله عليه وسلم امتثل هذه الأوامر كلها، ما ترك منها شيئا هو وأصحابه ومن اتبعه إلى يوم الدين - جعلنا الله وإياكم منهم - ذكرهم الله تبارك وتعالى "إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي اليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك" وذكر مصيرهم، سيأتي مصيرهم في آخر هذه الآية. "أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس"، وأعداء النبي صلى الله عليه وسلم على رأسهم أبو جهل ومن تبعه إلى يوم الدين رفضوا هذا الأمر تماما، امتنعوا من الصلاة لاسيما من شرائطها فذكرهم الله "فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى" وذكر مصيرهم "ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين". الصلاة هي عماد الدين وهي الصلة بين العبد وبين ربه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدون ينفقون من أموالهم، يؤدون حق الأموال ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ زوجاتِهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ السراري ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانِهن. كذلك من شرائط الإيمان حفظ الفرج إلا على الحلال الزوجة وملك اليمين، ملك اليمين يعم النساء والرجال، ولكن المراد هنا النساء فقط، وملك اليمين لا يطلق إلا على العبيد والجواري، الدور والحيوانات لا يقال لها ملك اليمين. الفرق أن ملك اليمين ليس كغيره، أنت إذا ملكت عبدا أو أمة مثلا لك أن تتناول ما يجوز لك منه وليس لك سوى ذلك، لا تقدر أن تذبحه كما تذبح الحيوان، لا تقدر أن تَهدمه كما تَهدم بنية دارك، إنما تتصرف فيه فقط، فليس ملكا حقيقيا فلهذا يقال له ملك اليمين.

(...)[1] ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ من الزوجات والسراري كالاستمناء باليد في إتيانهن ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم، من تجاوز الحلال إلى الحرام صار عاصيا وصار عاديا، والمعصية مشئومة، العبد المسلم كان اسمه المطيع، فبارتكاب المعصية تبدل اسمه صار عاديا وعاصيا، يخشى حيث بدل الاسم أن يبدل الصفة ويبدل بعد ذلك الذات ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ جمعا ومفردا ﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ حافظون لأماناتِهم، الأمانة التوحيد، والعهد كذلك "ألست بربكم قالوا بلى" ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يقيمونَها في أوقاتِها ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ لا غيرهم ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر المبدأ. الإنسان إذا حافظ على هذه الخصال التي من أول هذه السورة استحق الفردوس عطاء من الله تبارك وتعالى ويسمى هذا الإعطاء إرثا لأن الإرث أقوى أسباب الملك، أو لأن المؤمنين يرثون ديار الكافرين، كل إنسان خلق له منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا كفر أحد فقد منزله في الجنة فالمؤمن يملك منزله ومنزل الكافر معه فلهذا يسمون الوارثين[2]، لما ذكر المعاد ناسب أن يذكر المبدأ فقال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ

---

1 - هنا سئل الشيخ فأجاب بقوله: [حرمت إذا كانت محرما حرمت، فيها شبهة لا تحل؛ سئل عثمان وكان يتهم بالجمع بين الأختين الجاريتين، سئل عن الجمع بين الجاريتين والله يقول: "وأن تجمعوا بين الأختين" قال: حرمته آية وأحلته آية وأنا لا أفعله، حرمته آية "وأن تجمعوا بين الأختين" وأحلته الآية التي أطلقت جواز ملك اليمين على كل حال، إذا كان ملكا فهذه آية تحله، ولكن الأحاديث والآيات بعضها يقيد ما أطلق في بعضها].

2 - أخرج ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون). سنن ابن ماجه :كتاب الزهد/ باب صفة الجنة (4332).

﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ من خلاصة ﴿مِن طِينٍ﴾ الله تبارك وتعالى خلق آدم من طين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ الإنسان الذي هو من نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ منيا ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دما جامدا ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحما قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ صيرناه لحما ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بعد هذه التطورات أنشأ الله خلقه فنفخ فيه الروح فصار حيوانا بعدما كان جمادا ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ كثرت خيراته وهو أحسن المقدرين، أكمل الخالقين ولا خالق سواه. كان عمر بن الخطاب يستمع عند نزول هذه الآية، فلما وصل إلى هنا جرى على لسانه «فتبارك الله أحسن الخالقين»[1] وكان كاتب النبي عبد الله بن أبي سرح لما وصلت الآية إلى هنا قال: «فتبارك الله أحسن الخالقين» فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا، هكذا أنزل «فتبارك الله أحسن الخالقين» أما عبد الله بن أبي سرح فقد ارتد، قال إن القرآن يتتبع ما يقول هو[2]، وعمر يفتخر بِهذه المنقبة، السعادة والشقاوة، عمر كان يفتخر بموافقته للوحي حيث سبق لقلبه أن قال «فتبارك الله أحسن الخالقين» فجاء الوحي هكذا

---

1 – عن عمر قال: وافقت ربي في أربع قلت: يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل الله "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" وقلت يا رسول الله لو ضربت على نسائك الحجاب فإنه يدخل عليهن البر والفاجر فأنزل الله "وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب" ونزلت: هذه الآية "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين" إلى قوله "ثم أنشأناه خلقا آخر" فلما نزلت قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت "فتبارك الله أحسن الخالقين". ودخلتُ على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لهن: لتنتهين أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية "عسى ربه إن طلقكن". كنز العمال: كتاب الفضائل/ باب فضائل الصحابة/ فضائل الفاروق رضي الله عنه (35747).

2 – قال القرطبي في الجامع: ويروى أن قائل ذلك عبد الله بن أبي سرح وبهذا السبب ارتد وقال آتي بمثل ما يأتي محمد. ج12/110. وللنسفي في الأنعام 92-94.

"من يهد الله فهو المهتدي" ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ ستموتون بعد هذا ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للحساب والجزاء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ سماوات جمع طريقة لأنّها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ وما كنا غافلين عن الخلق تحتها، يحفظ السماوات وما فيها و لم يغفل عمن تحت السماوات من المخلوقات أن تقع عليهم ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ قدر كفايتهم ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أسكنّا الماء في الأرض إذا حفرت وجد ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ هذا الماء الذي تعيشون به لو شاء الله لذهب به فتموتون مع دوابكم عطشا ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ صيفا وشتاء ﴿وَ﴾ أنشأنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ جبل ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ وهي شجرة الزيتون ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ لكم في الحيوانات منافع كثيرة من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وتأكلون من ألبانها ولحومها ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ إذا أردتم السفر في البر تركبون الإبل، وإذا أردتم السفر في البحر تركبون على السفن. كل سورة مكية لابد أن يذكر فيها قصص الأنبياء، وذلك ليتسلى النبي صلى الله عليه وسلم بتكذيب الرسل قبله ويعلم أهل مكة أنّهم سيهلكون كما هلك من كذب الرسل قبلهم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ أول أنبياء الشرع ﴿إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ﴾ أطيعوه ووحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره ﴿فَقَالَ الْمَلَؤُاْ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ قالوا لأتباعهم ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ نوح هذا ليس بنبي الله

إنما هو بشر ﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ﴾ يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون متبوعا وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا يعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ بذلك لا بشرا. شبهة إبليس أول شبهة، لما قيل للملائكة اسجدوا لآدم قال إبليس "أنا خير منه" قاس مع وجود النص فضَلّ، كان من حقه أن يمتثل أمر الله فقط، ولكن نظر أن أصله من النور وأصل آدم من الظلمة والنور خير من الظلمات، ونظر أنه مكث يتعبد كذا من الزمان فهو خير من هذا الذي خلق من طين اليوم، فامتنع، فلعن وطرد وشقي شقاوة لا سعادة بعدها أبدا. ولم تزل تلك الشبهة في الناس إلى يومنا هذا، أول الأنبياء نوح هذا سمعت جواب قومه، هو نفس كلام إبليس «ما هذا إلا بشر مثلكم» لا يستحق أن يكون نبيا لأنه بشر، ولو شاء الله أن لا يعبد غيره لأنزل ملائكة، لو أرسل الله ملائكة نعم الملائكة هم الكاملون يستحقون أن يكونوا رسل الله وأما بشر فلا. ما أشد حماقتهم يعبدون الحجارة، الحجارة تستحق الألوهية وهي أكبر من الرسالة، والبشر أكمل ما خلق الله لم يستحق أن يكون رسولا في نظرهم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ الأمم الماضية ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ مجنون هذا ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِ﴾ انتظروه ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ إلى زمن موته ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ بسبب تكذيبهم إياي بأن تُهلكهم قال تعالى مجيبا دعاءه ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَا أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ قلنا احمل فيها اسلك فيها، أدخل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى فلما ظهرت العلامة وأصبح تنور نوح يفور منه الماء علم أن هلاك قومه قرب، وقد كان هيأ السفينة، هيأها

ثلاث طبقات، طبقة للدواب أسفل، وطبقة لبني آدم في الوسط، وطبقة للطيور فوق، لما دخل في السفينة حشر الله تبارك وتعالى له السباع والطيور وكل الحيوانات، فإذا ضرب بيده اليمنى تقع يده على ذكر فيدخله ، ويضرب باليسرى على الأنثى فيدخلها، حتى أدخل جميع الحيوانات ﴿وَأَهْلَكَ﴾ زوجته وأولاده ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ إلا من كان كافرا كزوجته الكافرة واهلة وولده الكافر كنعان بخلاف سام وحام ويافث، حمل ثلاثة من أولاده حملهم وزوجاتِهم الثلاث[1] وفي سورة هود "ومن آمن وما آمن معه إلا قليل" قيل كانوا ستة رجال ونساؤهم، وقيل جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون، نصفهم رجال ونصفهم نساء، ولكن عقم الله أرحامهم بعد الطوفان ما وُلد إلا لأولاد نوح سام وحام ويافث[2]، فلهذا يقال لنوح آدم الثاني، سام ولد رمز "عرف" العرب والروم وفارس، وحام "سبق" السودان والبربر والقبط، ويافث "صيت" الصقالبة ويأجوج ومأجوج والترك[3]. ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذا استويت على الفلك فاحمد الله تبارك وتعالى

---

1 – تفسير الجلالين ج3/116.

2 – عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله "وجعلنا ذريته هم الباقين" قال: حام وسام ويافث قال أبو عيسى: يقال يافت ويافث. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ من سورة الصافات (3154). وقال في تحفة الأحوذي عند شرحه لهذا الحديث: قوله "وجعلنا ذريته" أي ذرية نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام "هم الباقون" أي وحدهم دون غيرهم كما يشعر به ضمير الفصل ..إلى آخر كلامه.

3 – أخرج الحاكم عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: ولد نوح عليه الصلاة والسلام ثلاثة: سام وحام ويافث فولد سام العرب فارس والروم وفي كل هؤلاء خير، وولد حام السودان والبربر والقبط، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج. المستدرك: كتاب الفتن والملاحم/ باب إن المعاقل ثلاثة (4879).

على هذه النعمة وهي النجاة من القوم الكافرين وإهلاكهم هم، هلاك الأعداء ونجاتهم هم ﴿وَقُلْ﴾ عند نزولك من الفلك ﴿رَبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً﴾ أي مكان نزول ﴿مُبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ ما ذكر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرة الله تبارك وتعالى ﴿وَإِن﴾ـــه الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ قوما ﴿ءَاخَرِينَ﴾ هم عاد ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ هود ﴿أَنُ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ عقابه، دعوتهم واحدة فلهذا من كذب بواحد فقد كذب بالجميع ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ بالمصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ - والحال أن الله - أنعمهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ هذا ليس بنبي إنما هو إنسان مثلنا فقط ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إذا أطعتموه ﴿لَخَاسِرُونَ﴾ مغبونون يكون متبوعا وأنتم أتباعا ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ يواعدكم هود أن الله سيبعثكم بعد الموت، ﴿هَيْهَاتَ﴾ بعُد ﴿هَيْهَاتَ﴾ بعُد، هذا لا يمكن ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ من الإخراج من القبور ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ البعث هو الحياة في الدنيا فقط ﴿نَمُوتُ﴾ نحن ﴿وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا، قالوا البعث إنما هو الإنسان يموت ويبقى ولده فقط فكأنه بُعث ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ أما الموتى فلا يبعثون، هذا اعتقادهم ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ دعا عليهم ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ عما قريب من الزمان يصيرون نادمين على كفرهم وتكذيبهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة العذاب والهلاك ﴿بِالْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ كمثل

الغثاء، نبت يابس ﴿فَبُعْدًا﴾ من الرحمة ﴿ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المكذبين ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أقواما ﴿ءاخَرِينَ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ متتابعين بين كل اثنين زمان طويل ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ بعد كثير من الأنبياء أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ معه ﴿بآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة بينة وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان بِها وبالله ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم ﴿فَقَالُواْ أَنُؤْمِنُ﴾ لا نؤمن ﴿لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ نحن نكون أتباع موسى وموسى من بني إسرائيل وبنو إسرائيل عبيدنا فقط، واحد من عبيدنا يكون رسولا؟ لا يمكن هذا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ الْمُهْلَكِينَ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به من الضلالة وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسى ﴿وَأُمَّهُ ءَايَةً﴾ إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى بعد موسى وجعله هو وأمه آية، لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة هي ولادته من غير فحل ﴿وَءَاوَيْنَاهُمَا إِلَى رُبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع هو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستوية ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار طاهر تراه العيون. عيسى ولد في بلاد الشام، في بلاد فلسطين في قرية يقال لها ناصرة، واتّهموا مريم بالفاحشة حيث أنّها لا زوج لها وأتت بولد، وكان في بيت المقدس عين يقولون لها عين سلوان كمثل زمزم عند المسلمين، كان إذا اتُّهم شخص وسيق إلى العين إن شرب منها والتهمة ثابتة يموت في الحين، وإذا كان بريئا إذا شرب من الماء خرج سالما، فساقوا مريم على أتان إلى هذه العين، فشربت وظهرت براءتُها فطلبت من الله

تبارك وتعالى أن يغير هذه العين التي تفضح النساء، طلبت من الله أن لا تفتضح امرأة بعدها بسبب هذه العين، فغارت من ذلك الوقت إلى الآن[1]، وكان مسكن مريم وعيسى فوق الجبل عند بيت المقدس جبل الزيتون ومحلهما معروف في المسجد إلى الآن، محراب زكرياء، وهذا حقيقة معنى "والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين" الزيتون محل عيسى عليه الصلاة والسلام، وطور سينين محل موسى عليه الصلاة والسلام، والبلد الأمين محل محمد صلى الله عليه وسلم، في التوراة آية: جاء الله من طور سيناء وسكن الزيتون وتوجه إلى فاران[2]. هذه آية في التوراة أو في الإنجيل. جاء الله من طور سيناء إلى جبل الزيتون وتوجه إلى فاران. وهذا مما

---

1 – أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن عبد العزيز قال: كان في زمان بني إسرائيل في بيت المقدس عند عين سلوان عين، فكانت المرأة إذا قارفت أتوها بها فشربت منها، فإن كانت بريئة لم تضرها وإلا ماتت، فلما حملت مريم أتوها بها على بغلة فعثرت بها فدعت الله أن يعقم رحمها، فعقم من يومئذ فلما أتتها شربت منها فلم تزدد إلا خيرا ثم دعت الله أن لا يفضح بها امرأة مؤمنة، فغارت العين. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: كتاب التفسير/ من سورة مريم 27-28.

2 – قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: ساعير: في التوراة اسم لجبال فلسطين، نذكره في فاران، وهو من حدود الروم وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا وذكره في التوراة: جاء من سينا؛ يريد مناجاته لموسى على طور سينا، وأشرق من ساعير: إشارة إلى ظهور عيسى بن مريم عليه السلام من الناصرة، واستعلن من جبال فاران: وهي جبال الحجاز، يريد النبي عليه الصلاة والسلام. قال: وهذا في الجزء العاشر في السفر الخامس من التوراة، والله أعلم. معجم البلدان ترجمة ساعير. وفيه أيضا: **فاران**: بعد الألف راء، وآخره نون، كلمة عبرانية معربة: وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة، قيل: هو اسم لجبال مكة، وفي التوراة: جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران؛ مجيئه من سيناء تكليمه لموسى عليه السلام، وإشراقه من ساعير وهي جبال فلسطين هو إنزاله الإنجيل على عيسى عليه السلام، واستعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: وفاران جبال مكة. معجم البلدان (مادة فاران) وقد تقدم في الدرس 13.

أضلهم ومعناه واضح ثلاثة من خلفاء الله تبارك وتعالى، وواحد نزل بطور سيناء، وواحد بجبل الزيتون والآخر بفاران، فاران اسم مكة ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات ﴿وَاعْمَلُواْ صَالِحًا﴾ من فرض ونفل ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه، أمر الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما أمر الرسل، قال للرسل «ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا» وكذلك قال لأمة محمد "ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون" ﴿وَأَنَّ هَذِهِ﴾ الملة ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون، أي يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ دين واحد ﴿وَأَنَاْ رَبُّكُمْ﴾ وأنا وحدي ربكم ﴿فَاتَّقُونِ﴾ كونوا أمة واحدة على دين واحد تعبدون ربا واحدا هو الله تبارك وتعالى ﴿فَتَقَطَّعُواْ﴾ الأتباع ﴿أَمْرَهُمْ﴾ دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أحزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم.

جلس الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم حار، وكانت امرأة عندها شربة من لبن بارد، فبعثت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألها أنى لك هذا اللبن؟ قالت: من شاة لي، فرد إليها ثانية: أنى لك هذه الشاة؟ قالت: اشتريتها من مالي، من كد يدي، فشرب النبي صلى الله عليه وسلم فسألته المرأة لم رددت؟ قال: نحن معاشر الأنبياء أمرنا بأكل الحلال[1]، فتلا

---

1 - أخرج الحاكم في المستدرك عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره وذلك في طول النهار وشدة الحر فرد إليها الرسول: أنى لك هذا اللبن؟ قالت: من شاة لي، قال: أنى لك هذه الشاة؟ قالت: اشتريتها من مالي، فشرب. فلما أن كان من الغد أتت أم عبد الله رسول الله فقالت: يا رسول الله بعثت إليك بذلك اللبن مرثية لك من شدة الحر وطول النهار فرددتها

هذه الآية «يأأيها الرسل كلوا من الطيبات» خطاب لجميع الرسل على وجه الإجمال، فليس المراد أنّهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة بل المراد خوطب كل رسول في زمانه بذلك، بأن قيل مثلا لكل رسول: كلْ من الطيبات واعمل صالحا، «إني بما تعملون عليم». وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الإجمال التشنيع على رهبانية النصارى حيث يزعمون أن ترك المستلذات مقرب إلى الله تبارك وتعالى، فرد الله عليهم بأن المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات. الحلال إذا كان حلوا مع ذلك فلا باس، وإذا كان حلوا حراما فليس بطيب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون، أبناء الدنيا يفرحون بالدنيا وأبناء الآخرة يفرحون بالآخرة وأهل الله يفرحون بالله ﴿فَذَرْهُمْ﴾ فاترك كفار مكة ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ في ضلالتهم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ حين موتهم ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ﴾ نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ في الدنيا ﴿نُسَارِعُ﴾ نعجل ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ لا، ﴿بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ هذا الاستدراج، الاستدراج أن يكون العبد منهمكا في معصية الله تبارك وتعالى ويعطيه الخيرات من مال وبنين، فيظن أن الله أراد به خيرا، ولا يريد به إلا الهلاك، لأنه يمهل ولا يهمل، لا يفوته أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ خوفهم ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون من عذابه ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾ لا يعبدون الشريك معه ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿مَا ءَاتَواْ﴾ أعطوا من الصدقات والأعمال الصالحة ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ يتيقنون

إلي مع الرسول، فقال النبي: (بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل إلا طيبا ولا تعمل إلا صالحا). المستدرك: كتاب الأطعمة/ باب أمرت الرسل ألا تأكل إلا طيبا (7237).

الرجوع إلى الله تبارك وتعالى ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ ذكر في هذه الآية أن المسلمين الذين هم مشفقون من خشية ربّهم ويؤمنون بالقرآن ويوتون ما آتوا به من الخيرات وقلوبُهم وجلة. سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى هذا: الإنسان يأتي المعصية وقلبه وجل؟ قال: كلا، إنما الذي يعمل الخيرات وقبله وجل[1]، المخلصون أخوف إذا عملوا الخير منهم إذا عملوا الشر لأن الخير مشروط فيه الإخلاص والسلامة من كل علة، فإن كان كذلك فهو مقبول وإلا فأنت في شك هل هو مقبول أم غير مقبول، فعلى هذا الوجل من ذلك، يأتي الإنسان بالخير وهو خائف ألا يقبل منه ﴿وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ طاقتها فمن لم يستطع أن يصلي قائما فليصل جالسا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل أي إذا كان مريضا حتى عجز عن الصوم أو مسافرا فعجز عن الصوم "وأن تصوموا خير لكم" ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال، ﴿وَهُمْ﴾ أي النفوس ﴿لاَ يُظْلَمُونَ﴾ شيئا منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزاد في السيئات ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ الكفار ﴿فِي

---

1 – أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة" قالت عائشة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة المؤمنين (3099). وللحاكم في مستدركه : عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله قول الله عز وجل: "الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة" أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر، وهو مع ذلك يخاف الله عز وجل؟ قال: "لا ولكنه يصوم ويصلي ويتصدق وهو مع ذلك يخاف الله عز وجل". قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير / تفسير سورة المؤمنون/ باب تحريم المتعة (3533).

﴿غَمْرَةٍ﴾ جهالة ﴿مِنْ هَذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ فيعذبون عليها ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ بالسيف يوم بدر ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يضجون ويقال لهم ﴿لاَ تَجْأَرُوا﴾ لا تصرخوا ﴿الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لاَ تُنصَرُونَ﴾ لا تمنعون من العذاب ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ ترجعون القهقرى ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِ﴾ بالبيت أو الحرم بأنّهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَامِرًا﴾ جماعة يتحدثون بالليل ﴿تُهْجِرُونَ﴾ تتقولون، تقولون غير الحق في النبي وفي القرآن ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ﴾ يتدبروا ﴿الْقَوْلَ﴾ القرآن الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ بل عرفوه ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ ما منعهم من الإيمان بالقرآن؟ هل جاءهم كتاب؟ لا. هل ما عرفوا الرسول؟ عرفوه هو الأمين عندهم من صغره، أم يتهمونه بالجنون؟ يعلمون أنه بريئ من الجنون ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ أتاهم بالقرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ لو كان لله شريك لخربت الدنيا. كما أنه لا يصح سيفان في غمد ولا بعلان على امرأة لا يصلح إلهان على عالم ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ القرآن ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجرا يسأل النبي صلى الله عليه وسلم هذا من شدة نفورهم عن الحق، هل تطلب منهم أجرا ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ إن كنت تطلب منهم أجرا فخراج الله تبارك وتعالى خير لك ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ الله تبارك وتعالى تكفل بالرزق لكل مخلوق، فعلى هذا لا يحتاج الداعي إلى الله تبارك وتعالى أن يأخذ

أجرا، فعلى هذا الإنسان يثق بما قسم الله له من رزق، فإنه لا يتأتى أن ينتقص منه شيء أو يزداد عليه شيء. رجع هارون الرشيد من الحج إلى الكوفة فخرج معه الجيش وعليه الحجاب، يكلم الناس وراء ستار، فوقف له رجل يناديه بأعلى صوته: يا هارون، يا هارون، يا هارون، فتعجب من هذا الذي يناديه باسمه فأوقف الجيش وقال: ارفعوا الستار عن وجهي فرفعوا الحجاب، فقال له: يا هارون، يا هارون، قال له: هل تعرفني؟ قال له: نعم أنا أعرفك، قال: من أنا؟ قال: أنت الذي لو ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب لواخذك الله به يوم القيامة، فبكى قال له: ما ترى في حالنا؟ قال: أعرضه على كتاب الله "إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم" وأظنك في الشطر الثاني، قال: وكيف أعمالنا الصالحة التي نقوم بها؟ قال: "إنما يتقبل الله من المتقين" قال: وقرابتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: "فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون"، قال: شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ قال له: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى"، – هو بَهلول أخوه، يقولون بهلول المجنون وهو العاقل حقيقة – قال له: قل لي حاجتك أقضها لك وتمشي. قال له: حاجتي أن تغفر لي ذنوبي وتدخلني الجنة، قال: لا أقدر على هذا، ولكن بلغني أن عليك ديونا كثيرة أقضيها عنك، قال: الدين لا يقضي الدين، رد أموال الناس إليهم فأنت أكثر مني ديونا. قال: أتكفل لك برزقك مدة حياتك، قال له: ما أشد حماقتك نحن عبدان لله وهو رازقنا تظنه يتذكرك وينساني أنا؟ فغضب وقال: اقتله، فقال بعض الجماعة: لا، إياك يا أمير المؤمنين لا تقتله، فضحك بهلول وقال: لست أدري أيكم أشد حماقة، الذي يقتل من لم يحضر أجله أو الذي يشفع

في من حضر أجله، أيكم أشد حماقة؟ فذهب عنه[1]. بَهلول صوفي هو الذي مر على قصر الرشيد فكتب عليه: رفعت الجص ووضعت النص، رفعت الطين ووضعت الدين، إن كان من مالك فقد أسرفت "إن الله لا يحب المسرفين" وإن كان من غير مالك فقد ظلمت إن الله لا يحب الظالمين[2]. ولكن كان الرشيد رقيقا كلما وعظه يؤثر فيه، «فخراج ربك خير وهو خير الرازقين» لا ينسى أحدا ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ «لناكبون» عادلون «عن الصراط» الطريق ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل قريشا يوم بدر فقتل أبا جهل وعتبة وشيبة والوليد وسبعين من رؤسائهم، وقد دعا عليهم قبل خروجه من مكة بقوله: (اللهم اجعلها عليهم سنين كسني أخي يوسف)[3] فوقع القحط فيهم حتى أكلوا كلابَهم وأكلوا كل ما عندهم، فركب أبو سفيان وجماعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أنت نبي

---

[1] – ورد بعض محاور هذه الحكاية في كتاب من وصايا الرسول ج675/2 وأوردها البروسوي في روح البيان ج96/6. وقد تقدم ذكرها في الدرس الخامس.

[2] – تفسير روح البيان ج324/4.

[3] – عن عبد الله بن مسعود قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارا قال: (اللهم سبع كسبع يوسف) فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله تعالى "فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون" فالبطشة يوم بدر وقد مضت الدخان والبطشة واللزام وآية الروم. صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ دعاء النبي اجعلها عليهم سنين كسني يوسف (1007). صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/باب الدخان (5006). وقد تقدم في الدرس8، و30.

الرحمة وقتلت آباءنا بالسيف وأبناءنا بالجوع، كيف هذه الرحمة؟ قال تعالى ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ﴾ تمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ بالجوع ﴿فَمَا اسْتَكَانُواْ﴾ ما تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ﴾ صاحب عذاب ﴿شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آئسون من كل خير ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ الله تبارك وتعالى من دلائل توحيده خلق لكم الأسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ شكر قليل هو شكركم، الذي رزقكم السمع والبصر والفؤاد يستحق عليكم شكرا كثيرا ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تبعثون ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ فتعتبرون ﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُواْ﴾ الأولون ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لا ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا﴾ البعث بعد الموت ﴿مِن قَبْلُ﴾ كان الأنبياء يقولون هذا قبل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيب الأولين كالأضاحيك والأعاجيب فقط ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾ سلهم من هو مالك الأرض ومن فيها من الخلائق؟ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالقها ومالكها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وقالوا لله ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإحياء بعد الموت ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الكرسي ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ دائما جلال[1] يفسر العرش بالكرسي والأولى تركه على ظاهره،

---

1 – يعني جلال الدين المحلي.

العرش والكرسي شيئان ﴿قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ تحذرون ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ملك كل شيء والتاء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يحمي ولا يحمى عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده، كيف يتخيل لكم أنه باطل؟ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في نفيه وهو ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَّلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ الحق هو هذا، الله لم يتخذ ولدا وليس معه شريك ﴿إِذًا﴾ لو كان إله آخر ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ لو فرضنا جواز تعدد الآلهة لكان لكل إله ما خلق، والله تبارك وتعالى هو خالقنا، إذاً ينفرد بملكنا ﴿وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لو كان آلهة متعددة لوقع بينهم قتال ولابد أن يغلب بعضهم بعضا إذاً يكونون كملوك الدنيا فقط وليسوا بآلهة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿فَتَعَالَى﴾ تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ إن أريتني ﴿رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فأهلك بإهلاكهم ﴿وَإِنَّا عَلَى أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿السَّيِّئَةَ﴾ أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ نزغاتهم ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَّحْضُرُونِ﴾ في أموري ﴿حَتَّى إِذَا جَا أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ حتى إذا حضر الموت ورأى كل أحد مقعده إما في الجنة أو في النار ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ هنالك يتكلم الكافر يطلب من الله الرجوع إلى الدنيا ولا رجوع ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فيما ضيعت من عمري ﴿كَلاَّ﴾ لا رجوع ﴿إِنَّهَا﴾ كلمة «رب ارجعون» ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَّرَائِهِمْ﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز

يصدهم عن الرجوع ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ولا رجوع بعده ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ﴾ خلاف حالهم في الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة وفي بعضها يفيقون، وفي آية "فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون" ذكّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يوما، فذكر أمر الآخرة، وعظهم موعظة رقت منها القلوب وذرفت لها الدموع، فقالت عائشة: يا رسول الله أتتذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: أما في ثلاثة مواطن فلا، عندما يقف المرء بين يدي الله تبارك وتعالى وتخرج الكتب لا يدري الإنسان هل يأخذ كتابه بيمينه أو بشماله، فهنالك لا يتذكر أحدا، وعندما توضع أعماله الحسنات في الكفة اليمنى والسيئات في الكفة اليسرى، فإذا غلبت السيئات دخل النار، وإذا غلبت الحسنات دخل الجنة هنالك لا يتذكر أحد أحدا حتى يعلم ما يكون وزنه، وإذا وضع الصراط على جهنم فكل إنسان يمشي على الصراط حتى يصل إلى الجنة، هذه المواضع الثلاثة لا يتذكر أحد أحدا[1] ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالحسنات ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيئات ﴿فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ﴾ تحرق ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ شمرت

---

1 – أخرج أبو داود في سننه عن عائشة أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرءوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم. سنن أبي داود: كتاب السنة/ باب في ذكر الميزان (4128) وفي مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث السيدة عائشة (23555). وقد تقدم في الدرسين 18و28.

شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم «كالحون» شمرت شفاههم الشفة السفلى تسقط على السرة والعليا تنكشف إلى فوق الرأس ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تخوَّفون بها ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ سبب هذا العذاب كونهم كانوا يكذبون القرآن عندما يقرأ عليهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي شقاوتنا ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهداية ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ من النار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ يقولون هذا مدة عمر الدنيا مرتين، وعمر الدنيا اختلفوا فيه، قيل سبعة آلاف لحديث: (الدنيا سبعة أيام)[1] "وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون" الدنيا سبعة أيام، من آدم إلى يومنا هذا مضى سبعة آلاف سنة وعمر الدنيا مرتين إذاً أربعة عشر ألفا، وقيل اثنا عشر ألفا عمر الدنيا عدد البروج إذاً عمر الدنيا مرتين أربعة وعشرون ألفا، وقيل عمر الدنيا ثلاثمائة ألف وستة وستون ألفا عدد الأيام أيام السنة[2] إذا يكون عدد عمر الدنيا ثلاثمائة ألف سنة وستة وستون ألف سنة إن كان هذا فعمر الدنيا مرتين سبعمائة ألف سنة واثنتان وثلاثون فعلى كل تقدير أمد طويل يقول أهل النار "ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون" لم يجدوا أي جواب في تلك المدة الطويلة، وبعد عمر الدنيا مرتين على أي من التقديرات أجيبوا: ﴿قَالَ اخْسَئُواْ فِيهَا﴾ أبعدوا في النار أذلاء ﴿وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ بعد هذا فانقطع رجاؤهم ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هم المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ كان مساكين المسلمين إذا طلبوا الله تبارك وتعالى وطلبوا رحمته تضحكون منهم

---

1 – الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة. للديلمي في الفردوس عن أنس. الجامع الصغير (4277) وقد تقدم في الدروس13 و15 و23.

2 – انظره في حاشية الصاوي على الجلالين ج3/125.

مثل بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ فتركتموه ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ كنتم تضحكون منهم ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ النعيم المقيم على استهزائكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فازوا بالنعيم المقيم. قال الرسول صلى الله عليه وسلم يوما لبلال: بلال بم سبقتني دخلتُ الجنة وما أقبلت في منزل إلا وسمعت خشخشتك أمامي، بم سبقتني؟ قال: ما أحدثت قط إلا وتوضأت، وما توضأت قط إلا وصليت ركعتين، قال: بِهما يا بلال[1]. أي بِهما سبق إلى الجنة، وهذا يدل على أن الجنان منازل، كل عمل له جنة والرسول صلى الله عليه وسلم يدور في كل الجنان، وجنان الصلاة فيها سمع خشخشة بلال أمامه ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول الله تبارك وتعالى يخاطب الكفار يوم القيامة بلسان مالك خازن النيران، كم لبثتم في الأرض في الدنيا، وفي قبوركم؟ ﴿عَدَدَ سِنِينَ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب، نسوا كل ما مضى من الدنيا ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ الملائكة المحصين أعمال الخلق هم الذين يعلمون كم مكثنا في الدنيا نحن نسينا ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ

---

1 – أخرج الترمذي: عن عبد الله بن بريدة قال حدثني أبي بريدة قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي؟ دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت: لمن هذا القصر ؟ فقالوا: لرجل من العرب، فقلت: أنا عربي لمن هذا القصر ؟قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا قرشي لمن هذا القصر ؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب. فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علي ركعتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بهما. سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في مناقب عمر بن الخطاب (3622). وله في الصحيحين أصل غير أنه لم يُذكر فيه قول بلال الذي عند الترمذي.

تَعْلَمُونَ﴾ لو علمتم مقدار مكثكم من الطول كان مكثكم في الدنيا قليلا بالنسبة إلى لبثكم في النار ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ كنتم تظنون أن الله خلق الخلق لا لحكمة وأنكم لا ترجعون إلى الله تبارك وتعالى، لو عقلتم وعلمتم أن الله خلقكم لعبادته وأنكم سترجعون إليه فيجازيكم، لما وقع بكم هذا الذي وقع بكم. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عن العبث ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لا يسعدون ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أفضل راحم، الرحمة رحمتان عامة وخاصة، الرحمة العامة لجميع الخلق "ورحمتي وسعت كل شيء" والرحمة الخاصة للمؤمنين المطيعين.

سورة النور

مدنية وهي اثنتان أو أربع وستون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزْل وسورة النور)[1] لأنها سورة

---

1 – أخرج الحاكم في مستدركه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تنزلوهن ولا تعلموهن الكتابة – يعني النساء – وعلموهن المغزل وسورة النور) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير/ تفسير سورة النور (3541). وأخرجه السيوطي عن ابن مسعود بلفظ (لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة). الجامع الكبير ص892. وفي كنز العمال: كتاب الآداب/ باب تربية أهل البيت (44999).

تعلم العفاف، قال في بداية السورة شيئا ما قاله في أي سورة ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ﴾ هذه سورة أنزلها الله تبارك وتعالى وفرضها وأنزل فيها آيات بينات واضحات الدلالات لعلكم تتعظون بها ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ غير المحصنين لأن المحصنين يرجمان بالسنة، الرجم ليس في كتاب الله إنما ثبت بالسنة وكان آية تقرأ فنسخت تلاوتُها وبقي حكمها، همّ عمر يوما أن يكتب في آخر المصحف لولا الخوف من أن أزيد في كتاب الله لكتبت الرجم في آخر المصحف، مخافة أن يأتي زمان يقول الناس ما رأينا الرجم في كتاب الله، وإن الرجم في كتاب الله كنا نقرؤه ونعمل به، فرجم الرسول ورجم أبو بكر ورجمت أنا، الرجم حق ثابت في كتاب الله إلى يوم القيامة، وكانت آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة[1]. الزانية والزاني غير المحصنين ﴿فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ضربة يقال جلَدَه ضرب جلده، ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ

1- أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل ما أجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة من فرائض الله ألا وإن الرجم حق إذا أحصن الرجل وقامت البينة أو كان حمل أو اعتراف وقد قرأها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده. ابن ماجه: كتاب الحدود / باب الرجم (2543). تقدم في الدرس الخامس.

وفي لفظ البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال عمر: لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف قال سفيان كذا حفظت ألا وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده. صحيح البخاري: كتاب الحدود/ باب الاعتراف بالزنا (6829)، وفي صحيح مسلم: كتاب الحدود/ باب رجم الثيب في الزنا (3201).

اللَّهِ﴾ حكمه بأن تتركوا شيئا من حدهما، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يجاء بوال يوم القيامة نقص سوطا من الحد، فيقال له لم نقصت هذا السوط؟ قال: رحمة به، فيقال له: أنت أرحم مني بعبدي؟ اذهبوا به إلى النار، ويؤتى بوال زاد سوطا واحدا يقال له: لم زدت هذا السوط؟ قال لئلا ينتهكوا محارم الله، قيل له: أنت أغير مني؟ اذهبوا به إلى النار[1] ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الجلد هو الذي ثبت في المصحف والرجم نسخت تلاوته وبقي حكمه، والسلطان فيه كما سألتم شرط، فعلى هذا من وجب عليه الرجم ولم يجد سلطانا يقيم عليه الحد وهو لا يجوز له أن يقتل نفسه ولا غيره، الشريعة التي أوجبت عليه الرجم أسقطته فليتب إلى الله تبارك وتعالى والأمر بينه وبين الله ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ الجلد ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل ثلاثة وقيل أربعة، عدد شهود الزنا ﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ﴾ يتزوج ﴿إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ المناسب لكل منهما ما ذكر، ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ نكاح الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار، نزل ذلك لما همّ فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم، فقيل التحريم خاص بهم، وقيل عام[2] ونسخ بقوله تعالى "وأنكحوا الأيامى منكم"

حكمة: في السرقة بدأ بالذكر قبل الأنثى فقال: "والسارق والسارقة فاقطعوا

---

1 – ذكره في روح البيان ج6 /115، وأورده بدون إسناد عبد الرحمن الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة بلفظ: (يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذاك؟ فيقول: رحمة لعبادك فيقال له : أنت أرحم مني فيؤمر به إلى النار. و يؤتى بمن زاد سوطا فيقال له لم فعلت ذاك؟ فيقول: لينتهوا عن معاصيك. فيقول أنت أحكم بهم مني. فيؤمر به إلى النار). الفقه على المذاهب الأربعة الجزء الخامس/ القسم الثاني: مبحث حرص الشريعة على محو الرذائل الخلقية.

2 – ذكر هذه الأقوال في الجلالين عند تفسير قوله تعالى "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة .. الآية"

أيديهما" وفي الزنا "الزانية والزاني" بدأ بالمرأة قبل الرجل لأن الرجل أقوى على السرقة من المرأة لقوة الرجال، والمرأة أقوى على الزنا من الرجل، فإذاً الرجل هو الذي يسرق والمرأة حقيقة هي التي تزني، إذا أبت لا يقع. ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفيفات بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على زناهن ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ من قذف محصنة و لم يأت بأربعة شهداء يرون الزنا من جهات مختلفة في زمن واحد ودخول الذكر في الفرج كالمرود في المكحلة، وكلهم حر مسلم عادل، هذا لا يقع أبدا، من قذف بالزنا و لم يات بالشهادة بهذه الكيفية فيجلد ثمانين جلدة، حد القذف «ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا» والقاذف لا تقبل شهادته في الشرع، إلا إذا تاب ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقع في زمن عمر أن جماعة قذفوا المغيرة بن شعبة وهو صاحب رسول الله الذي تعلمون صاحب القضية يوم الحديبية[1]، فأتى أربعة وشهدوا أنهم رأوا المغيرة على المرأة يفعل بها الفاحشة، فاشتد الأمر على عمر لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات راضيا عن المغيرة بن شعبة، ولابد إذا تمت الشهادة أن يرجمه وعمر لا يحب أن يرجم هذا الرجل، فأتى شاهد وأقر بالشهادة كاملة، والثاني كذلك

---

1 – وهي قوله لعمه عروة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية – وقد بعثته قريش يفاوض الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية – وكان كلما أراد أن يكلم الرسول صلى الله عليه وسلم مد يده ليلمس لحيته الشريفة فيقرعها المغيرة بنعل سيفه وهو واقف فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك. لمزيد تفصيل انظر صلح الحديبية في سيرة ابن هشام ج327/3. وفي صحيح البخاري: كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (2734).

والثالث كذلك وجاء الرابع فقال عمر: اتق الله، اتق الله ولا تقل إلا الحق هذا الرجل الذي مات رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا عنه وهو من أمره كذا وكذا اتق الله، فقال نعم أنا رأيته متجردا على بطن المرأة ورأيت أستيهما ملتزقتين، ورجلها إلى السماء وحركة قوية، ما رأيت شيئا زائدا على ذلك، قال عمر إنه لم يتم الشهادة فتركه وجلد الثلاثة الذين أتموا الكيفية ومنع شهادتَهم مدة حياته[1]، إذا أتوا يقول إذا تبتم أقبل شهادتكم، يقولون لا نرجع عما رأينا قط، لا نرجع عما رأينا، هو كما رأينا فقط، لكن عمر فعل هكذا رضي الله عنه، لعل هذا أيضا الحكم بالباطن[2]، لعله علم أن الرجل سعيد وما أراد أن يرجمه فقط. ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الآية الأولى لما نزلت جاء عاصم بن عدي من الأنصار وقال يا رسول الله أحدنا إذا وجد رجلا على بطن زوجته، إن ذهب يطلب أربعة شهداء قضى الرجل حاجته وذهب، وإن تكلم جلد وإن سكت سكت على حرارة شديدة وغيظ شديد ما نفعل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأمر كما قالت الآية أربعة شهداء. فذهب فأتى عويمر العجلاني إلى عاصم بن عدي قال له: يا عاصم أنا وجدت شريك بن سحماء بطنه على بطن زوجتي

---

1 - ذكرها القرطبي ج 178/12.

2 - إشارة إلى ما سبق ذكره من حكم النبي بالباطن في الدرس 31 عند الكلام على قوله تعالى "وما فعلته عن أمري"، فقد استطرد الشيخ رضي الله عنه حكم النبي صلى الله عليه وسلم في النزاع بين سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في ابن وليدة زمعة حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد بن زمعة هو لك يا عبد، الولد للفراش وللعاهر الحجر، في حين أمر أم المؤمنين سودة بنت زمعة أن تحتجب منه – وهو أخوها – لشبهه بآل وقاص. فأمره إياها أن تحتجب منه حكم بالباطن.

واستبرأتُها أربعة أشهر ما أتيتها وهاهي حبلى هذا الحمل ليس مني، فرجع عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: سبحان الله ما أسرع ما ابتلاني الله به سؤالي وجدت هذا في أهلي، قص القصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عويمر وإلى زوجته خولة فقال: يا عويمر اتق الله ولا تقذف زوجتك بغير الحق، فقال: والله وبالله وتالله لقد رأيت شريكا على بطنها يفعل بِها، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم المرأة: اتقي الله ولا تقولي إلا الحق، قالت: لا، هو غيور فقط رأى الرجل ينظر إلي فقط نظرا طويلا فساء ظنه فقط واتّهمنا وأنا ما عملت شيئا، فنزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ﴾ ووقع ذلك لجماعة من الصحابة[1] ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو لرأيتها تزني، أشهد بالله الذي لا إله إلا هو لرأيتها تزني، أشهد بالله الذي لا إله إلا هو لرأيتها تزني، أربع مرات، ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ والخامسة يقول أن لعنة الله عليه إن كان هو الزوج من الكاذبين، فعلى هذا يندفع عن الزوج حد القذف ﴿وَيَدْرَؤُا﴾ يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ توجه الحد الآن إلى المرأة، والذي يدرؤه عنها ﴿أَن تَشْهَدَ﴾ هي ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ هي تقف أيضا: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو إنه لمن الكاذبين أشهد بالله الذي لا إله إلا هو ما رآني أزني ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ الخامسة تطلب غضب الله تبارك وتعالى،

---

1 – قال الصاوي في حاشيته على الجلالين: أي هم هلال بن أمية وعويمر العجلاني وعاصم بن عدي. ج129/3.

فأوقفهما النبي صلى الله عليه وسلم، هذا هو اللعان، فشهد عويمر الشهادات الخمس، وجاءت المرأة وشهدت هي أيضا خمس شهادات، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: إذا جاء الولد بصفة كذا وكذا فهو من عويمر، وإن جاء غليظ الإليتين فهو من شريك المتهم، فولدت المرأة الولد على الصفة التي قال الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إن جاء عليها فليس من الزوج[1] فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الولد يشبه المتهم جدا قال: لولا كتاب الله لكان بيني وبينها أمر، علم أنّها كذبت،

---

1 – جاء في صحيح البخاري: عن سهل بن سعد أن عويمرا أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل، فسأله عويمر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فجاء عويمر فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملاعنة بما سمى الله في كتابه فلاعنها، ثم قال: يا رسول الله إن حبستها فقد ظلمتها فطلقها فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين، عظيم الأليتين، خدلج الساقين، فلا أحسب عويمرا إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمرا إلا قد كذب عليها، فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ قوله عز وجل والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء (4745). وفي رواية للبخاري في الحديث رقم (4747) عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك ابن سحماء. وقد ذكر ابن حجر في شرحه اختلاف الأئمة فيمن نزلت فيه آيات اللعان قال: وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيئ عويمر أيضا فنزلت فيهما معا في وقت واحد. ونقَلَ عن القاضي عياض أنه قال: ولكن وقع في المدونة في حديث العجلاني ذكر شريك.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ هذا كله ستر الله تبارك وتعالى، ستر عبيده، هذه الكيفية من الشهادة لا يمكن أن تتم أبدا، إنما هو ستر الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ هذه آية الإفك. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا والسفر إلى قربة كحج أو غزوة اقترع بين نسائه من تخرج معه، فقرع خروجه إلى غزوة بني المصطلق فوقع السهم على عائشة أم المؤمنين فخرج بِها إلى الغزوة، فلما انتهى الغزو، نظرت عائشة في عقد استعارته قبل خروجها فلم تجده، فذهبت تطلبه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالرحيل، فحُمل هودج عائشة ووضع على البعير و لم يستنكروا خفة الهودج لأنّها إذ ذاك صغيرة وخفيفة. فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجعت عائشة بالعقد ووجدت القافلة سافروا. جلست فقط ونامت، تتيقن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد أن يطلبها، وكان صفوان بن المعطل من خيار الصحابة ومن شجعانِهم، كان إذا رجعوا من محل الغزو يبقى هو يتتبع ما ضل من متاع القوم ويجمعه ويأتيهم به، فوجد عائشة نائمة تحت الشجرة وحدها، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أم المؤمنين؟، قالت عائشة: والله ما سمعت منه كلمة غير هذا الاسترجاع. فأناخ بعيره وذهب بعيدا حتى ركبت عائشة وتسترت فتقدم يقود بِها البعير إلى أن لحقوا بالجيش، وكان المنافقون يعتزلون مجالس المسلمين، وعلى رأسهم عبد الله بن أُبَي بن سلول، فلما نظر إليهما قال من هؤلاء؟ عائشة وصفوان بقيا وحدهما في الفلاة؟ فجر بِها ورب الكعبة. فأشاعوا هذه القولة في الناس حتى أتوا للمدينة، صار المنافقون يشيعون هذا الكلام حتى سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعه أبو بكر وأم رومان أم عائشة، ومرضت عائشة شهرا والناس يخوضون في هذا وهي لم تشعر، بيد أنّها

قالت إنّها لم تشعر بشيء إلا أنّها أنكرت ما كانت تعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفقة والرحمة والإقبال عليها إذا مرضت بخلاف حاله في هذه الأيام إنما يقف بالباب ويقول: (كيف تيكم)؟[1] ويمشي، بعد مدة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تذهب إلى أبويها لتمارض عندهما، قال نعم، فذهبت إلى بيت أبويها، فأقامت حتى برئت. ويوما من الأيام خرجت إلى قضاء حاجتها، وكان عادتُهم عادة أهل البادية في ذلك الزمان لا يتخذون الكنُف، إنما يذهبون بعيدا لقضاء حوائجهم، والنساء يخرجن ليلا، فخرجت هي وأم مسطح قضتا حاجتهما ولما رجعتا عثرت أم مسطح فقالت: تعس مسطح، بمعنى أهلك الله مسطحا، قالت عائشة: بئس ما قلت مسطح هذا من المهاجرين الأُول وقد شهد بدرا، تسبين رجلا شهد بدرا؟ قالت أم مسطح: أوَما سمعتِ ما قال مسطح في حقك؟ قالت: ما هو؟ أخبرتْها قصة أهل الإفك. قالت: ما سمعت هذا قبل، الناس قالوا فيّ هذا؟ قالت لها: قالوا فيك هذا، قالت: وسمعه الرسول؟ قالت: سمعه الرسول، قالت: وسمعه أبو بكر؟ قالت: نعم سمعه أبو بكر، فرجعت إلى بيتها وباتت ليلة كاملة تبكي، ما نامت ولا رقأ لها دمع قالت حتى ظننت أن البكاء فالق كبدي، ثم ليلة ثانية ثم ثالثة، وفي الليلة الثالثة دخل الرسول صلى الله عليه وسلم فجلس وقال: يا عائشة الناس قالوا فيك هذا، إن كنت بريئة فإن الله سيبرئك وإن

---

1 – في الحديث المطول الذي ذكره الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن أبي وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي مريضة فسلم ثم قال: "كيف تيكم"؟

كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي[1]. قالت: فقلص دمعي، - ييس الدمع، البكاء للحزن الخفيف أما إذا اشتد الخوف لا يمكن البكاء - فقالت: يا أبت أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: والله ما أعلم شيئا أقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: يا أمي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: والله ما أعلم ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: الناس قالوا شيئا واستقر في قلوبكم وأنا أعلم أني بريئة، وإن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، وأنا لا أقبل أني فعلت شيئا ما فعلته، إذا شأني هو شأن يعقوب فقط أبي يوسف: "فصبر جميل والله المستعان" واضطجعت ورجعت إلى بكائها، قالت: وأنا أتيقن أن الله سيبرئني لأني أتيقن البراءة، ولكن ما كنت أظن أن ينزل فيَّ قرآن يتلى إلى آخر الدهر، أنا أحقر من هذا، كنت أظن أن النبي سيرى رؤيا أو نحو ذلك، فما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كابد ما كان يكابد إذا نزل عليه الوحي، فصار في يوم بارد يقطر منه عرق كالجمان، ولما سري عنه ما كان يكابد من الوحي تبسم لي وأول ما قال لي: (احمدي الله يا عائشة فإن الله قد برأك) فقال أبو بكر: قومي يا عائشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشكريه واحمديه. قالت: لا أحمد إلا الله تبارك وتعالى، ما برأني إلا الله. قالت أمها: فاحمدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واشكريه. قالت: لا أحمد إلا الله تبارك وتعالى مقاماهما متباينان، أبو بكر عارف بالله كامل يعلم الواسطة، وعائشة لا تعلم إلا الله، أبو بكر يعلم أن الله هو المبرئ ولكن لولا أن الرسول الذي هو وعاء الوحي موجود لما ظهرت براءتُها

---

1 - (يا عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي فإن العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر الله له). ابن حبان عن عائشة.

أبدا، ما أمكن إلا بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة ما نظرت في ذلك. نزلت هذه الآيات، ست عشرة آية في براءتِها[1]، والحكمة في هذا غيرة الله

---

1 – عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول قالت فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول. قال عروة: أخبرتُ أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه وقال عروة أيضا: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى وإن كبر ذلك يقال له عبد الله بن أبي ابن سلول قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان

وتقول إنه الذي قال فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء، قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قِبل المناصع وكان متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: أي هنتاه ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت فقلت: سبحان الله أولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت: ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة أهلك ولا نعلم إلا خيرا، وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك، قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي، قالت فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت فقام رجل من الخزرج

وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر قالت فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي، قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس، قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"، ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما الله فقد برأك، قالت فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله عز وجل، قالت: وأنزل الله تعالى "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم العشر الآيات ثم أنزل

تبارك وتعالى على خواص أهل حضرته، الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب عائشة حبا بلغ فيه غاية غار منها الجليل تبارك وتعالى، ولما رموها بهذا الإفك في تلك الأيام محقق أن النبي صلى الله عليه وسلم زهد فيها حتى برأها الله عادت المحبة ولكن معتدلة، هذا كما وقع ليعقوب في يوسف، إن الله تبارك وتعالى يغار على الكمل أن يشاركه شيء في قلوبهم، إن كانوا وجدوا شيئا هو أحب الأشياء إليهم لابد أن الله يخلق شيئا تنتقص به هذه المحبة حتى يكون الأمر معتدلا. ومدة خوض الناس في حديث الإفك كان الغالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملازمة بيته، ويوما دعا عمر وعثمان وعليا يشاورهم: ما تقولون في هذا الذي تقول الناس في عائشة؟ قال عمر: كذب والله ودليلي على ذلك أن الذباب لا يقع على جسدك، لأن الذباب يقع في النجاسة، الله الذي يعصم جسدك من أن يقع عليه الذباب الذي يباشر النجس لا يزوجك بامرأة خبيثة، فدعا عثمان قال: هذا كذب

الله هذا في براءتي. قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله "ولا يأتل أولو الفضل منكم إلى قوله غفور رحيم" قال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا. قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع، قالت وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك، قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط، ثم قال عروة قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط، قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله. صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب حديث الإفك (4141). صحيح مسلم: كتاب التوبة/ باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (4974).

يا رسول الله، والله إن هذا لكذب، ودليلي على أن هذا كذب كون ظلك لا يقع على الأرض مخافة أن يقع على محل فيه نجاسة، الله الذي يحفظك هكذا لا يخلق هذا في زوجتك أبدا، فدعا عليا قال علي: هذا كذب، ودليلي على أن هذا كذب أنك كنت تصلي بنا يوما لما أحرمت نزعت إحدى نعليك ولما سلمت قلت إن جبريل نزل عليك وأخبرك أن في النعل نجسا[1] الله الذي يحفظ نعلك من النجس أن تصلي به لا يزوجك بامرأة بغي، كلهم اتفقوا على هذا[2]. ويوما من الأيام دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار وقال: من يعذرني في قوم يتقولون في أهلي ما لا أعلم في أهلي؟ فشكا من عبد الله بن أبي بن سلول فقام سعد بن معاذ فقال مرنا يا رسول الله بأمرك إن كان الرجل من الأوس تأمرنا به نضرب عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام رجل من الخزرج وقال

---

1 - ذكر الماوردي في كتابه الحاوي ج2 ص243 روى أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في نعليه ثم خلعهما فخلع الناس نعالهم، فلما فرغ قال: ما حملكم على أن خلعتم نعالكم؟ قالوا خلعت فخلعنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أتاني جبريل فأخبرني أن بها قذرا).

2 - ورد في روح البيان نقلا عن الفخر الرازي في "كتاب الإشارات" أنه عليه السلام في تلك الأيام التي تكلم فيها بالإفك كان أكثر أوقاته في البيت، فدخل عليه عمر فاستشاره في تلك الواقعة فقال يا رسول الله أنا أقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة من أن الذباب لا يقرب بدنك فإذا كان الله صان بدنك أن يخالطه الذباب لمخالطته القاذورات فكيف بأهلك. ودخل عليه عثمان فاستشاره فقال يا رسول الله أخذت براءة عائشة من ظلك لأني رأيت الله صان ظلك أن يقع على الأرض أي لأنه ظل شخصه الشريف كان لا يظهر في شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالأقدام فإذا صان الله ظلك فكيف بأهلك؟ ودخل علي فاستشاره فقال يا رسول الله أخذت براءة عائشة من شيء: هو أنا صلينا خلفك وأنت تصلي بنعليك ثم إنك خلعت إحدى نعليك فقلنا ليكون ذلك سنة لنا فقلت: "لا، إن جبريل قال إن في تلك النعل نجاسة "فإذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف بأهلك؟ فسر عليه السلام بذلك. (روح البيان 125/6) وفي حاشية النسفي على تفسير الخازن ج321/3.

له كذبت لا تقدر، فتخاصم الحيان حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، وبعد ذلك نزلت هذه الآيات. ولما سمعت أم أيوب وزوجها بخبر الإفك قالا: هذا كذب. قالت أم أيوب: دليلي على أن هذا كذب أني لا أفعل هذا وعائشة خير مني. وقال أبو أيوب: إن الدليل على أن هذا كذب كونه يعلم أن صفوان بن المعطل خير منه وهو لا يفعل هذا، فإذاً صفوان لا يفعل هذا. كان أهل الإفك عبد الله بن أبي بن سلول وحمنة بنت جحش ومسطح، وحسان ليس منهم مدح عائشة وقال إن كان ما قيل حقا فأهلكني الله تبارك وتعالى[1] ولكن عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح وحمنة بنت جحش هم الذين تولوا كبره، فلما نزلت الآيات نزل النبي صلى الله عليه وسلم وأقام عليهم الحد، ضرب عبد الله بن أبي مائة وستين سوطا وكذلك من معه[2]، لأن من قذف محصنة عليه جلد ثمانين، وإن كان امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فيضعف الحد ضعفين، من قذف عائشة فقد

---

1 – أورد القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: وحكى أبو عمر بن عبد البر أن عائشة برأت حسان من الفرية، وقالت: إنه لم يقل شيئا. وقد أنكر حسان أن يكون قال شيئا من ذلك في قوله:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدها غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمـــها ... وطهرها من كل شين وباطل

فإن كان ما بلغت أني قلتـــه ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي

إلى آخر الأبيات. الجامع لأحكام القرآن ج200/12 وللألوسي مثله في تفسيره روح المعاني ج114/18.

2 – قال السيوطي في الدر المنثور: قال ابن عمر: إنما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حدين لأنه من قذف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعليه حدان. الدر المنثور ج150/6.

كفر لأن القرآن – كما سيأتي الآن في الآية – يقول "الخبيثات للخبيثين" إن كانت خبيثة فهذا يمس جانب النبي صلى الله عليه وسلم، بل هي طيبة للطيبين فعلى هذا قذفها ليس بكبيرة فقط إنما هو كفر[1] لأن من قذفها قذف جانب المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾ أسوأ الكذب على عائشة ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جماعة من المؤمنين عبد الله بن أبي ومسطح وحمنة بنت جحش، ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ عليه ﴿مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ في ذلك ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ تحمل معظمه ﴿مِنْهُمْ﴾ من الخائضين وهو عبد الله بن أبي ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار في الآخرة ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ هلا فعلتم كما فعلت أم أيوب وأبو أيوب ظنوا بأنفسهم خيرا وعلموا أن عائشة خير منهم بحيث أنّهم لا يتجرأون على هذا فمن باب أولى عائشة؟[2] ﴿وَقَالُواْ هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ لَّوْلاَ جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ تقدم الحكم في القذف أن من قذف امرأة عليه أن يأتي بأربعة شهداء، هلا أتوا بأربعة شهداء؟ ولا واحد، إنما ابتكره عبد الله بن أبي فقط، وعائشة محرم الرجال جميعا، تعلمون أن كل زوجات النبي أمهات المؤمنين ولكن عائشة خصوصا لها مزيد في هذا حتى أنّها يجوز لها أن تخلو مع أي رجل لحديث رسول الله صلى الله عليه

---

[1] – عزاه القرطبي للإمام مالك وأيده، الجامع لأحكام القرآن ج12/206.

[2] – القرطبي ج12/202 وابن كثير ج3/274 وكذلك في النسفي وابن جزي كلهم ذكر أنها نزلت في أبي أيوب وأم أيوب.

وسلم: (خذوا ثلثي دينكم عن هذه الحميراء)[1] لما كانت هي أفضل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة، وهي التي حصلت العلم وبلغت الشريعة شاركت النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الشريعة جاز لها أن تخلو بأجنبي، فلهذا كان سفرها مع صفوان كسفر المرأة مع محرمها، وبراءة الله تبارك وتعالى أصدق شيء، ولكن هناك ما هو أغرب من هذا، لما نزلت الآي جاء صفوان فإذا هو ليس له آلة، لا يقدر على النساء، قال للنبي والله ما كشفت كنف امرأة قط[2] عنين لا يقدر على مجامعة النساء، هذا أشد في براءة عائشة، الرجل المتهم ليس برجل ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ وقال الرسول (إن الله ما ابتلى نبيا قط بامرأة تزني)[3]. نعم أزواج الأنبياء فيهن الكفر، زوجة لوط ونوح "فخانتاهما" بالكفر لا بالفاحشة لأن الأنبياء مكلفون بتبليغ الشريعة إلى الكفار، وإن كان في نسائهم هذا، هذا يكون ضعفا للجانب النبوي فعلى هذا لم يبتل الله نبيا قط بامرأة تزني، ليس الرسول فقط ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ يرويه بعضكم عن بعض ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ لا

---

1 – في روح المعاني ج155/3: قوله صلى الله عليه وسلم: (خذوا ثلثي دينكم عن هذه الحميراء) (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) كشف الخفاء: حرف الخاء (1198).

2 – في حديث الإفك المتقدم قول عروة قالت عائشة والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط.

3 – ذكره المفسرون على أنه من كلام ابن عباس. القرطبي ج202/18 وفي تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص478. ونقل الطبري عن ابن عباس قوله ما بغت امرأة نبي قط. تفسير الطبري: سورة هود/ قال يا نوح إنه ليس من أهلك.

إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ ولولا قلتم إذ سمعتموه ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ تعجب ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ برّأ الله عائشة كما يبرئ نفسه تبارك وتعالى حينما نسب له الشريك، ينزه ذاته "بسبحان" قالها في حق عائشة ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ ينهاكم ﴿أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ في الأمر والنهي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فيه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ باللسان ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ينسبونها إليهم وهم العصبة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بحد القذف ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انتفاءها عنهم ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيها العصبة ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وجودها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها العصبة ﴿وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لعاجلكم بالعقوبة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرقه وتزيينه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ المتبع ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح ﴿وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُمْ﴾ أيها العصبة بما قلتم ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قصدتم ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ﴾ نزلت في أبي بكر حلف أنه لا ينفق على مسطح بعدما قال في عائشة ما قال وهو ابن خالته وكان مسكينا مهاجرا شهد بدرا، وكان أبو بكر تحمل نفقته مدة حياته فلما قال ما قال في عائشة أقسم أبو بكر أنه لا ينفق عليه أبدا، فنزلت ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ لا يحلف ﴿أُولُوا الْفَضْلِ﴾ أصحاب الغنى كأبي بكر، أصحاب العلم، أصحاب الدين، أصحاب الإحسان، أصحاب الدرجات العلى، وكل هذا يعني أبا بكر ﴿مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ أرباب الغنى ﴿أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا يمتنع من النفقة عليهم ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ عنهم ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم في ذلك

﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَّغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه[1] فكفر عن يمينه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ بالزنا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفائف ﴿الْغَافِلاَتِ﴾ عن الفواحش بحيث لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لُعِنُواْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ يوم القيامة الذي تشهد ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ بما قالوا ﴿وَأَيْدِيهِمْ﴾ بما أخذوا ﴿وَأَرْجُلُهُمْ﴾ بما مشوا ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يوم القيامة تشهد الألسنة والأيدي والأرجل بعمل الإنسان، وكما يشهدون بالشر يشهدون بالخير أيضا، يشهد اللسان أنه كان يقرأ القرآن، تشهد اليد أنّها كانت تمسك المصحف، تشهد الرجلان أنّهما كانتا تمشيان إلى المسجد ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ يجازيهم جزاءهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ الْخَبِيثَاتُ﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الناس. المرأة الخبيثة لا يكون لها إلا زوج خبيث، ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ من الرجال ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ من النساء ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ من النساء ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الرجال فإن كان هكذا فمحمد صلى الله عليه وسلم طيب فكيف تكون عائشة غير طيبة؟ ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ﴾ الطيبون والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ برأهم الله مما قال المنافقون ﴿لَهُمْ﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، وكانت

---

1 – جاء في حديث الإفك المتقدم ذكره بكامله في هذا الدرس: كما جاء في صحيح البخاري ومسلم: (...قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله "ولا يأتل أولو الفضل منكم إلى قوله غفور رحيم" قال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا...).

عائشة تفتخر بأشياء تقول: خُلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما، وزوجني الله فوق سبع سماوات، والسفير جبريل عليه الصلاة والسلام وأنتن زوجكن آباؤكن [1]، وكان الوحي إذا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه، وأنا ينزل عليه الوحي وأنا معه في لحاف واحد[2]، ويوم موتِها دخل عليها ابن عباس وهي وجلة من القدوم على الله تبارك وتعالى فقال لها: أبشري أنت طيبة زوجة طيب والله وعدك مغفرة ورزقا كريما هو الجنة ففرحت بذلك[3]. «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ

---

[1] – أخرج الشيخان عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أريتك قبل أن أتزوجك مرتين رأيت المَلَك يحملك في سَرَقة من حرير فقلت له اكشف فكشف فإذا هي أنت فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه ثم أريتك يحملك في سرقة من حرير فقلت اكشف فكشف فإذا هي أنت فقلتَ إن يك هذا من عند الله يمضه). صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب ثياب الحرير في المنام (7012). وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب في فضل عائشة (4468). وفي لفظ الترمذي: عن عائشة أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة .سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب من فضل عائشة (3815).

[2] – أخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم قالت فأعرض عني فلما عاد إلي ذكرت له ذاك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: (يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها). صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب فضائل عائشة (3775).

[3] – عن ابن أبي مليكة قال استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة قالت أخشى أن يثني علي فقيل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وجوه المسلمين قالت ائذنوا له فقال كيف تجدينك قالت بخير إن اتقيت قال فأنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم ينكح بكرا غيرك ونزل عذرك من السماء ودخل ابن الزبير خلافه فقالت دخل ابن عباس فأثنى علي ووددت أني كنت نسيا منسيا

تَدْخُلُواْ بِيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ﴾ كان الناس يدخلون الدور بغير استئذان فجاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: أنا أكون في بيتي في حالة لا أحب أن يراني أحد، ومن شاء أن يدخل بيت أحد يدخل فقط، فنزلت هذه الآية[1] ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بِيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُواْ﴾ تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَى أَهْلِهَا﴾ بأن يقول القادم السلام عليكم أأدخل ويتنحنح ويسبح[2] ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُواْ فَارْجِعُواْ هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ كان عمر بن الخطاب في خلافته يعس في الليل يذهب يتحسس أخبار الناس، فذهب ليلا معه ابن مسعود فأتيا لبيت أحد من الناس، فنظر عمر من شقوق الباب فرأى شيخا كبيرا وضع خمرا وعنده مغنية تغني له ويرقص ويشرب. غضب عمر حتى تسور الجدار ودخل عليه وقال له: مثلك من المسلمين في هذه الحالة، في هذا الوقت من الليل في هذه البلدة؟ فقال: إيذن لي في الكلام يا أمير المؤمنين، انصفني واقبل مني أن أقول، قال: ألك ما تقول؟ قال: نعم لي ما

. صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب "ولولا إذ سمعتموه قلتم..الآية (4753) وعند أحمد عن ابن عباس: ما بينك وبين أن تلقي الأحبة إلا أن يفارق الروح الجسد كنتِ أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ولم يكن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا طيبا وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فنزلت فيك آيات من القرآن فليس مسجد من مساجد المسلمين إلا يتلى فيه عذرك آناء الليل وآناء النهار..) مسند أحمد: من مسند بني هاشم/ بداية مسند عبد الله بن عباس (1806).

1 – نقله الطبري عن عدي بن ثابت، تفسير الطبري: من سورة النور/ الآية 27 .

2 – أخرج ابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قلنا يا رسول الله هذا السلام فما الاستئذان؟ قال: يتكلم الرجل تسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح ويؤذن أهل البيت. سنن ابن ماجه: كتاب الأدب/ باب الاستئذان (3697).

أقول. قال: قل. قال: عصيتُ الله مرة واحدة وعصيتَ ثلاث مرات: نَهاك الله عن التجسس قال: "ولا تجسسوا" وقد تجسست، ونَهاك عن التسور وتسورت ما دخلت من الباب، ونَهاك عن الدخول بغير إذن وقد دخلت بغير إذن، أنت أمير المؤمنين عصيت الله ثلاث مرات فلي أن أعصي الله مرة واحدة. قال له: أستسمحك، قال له: سامحتك. فخرج عمر يضرب رأسه: ويل عمر إن لم يغفر الله له، ويل عمر ويلك يا عمر كل الناس أعلم منك[1] ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾ منفعة ﴿لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عما لا يحل لهم نظره ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ عما لا يحل لهم فعله ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ غض البصر واجب، الإنسان إذا أطلق طرفه لابد أن يأتيه بأفكار رديئة، وتلك الأفكار لا تتركه حتى تدخله في مخالفة، وغض البصر يعينه على حفظ الفرج فلهذا أمر الله تبارك وتعالى بغض الأبصار، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهن ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ كما وجب على الرجال غض الأبصار كذلك يجب على النساء أيضا. دخل ابن أم مكتوم وكان أعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زوجتان له فصار يقول لهما: احتجبا احتجبا، قالتا هو أعمى لا يبصر شيئا، قال: أفعمياوان أنتما؟[2] كما يجب غض البصر على الرجل كذلك يجب على المرأة

---

1 – وردت هذه الحكاية في روح البيان ج139/6.

2 – عن نبهان مولى أم سلمة أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة قالت فبينا نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احتجبا منه، فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه؟. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. سنن

﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان فيجوز النظر إليهما، وكما يجب غض البصر يجب غض البصيرة أيضا، أهل البصائر فراساتُهم تكاد ألا تخطئ، ويجب عليهم أن يغضوا بصائرهم لا يطلقونَها في عورات المسلمين. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يسترن رؤوسهن والأعناق والصدور بالمقانع ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل ﴿أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ المحارم ﴿أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي نساء مثلهن ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج – وخرج بنسائهن الكافرات – فلا يجوز للمسلمات التكشف لهن لأنّهن يصفن لأزواجهن، وشمل ما ملكت أيمانُهن العبيد ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ في فضول الطعام ﴿غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كل ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ﴾ يطلعوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ فيجوز أن يبدين لهم إلا ما بين السرة والركبة ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ من خلخال يتقعقع ﴿وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ – تبنا إلى الله ورسوله – مما وقع لكم من النظر الممنوع ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تنجون ﴿وَأَنكِحُواْ الْأَيَامَى مِنكُمْ﴾ الأيم من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا، ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر، كان حرم تزويج الزانية ونسخته هذه الآية «وأنكحوا الأيامى منكم» ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ المؤمنين من عبادكم

الترمذي: كتاب الأدب/ باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال (2704). سنن أبي داود: كتاب اللباس/ باب قوله عز وجل: "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن (3585).

﴿وَإِمَائِكُمْ﴾ جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله: إن زوجتي لا ترد يد لامس، قال له صلى الله عليه وسلم: طلقها، قال: أحبها إذا طلقتها تتبعها نفسي، قال: اصبر عليها إذاً[1]. ﴿إِنْ يَكُونُواْ فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ التزويج من أسباب الغنى، شكا رجل إلى الحسن الفقر، قال له: تزوج فتزوج قال له: اشتر فرسا فاشترى فرسا، اشتر خادما، فأدر الله عليه الرزق، وشكا إليه أحد الفقر قال له: تزوج، فتزوج ودام الفقر، فأتاه وقال له مازلت فقيرا، قال له: طلقها، فطلقها قال كنت أظن أنه من أهل الآية "إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله" بالتزويج فلما لم يكن من أهل هذه الآية علمت أنه من أهل الآية الأخرى "وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته"[2] فلما طلقها وجد رزقا الحمد لله ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أمانة وقدرة على الكسب ﴿وَءَاتُوهُمْ﴾ أمر للسادة ﴿مِن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَاتِكُمْ﴾ إمائكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففا، شر الحرف الكسب بالزنى، كان عبد الله بن أبي عنده جوار يرسلهن للكسب من أنفسهن، فامتنعن واحدة منهن تحب العفاف فأكرهها فنزلت هذه

---

1 – عن ابن عباس أن رجلا قال: يا رسول الله إن تحتي امرأة لا ترد يد لامس، قال: (طلقْها) قال: إني لا أصبر عنها قال: (فأمسكها). سنن النسائي: كتاب الطلاق/ باب ما جاء في الخلع (3411). وفي سنن أبي داود عن ابن عباس بلفظ: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأتي لا تمنع يد لامس، قال: (غربها) قال: أخاف أن تتبعها نفسي، قال: (فاستمتع بها). سنن أبي داود: كتاب النكاح/ باب النهي عن تزويج من لم تلد من النساء (1753).

2 – تفسير القرطبي ج5/ 408 وفي روح البيان عن جعفر بن محمد ج6/ 147.

الآية[1] ﴿لِتَبْتَغُواْ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نزلت في عبد الله بن أبي، ﴿وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً﴾ خبرا عجيبا وهو خبر عائشة ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من جنس أمثالهم كخبر يوسف ومريم، (...)[2] ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله تعالى "ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله" ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ منورهما، النور أربعة أقسام: نور يظهر الأشياء الظاهرة ولا يراها كنور الشمس وما أشبهه، ونور يكشف الأشياء الظاهرة ويراها كنور البصر، ونور يكشف عن الأشياء الباطنة ويدركها كنور العقل، ونور يخرج الوجود من العدم وهو نور الله تبارك وتعالى، نور الله إذا دخل في عدم صار وجودا، إذا النور هو الوجود والظلمة هي العدم، المعدوم لا يراه أحد. الله تبارك وتعالى هو نور السماوات والأرض، قال المفسر[3] منورهما بالشمس والقمر، والتفسير أقوى من ذلك، هو نورهما وجودهما ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ صفته في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة الطاقة غير النافذة فيها مصباح ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ هي القنديل، المصباح السراج ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ مضيئ ﴿يُوقَدُ﴾ المصباح ﴿مِنْ﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ بل

---

1 - أخرج مسلم في صحيحه عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة فكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله "ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء" إلى قوله "غفور رحيم" صحيح مسلم: كتاب التفسير/ باب في "ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء" (5355).

2 - هنا سئل الشيخ عن المغفرة في قوله "ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم" هل هي له أم لها؟ فقال: لها هي أما المكرِه فلا.

3 - جلال الدين المحلي في الجلالين.

بينهما ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إذا أوقد، هذا مثل لنور المؤمن، نور الله هداه للمؤمن مع نور إيمانه ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ دين الإسلام ﴿مَنْ يَّشَاءُ وَيَضْرِبُ﴾ يبين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريبا لأفهامهم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه ضرب الأمثال. يسبح لله ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ تعظم وهي المساجد ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ﴾ أي يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ﴾ يبيعون ويشترون ولكن عندما حان ذكر الله رجعوا إلى الله تبارك وتعالى ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ ثوابه ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقال فلان ينفق بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع أي في فلاة وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿الظَّمْآنُ﴾ العطشان ﴿مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ مما حسبه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ جزاءه ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ المجازاة ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ عميق ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ أي الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ غيم ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ من لم يهده الله لم يهتد ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن التسبيح الصلاة ﴿وَالطَّيْرُ﴾ جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ تغليب العاقل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن

المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء بدل بإعادة الجار ﴿مِن بَرَدٍ﴾ بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَّشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّنْ يَّشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبْرَةً﴾ دلالة ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ حيوان ﴿مِن مَّاءٍ﴾ نطفة ﴿فَمِنْهُم مَّنْ يَّمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَّقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ بينات هي القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَّشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾ هما فيما حكما به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾ يعرض ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن المجيئ إليه ﴿وَإِنْ يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُواْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ مسرعين طائعين ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمِ ارْتَابُواْ﴾ أم شكوا في نبوته ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَّحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ يجور في حكمه فيظلموا فيه ﴿بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالإعراض ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ بالقول اللائق بهم ﴿أَنْ يَّقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بالإجابة ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُّطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَيَتَّقِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنة. اللهم صل على سيدنا محمد.

الدرس السادس والثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر

ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ المنافقون أقسموا بالله جهد أيمانهم غايتها ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالجهاد ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ يقسمون للنبي صلى الله عليه وسلم دائما أنّهم مؤمنون به وأنّهم معه وأنّهم إذا خرج النبي سيخرجون معه وإذا قاتل سيقاتلون معه، كثيرا ما يقولون هذا للنبي صلى الله عليه وسلم نفاقا. ويقسمون بالله جهد أيمانهم، الجهد: الطاقة، واليمين في اللغة: القوة[1]، كأن المقسم أيد خبره وقواه بذكر اسم الله. هذا هو اليمين، ويطلق على اليد اليمنى لأنّها كأنّها مظهر قوة الإنسان. هم يقسمون غاية القسم باسم الله أنّهم إذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم سيمتثلون أمره ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لاَ تُقْسِمُواْ﴾ لا تحتاجون للقسم ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ طاعة للنبي صلى الله عليه وسلم معروفة خير من قسمكم الذي لا تُصدَّقون فيه. المدار على العمل، العمل يصدق القول أو يكذبه فإن كانوا أطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحتاجون للقول إنّهم معه وإنّهم سيطيعونه. الطاعة معروفة إن عملوها فلا يحتاجون للكلام وإذا لم يعملوها أيضا فلا يحتاجون للكلام، لأن أيمانَهم

---

1 – في اللسان (مادة يمن): واليمين القوة والقدرة.

لا تصدق، وأقوالهم لا تقبل بحال من الأحوال، لأن أفعالهم تكذب أقوالهم، ولو أطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم لكان ذلك خيرا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل. وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي طريق النجاة للعبد، فإن الله تبارك وتعالى قرن ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء، فلا يُقبل واحد منها دون الآخر قال: "أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" فمن ترك الزكاة لا تقبل منه الصلاة، وقرن طاعة الله بطاعة رسوله "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول" فمن لم يطع الرسول لا تقبل منه طاعة الله بحال من الأحوال، وقرن شكر الله بشكر الوالدين "أن اشكر لي ولوالديك" فمن لم يشكر والديه فلا يقبل منه شكر الله تبارك وتعالى، وكما قالوا: من ادعى ثلاثة أشياء بدون ثلاثة أشياء فهو كذاب، من ادعى محبة الجنة وأبى أن ينفق من ماله فهو كذاب، من أحب الجنة لابد له من الإنفاق "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون"، ومن ادعى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تقبل دعواه إلا إذا أحب الفقراء، من أحب النبي لابد أن يحب الفقراء هم أصحابه، ومن ادعى محبة الله ترك محارمه، من ادعى محبة الله وينتهك محارم الله فهو كذاب[1]. ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾ الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أصله إن توليتم، «إن تولوا» إن تتولوا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته. الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمِر إلا بالتبليغ وقد بلّغ، هو فعل ما عليه، بقي ما علينا نحن فإن أطعناه أتينا بما علينا، ومن لم يطع الرسول فقد بقي ما عليه. أما الرسول فقد أدى واجبه صلى الله عليه

---

1 - ورد في روح البيان: قال حاتم الأصم رحمه الله: من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب، من ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى محبة الله من غير ترك محارمه فهو كذاب، ومن ادعى محبة النبي عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب . روح البيان ج172/6.

وسلم ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ من أراد الهداية فليتبع الرسول صلى الله عليه وسلم، طريق النجاة في باب العبادة ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ﴾ محمد ﴿إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ إلا التبليغ، التبيين هو الواجب على الرسول؛ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بدلا من الكفار. إن الله تبارك وتعالى وعدنا وعدا حسنا وسيفي لنا بما وعد، ولكن بقي أن نقوم بما علينا «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الخلافة النيابة، النيابة عن الشخص إن كان غائبا أو مات أو عجز يحتاج للخليفة أو استُخلف تشريفا فقط وتكريما مع حضور المستخلَف، وهذا ما لأولياء الله تبارك وتعالى، هم خلفاء الله والله حاضر لا يغيب ولا يموت، استخلفهم تكريما لهم، وما سوى خلفاء الله إما أن يخلفوا لغياب مخلوفهم أو موته أو عجزه عن أداء واجبه. إن الله تبارك وتعالى وعدنا وعدا حسنا هو أن يستخلفنا في الأرض، أن يجعلنا خلفاء لله كما استخلف الذين من قبلهم من صلحاء بني إسرائيل بدلا من الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وهو الإسلام ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الكفار ﴿أَمْنًا﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذُكر. إن هذه نزلت في بداية الإسلام، والمسلمون في غاية الخوف من الكفار، فهاجروا إلى المدينة وصاروا يقاتلون حتى تغلبوا على جميع العرب، فصار الحكم لهم وهم في أمن وأمان، إن الله تبارك وتعالى كما فعل بأول الأمة سيفعل بآخر الأمة عندما يقومون بأداء واجبهم من امتثال أوامر القرآن واجتناب نواهيه والإقتداء بالرسول وأصحابه يستخلفهم في الأرض كما استخلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلنا، وليبدل هذا الخوف أمنا. رجال الدين على أقسام: منهم حملة القرآن وحفاظ

أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، هؤلاء هم خِزانة الدين منهم يقتبسون وإليهم يرجعون في أصول العلم، ومنهم رجال يعلمون أصول الدين ويردون على المبتدعة والفرق الضالة بالحجج الدامغة، أولئك بطارقة الإسلام أو حكام الإسلام، ومنهم الفقهاء الذين يبينون للناس كيفية الأعمال والمعاملات، هؤلاء هم الوكلاء والمتصرفون، ومنهم أرباب المعارف والحقائق يبينون طريق السير إلى الله تبارك وتعالى بترك كل ما سواه والاشتغال به دون غيره، هؤلاء هم خلفاء الله في الأرض، جعلنا الله وإياكم منهم ﴿يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ من كفر تلك النعمة بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون، وأول من كفر تلك النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه، فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا، وصاروا أعداء بعدما كانوا أحبة، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا وضع السيف في أمتي فلن يرفع إلى يوم القيامة)[1] لما قتل عثمان فسد نظام هذه الأمة من ذلك الوقت إلى يومنا هذا وقد قال لهم عثمان: تقتلونني؟ والله إذا قتلتموني لا تقاتلون خلف إمام واحد أبدا إلى يوم القيامة، ووقع الأمر كذلك. العارفون الكمل استخرجوا من هذه الآية وجود خاتم الأولياء حيث أن الأنبياء لهم خاتم هو محمد صلى الله عليه وسلم، وقد وعد الله هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، فهموا من هذا أن للأولياء خاتما، وأول من ألف في ذلك الحكيم الترمذي ذكر أن للأولياء خاتما وذكر له علامات، وذكره كذلك ابن العربي الحاتمي حتى ذكروا اسم بلده ومكانه واسمه وقال ابن العربي:

---

1 – أخرج الترمذي عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة). سنن الترمذي: كتاب الفتن/ باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه (2128). سنن أبي داود: كتاب الفتن والملاحم/ باب ذكر الفتن ودلائلها (3710).

رأيته بفاس مبتلى بالإنكار فيما يتحققه من سره[1]. لم يقل إلا الحق والناس يتكالبون على الإنكار على هذا الذي قال، وألف ابن العربي الحاتمي كتابا سماه: عنقاء مُغرب في خاتم الأولياء وشمس المغرب، ذكر أن للأولياء خاتما ولوّح إلى مقام الكتمية بذكر الشمس لأن الشمس لا يُتحقق النظر فيها حقيقة، وقال في كتابه: إنما جعله الله في المغرب لأن المغرب محل أسرار الله والكتم، أي أن الله بعث الأنبياء جميعا من أول الدهر إلى آخر الدهر ما وصل نبي إلى هذه الأرض، بل جعل هذه الأرض كأنّها محل كتم، إذا أراد أن يكتم شيئا أتى به إلى هذه الأرض. «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» قلنا أول من كفر قتلة عثمان ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَءاتُواْ الزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أمر الله تبارك وتعالى بإقامة الصلاة، الصلاة عماد الدين، وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول، فطاعة الرسول سبب لرحمة الله تبارك وتعالى لأنه عين الرحمة، وهو باب الله من أتى من غيره لم يصل إلى رحمة الله تبارك وتعالى، هو محمد صلى الله عليه وسلم وأحمد وحامد، والحمد والرحمة لا يفترقان فعلى هذا من أطاع الرسول وصل إلى رحمة الله تبارك وتعالى عين الرحمة الربانية ﴿لاَ تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ

---

1 ـ قال محيي الدين بن العربي: وأما خاتم الولاية المحمدية فهو لرجل من العرب من أكرمها أصلا ويدا وهو في زماننا اليوم موجود عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده وكشفها إلي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه وهو خاتم النبوة المطلقة لا يعلمها كثير من الناس. وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به..إلخ كلامه في السؤال الثالث عشر من كتابه الفتوحات المكية ج87/3 دار الفكر.

كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الكفار باستدراج الله لهم وإمهاله وحلمه وتأخير عقابه يقدرون أنّهم يعجزون الله تبارك وتعالى أو يفوتونه، ولكن لا يفوتونه أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلهذا يمهلهم "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد" (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[1] ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الناس كانوا في بداية الإسلام يدخل بعضهم بيوت بعض في أي وقت شاء، وليس عندهم في ذلك الوقت يسر، ليس عندهم أبواب ولا ستار ولا شيء، فربما يدخل الولد على والديه ويرى ما لا يحب أن يرى، فأنزل الله هذه الآية ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء لا يدخلون عليكم إلا بالاستئذان ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ كذلك الأولاد الصغار الأحرار إذا عرفوا أمر النساء لا يدخلون إلا بإذن ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ في ثلاثة أوقات، هذه الثلاثة الأوقات لابد فيها من الاستئذان قبل الدخول ﴿مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ في الليل، لأن الليل وقت المبيت ووقت الإيواء إلى الأهالي ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾ كذلك وقت القيلولة، وقت قصير بعضهم ينام القيلولة وبعضهم لا ينامها فلهذا وصف بـــ«حين تضعون ثيابكم من الظهيرة» لم يقله في الجملة الأولى قبل صلاة الفجر لأن هذا معروف أن قبل صلاة الفجر وقت وضع الثياب والتجرد،

---

1 – روى الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) قال ثم قرأ "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد". صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة" (4686)، وفي صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم (4680). وقد تقدم في الدروس 9، 20، 26.

كذلك وقت الظهيرة، إن وضع الإنسان لباسه لنوم القيلولة يمنع الدخول عليه بدون إذنه ﴿وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ﴾ كذلك بعد صلاة العشاء، الليل كله والقيلولة وقت وضع اللباس ﴿ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ هذه الأوقات الثلاثة ثلاث عورات لكم، وقت إلقاء الثياب وربما تبدو فيها العورات. هذا دليل على ثبوت الممالك وجواز اتخاذ العبيد للخدمة، وأنّهم يجب عليهم الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة، كذلك الأولاد الصغار إذا عقلوا أمر النساء ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ بعد هذه الأوقات الثلاثة العبيد والصبيان يدخلون على وليهم بدون إذن ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بعضكم طائف على بعض ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمور خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ بما دبره لهم. سئل ابن عباس عن هذه الآية قال: كان الزمان زمان قلة وفقر ليس عندنا يسر، أما الآن فقد بسط الله الرزق واتخذنا البيوت والأبواب والستور[1]، والحكم إذا وقع بعلة يرتفع بزوال علته، هذا قول ابن عباس، فعلى هذا الإنسان إذا أغلق بابه لا يدخل عليه أحد وإذا فتح بابه علموا أنه إذن للدخول، فعلى هذا أمر الاستئذان خفيف في هذه الحالة ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمْ﴾ أيها الأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ في جميع الأوقات.

---

1 ـ أخرج أبو داود عن عكرمة أن نفرا من أهل العراق قالوا: يا ابن عباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل "يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم قرأ القعنبي إلى عليم حكيم" قال ابن عباس: إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد. سنن أبي داود: كتاب الأدب/ الاستئذان في العورات الثلاث (4518).

الأوقات الثلاثة في حق الصغار والعبيد والخدام، وأما الصغير إذا بلغ مبلغ الرجال فكل الأوقات سواء عنده لا يدخل بيت أحد إلا بإذنه ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الأحرار الكبار ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ قعدن عن الحيض والولد لكبرهن، هن العجائز المتجالات اللاتي لا شهوة فيهن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَّضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار، المتجالات كالرجال يجوز لهن أن يكشفن عن وجوههن كالرجال إذا كن لا شهوة فيهن ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ خفية كقلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَنْ يَّسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبكم، «اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا» هذا في حق الرجال بحيث أن الرجال لا يرغبون فيها ولا يرونَها أهلا لأن تنكح، أما هي في نفسها فلا تزال ترجو ذلك أبدا ولا تيأس منه غالبا. يحكى أن عجوزا كانت مريضة مرضا متطاولا، فدعا لها أبناؤها الأطباء، فجاء الطبيب فنظر إليها فإذا هي متزينة باللباس والحلي ومتطيبة، فقال لا باس عليها اطلبوا لها زوجا فقط، قال الأولاد مثل هذه تقول فيها إنّها يطلب لها زوج؟ هذه لا حاجة لها، قالت: قاتلكم الله أنتم أعلم أم الطبيب؟[1] الطبيب أعلم. وهذا عكس رابعة العدوية، يحكى أن رابعة العدوية لما مات زوجها استأذن الحسن البصري ورجال من أصحابه في الدخول عليها، فأذنت لهم وأرخت ستارا بينها وبينهم، قال لها الحسن: الآن مات بعلك، والمرأة لابد لها من بعل، لابد أن تتزوجي. قالت: نعم، اختاروا أعلمكم أكلمه ويكلمني قالوا: الحسن البصري، قالت أسألك عن أربعة أشياء: إذا قُبض

---

1 – وردت في روح البيان ج6/179.

روحي أقبض على الإيمان أو على الكفر؟ قال الحسن: هذا غيب لا يعلمه إلا الله. قالت: إذا سألني منكر ونكير يكون جوابي على الثبات أم على العكس؟ قال لها: هذا غيب لا يعلمه إلا الله. قالت: إذا خرجت الصحف أقبض كتابي بيميني أم بشمالي؟ قال: هذا غيب لا يعلمه إلا الله. قالت: إذا نودي فريق في الجنة وفريق في السعير في أي الفريقين أكون؟ قال: هذا غيب لا يعلمه إلا الله. قالت: أنا أعلم هذه الأربعة، أحد يعلم هذه الأربعة ما حاجته في النكاح؟ ولكن يا حسن أسألك بالله كم أجزاء العقل في الإنسان؟ قال: عشرة أجزاء تسعة للرجال وجزء للمرأة. قالت: كم أجزاء الشهوة؟ قال: عشرة أجزاء تسعة للنساء وجزء للرجل. قالت له: أنا أقدر أن أحفظ تسعة أجزاء من الشهوة بجزء من العقل وأنت تعجز أن تحفظ جزء من الشهوة بتسعة أجزاء من العقل، إليك عني أنا لا حاجة لي في النكاح[1]. ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابليهم، كانوا يتجنبون مؤاكلة بعضهم لبعض، الأعمى يقول إذا أكلت مع أرباب البصائر ربما تعلق أحدهم بشيء وآخذه أنا لعدم رؤيتي، والبصير يقول عكس ذلك فتحرجوا من مواكلة بعضهم لبعض نزل عليهم أن لا حرج، الأعمى والأعرج والمريض مؤاكلتهم لمقابليهم ليس فيها أي شيء، لا حرج ﴿وَلاَ﴾ حرج ﴿عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ﴾ ليس عليكم حرج في أكلكم من بيوت أولادكم، بيوتكم هذا معناه بيوت أولادكم لأن الإنسان لا يتحرج أبدا من أن يأكل ماله في بيته هذا ليس فيه حرج، إنما يعني بيتا كبيته بالنسبة له وهو بيت

---

1 – روح البيان ج6/179.

الأولاد بدليل (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه)[1] وفي الحديث (أنت ومالك لأبيك)[2] الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الولد وماله ملكا لأبيه، عكس ما يحكم به الأولاد الآن، لا جناح على الأب أن يدخل بيت ولده ويتناول ما شاء ويأكل، لأن الولد وملكه ملكٌ للأب (..)[3] ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ﴾ يجوز للولد أن يتناول من بيت أبيه ﴿أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ كذلك الأمهات ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ﴾ أي خزائنكم التي أودعتموها عند خازنكم ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أو بيت الصديق، هذا إذا تيقن رضاهم بذلك، إذا تبين أنه بدخوله بيت أخيه وتناول ما شاء من بيته يرضي الأخ ولا يغيظه. خرج ابن عباس ورجع فوجد جماعة من الصحابة دخلوا بيته ورفعوا الفراش وكان ادخر طعاما تحت فراشه، فاستخرجوه وصاروا يأكلون، فأتى مستبشرا وقال: هكذا

---

1 – أخرج الترمذي والنسائي عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم). سنن الترمذي: كتاب الأحكام/ باب ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده (1278). سنن النسائي: كتاب البيوع/ باب الحث على الكسب (4373).

2 – عن جابر بن عبد الله أن رجلا قال: يا رسول الله إن لي مالا وولدا وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال: (أنت ومالك لأبيك). سنن ابن ماجه: كتاب التجارات/ باب ما للرجل من مال ولده (2272).
وفي سنن أبي داود: عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن لي مالا وولدا وإن والدي يجتاح مالي قال: (أنت ومالك لوالدك إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم). سنن أبي داود: كتاب البيوع / باب في الرجل يأكل من مال ولده (3063).

3 – هنا أجاب الشيخ عن سؤال حول مال الولد بالنسبة لأبيه فقال: [أنت ومالك لأبيك ملك يتصرف الأب في الولد وماله كما شاء، ولكن الأولاد عكسوا القضية منذ زمان جعلوا أباك وماله لك]

أدركت البدريين يفعلون، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس حرج بينهم، كل من دخل بيت صاحبه ووجد شيئا يحبه يتناوله فقط[1]. وعادة العرب أنّهم كانوا يستجيزون إذا سافر الإنسان وعطش ولقي حيوانا لأي أحد يأخذه يحلب ويشرب ليس في ذلك شيء، حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى الهجرة إلى الغار خرج أبو بكر ولقي راعيا من قريش: قال له: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم فأخذ شاة وحلبها وأتى به الرسول فشرب[2]، لأن هذا كان من عادة قريش يفعله بعضهم لبعض، فقبلته الشريعة كما وضعوه. هؤلاء الأقارب، والصديق من جملة الأقارب أو أقرب، حيث أن أهل النار لم يفتخروا بقربائهم بل بأصدقائهم "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم" ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا﴾ أي مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، كان بعض المسلمين إذا حضر طعامه يخرج يطلب من يأكل معه، إن لم يجد من يأكل معه لم يأكل، وإذا وضع له الشراب خرج يطلب من يشرب معه إن لم يجد من يشرب معه لم يشرب، فنزلت هذه الآية[3] رفعا للحرج "ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا" إذا وجدت من يأكل معك فكل معه

---

[1] – ذكرها البروسوي في روح البيان غير أنه عزاها إلى الحسن (البصري) ج180/6.

[2] – عن أبي إسحاق قال سمعت البراء رضي الله عنه قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وأبو بكر معه، قال أبو بكر مررنا براع وقد عطش رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو بكر رضي الله عنه فحلبت كثبة من لبن في قدح فشرب حتى رضيت، وأتانا سراقة بن جعشم على فرس فدعا عليه فطلب إليه سراقة أن لا يدعو عليه وأن يرجع، ففعل النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري: كتاب الأشربة/ باب شرب اللبن (5607). صحيح مسلم: كتاب الأشربة/ باب جواز شرب اللبن (3749).

[3]– قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى "ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا" قيل إنها نزلت في بني ليث بن بكر وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده ويمكث أياما جائعا حتى يجد من يؤاكله. القرطبي ج317/12.

لا باس «أو أشتاتا» إن لم تجد أحدا فكلْ وحدك ليس فيه حرج ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بِها ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ الإنسان إذا دخل بيته يسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد يسلم على عباد الله الصالحين، فإن الملائكة ترد عليه ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ هذه التحية من عند الله مباركة طيبة. الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا أتيت بيتك فسلمْ إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد فسلم على عباد الله الصالحين وصل على النبي صلى الله عليه وسلم واذكر اسم الله تبارك وتعالى)[1] وإذا كنت خارج بيتك كل من لقيت فسلم عليه، فإن هذا يكسب المرء طول العمر، سلامه خارج داره، ويكسب المرء بركة بيته سلامه في داخل داره، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. السلام خارج الدار يوجب طول العمر كأن ذلك سر السلام، والسلام داخل الدار ينزل البركة[2]. ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإنسان إذا أتى منزله وسلم وذكر اسم الله انصرف الشيطان وقال: لا مقيل لكم، وإن دخل ولم يسلم ولم يذكر اسم الله دخل معه الشيطان، وإذا وضع الطعام وذكر اسم الله قال الشيطان: لا غداء عندكم ولا عشاء، وإن لم يذكر اسم الله أكل الشيطان معه، وإن أتى لفراشه

---

1 – عن مالك أنه بلغه إذا دخِل البيت غير المسكون يقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. الموطأ: كتاب الجامع/ باب إذا دخل البيت غير المسكون يقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. (قال الباجي في شرحه): معناه والله أعلم أنه لم يكن فيه من يسلم عليه فليسلم على نفسه وعلى عباد الله الصالحين كما يفعل في التشهد قال الله عز وجل فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال عبد الله بن عباس معناه إذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد فقولوا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

2 – أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك). سنن الترمذي: كتاب الاستئذان والآداب/ باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته (2622).

وذكر اسم الله قال الشيطان: لا مأوى لكم ولا مبيت، وإن لم يذكر اسم الله بات معه الشيطان وشاركه في أهله[1]. كان واحد من الصالحين بجواره آخر فرأى شيطانُ الجار شيطانَ الصالح في غاية الهزال والضعف قال له: ما بالك، مريض؟ قال: لا ولكن صاحبي لا يغفل عن ذكر الله، إذا دخل بيته قال بسم الله فأبقى في الشمس، وإذا وضع له الطعام قال: بسم الله فلا آكل، وإذا وضع له الشراب قال: بسم الله فلا أشرب، وإذا أوى إلى فراشه قال بسم الله، لا أجد شيئا فلهذا بقيت على هذه الحالة، قال الآخر بخلاف صاحبي أنا، لا يذكر اسم الله في شيء فأشاركه في كل أحواله[2]، الشيطان عدو ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا ذلك ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ﴾ أي الرسول ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة ﴿لَمْ يَذْهَبُواْ﴾ لعروض عذر لهم ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ يطلبون الإذن من النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالانصراف ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب الجمعة ربما يتسلل بعض الناس إذا عرض لهم عذر من غير استئذان، فأوجب الله الاستئذان لا ينصرف أحد إلا إذا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم وأذن له النبي واستغفر له. يقول الرسول

---

1 – عن جابر بن عبد الله أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء). صحيح مسلم: كتاب الأشربة/ باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما (3762).

2 – ذكرها الغزالي في الإحياء ج155/3، ط دار الجيل.

صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، أي أول من أتى يكتبون له ثواب أنه هو الأول، والثاني حتى يأتي الإمام فإذا دخل الإمام طووا صحفهم وجلسوا يستمعون الذكر[1] يعني من أتى بعد إتيان الإمام لم يكتب له ثواب الإتيان وإن كان له جمعة، وقيل يكتب بعد تمام الصلاة ﴿لاَ تَجْعَلُواْ دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ سبب نزولها أن الناس كانوا ينادون النبي صلى الله عليه وسلم كسائر الناس، بعضهم يقول يا محمد، بعضهم يقول يا أحمد، يا أبا القاسم «لاَ تَجْعَلُواْ دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» بأن تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وخفض صوت ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي يخرجون عن أمر الله تبارك وتعالى ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَ﴾ يعلم ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ متى يكون ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ من الخير والشر ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌ﴾ الله تبارك وتعالى مطلع على العبد وعلى جميع أقواله وأفعاله خيرا كان أو شرا، ويعلم اليوم الذي يرجع فيه العبد إلى الله تبارك وتعالى بالموت،

---

1 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر). صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة (3211) وفي صحيح مسلم: كتاب الجمعة/ باب فضل التهجير يوم الجمعة (1416).

والرجوع إلى الله ما بعد الموت مؤجل أو في كل أحواله مؤجل، إن كان العبد رجع إلى الله تبارك وتعالى بالفناء فيه وذكره وترك كل ما سواه فهو راجع إلى الله عاجلا، وإلا فسيرجع إليه في يوم من الأيام بالسلاسل مقيدا قادما إليه «والله بكل شيء عليم».

سورة الفرقان

مكية إلا "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى "رحيما" فمدني
تلك الآيات مدنية وهي سبع وسبعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَارَكَ﴾ تعالى ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ تعالى الذي نزل الفرقان هو القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ كان ابن عباس يتوقف في تفسير ثلاث كلمات من القرآن قال إنه ما كان يعلم تفسير: "تبارك، والمتاع، والرقيم". فصار يدور في البادية لأن البادية فيها العرب الفصحاء، فوقف يوما فجاء رجل يسأل ابنا له صغيرا، قال له جاء الرقيم وأخذ المتاع وتبارك الجبل، فعلم تفسير الكلمات التي كان يستشكل، علم أن الرقيم الكلب، والمتاع خرقة مبلولة كانوا يمسحون بها الأشياء، وتبارك الجبل أي تعالى على الجبل[1]. تبارك، هذه الكلمة ذكرها في أول سورتين "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده" و "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير" السورتان افتتحهما بهذه الكلمة وهي كثرة البركة من الله تبارك وتعالى، فكثرة

---

1 – روح البيان عن الصاحب بن عباد ج218/5.

البركة من الله تبارك وتعالى أظهرها في هاتين السورتين؛ هذه السورة فيها دولة القرآن، دولة باطنة لأوليائه وخلفائه، وتبارك الأخرى ذكر فيها الدولة التي هي الملك الظاهر. فالملك ملكان ملك ظاهر لأرباب الدول، وملك باطن لأهل القرآن المتمسكين به أعني الذين يعملون بالقرآن حقيقة. «نزّل الفرقان» من أسماء القرآن. القرآن له أسماء تزيد على خمسين اسما كلها في القرآن[1]، ومرجع هذه الأسماء إلى اسمين فقط: القرآن والفرقان. القرآن من القرء الذي هو الجمع، والفرقان من الفرق. فالناس قسمان: أهل الفرق وأهل الجمع، لابد من فرق ولابد من جمع، وفرق بدون جمع حجاب، وجمع من دون فرق كأنه ليس بكمال. فالأكمل أن لا يحجبه فرقه عن جمعه ولا جمعه عن فرقه، يعطي كل ذي قسط قسطه وكل ذي حق حقه، هذا هو صاحب دولة القرآن «نَذِيرًا» مخوّفا من عذاب الله ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يُخلق ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ سواه تسوية ﴿وَاتَّخَذُواْ﴾ أي الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿ءَالِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ الأصنام لا يخلقون شيئا وهم مصورون فقط ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ دفعه ﴿وَلاَ نَفْعًا﴾ جره ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ إماتة لأحد ﴿وَلاَ حَيَاةً﴾ ولا إحياء لأحد ليس بشيء ﴿وَلاَ نُشُورًا﴾ بعثا للأموات، ما أشد حماقتهم، يعبدون آلهة هم الذين يصنعونها بأيديهم والآلهة لا تصنع شيئا، لا تخلق شيئا ومن شأن الإله أن يكون خالقا، تركوا الخالق وعبدوا شيئا صوروه هم بأيديهم، يعبدون شيئا لا يضر ولا

---

1 – وردت أسماء القرآن في تفسير البرهان في علوم القرآن نقلا عن القاضي أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك الذي عدها خمسة وخمسين اسما مع ذكر مواطن ورودها في القرآن. ج273/1.

ينفع ولا يميت ولا يحيي ولا يبعث من مات، أهذا يمكن أن يكون إلها؟ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا﴾ أي ما القرآن ﴿إِلاَّ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد، هذا القرآن قالوا إنه كذب، والكذب هو ما قالوا هم، والقرآن الحق الواضح يقولون إنه إفك ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءاخَرُونَ﴾ هذا القرآن تأليف جماعة كثيرة جمع محمد علماء أهل الكتاب كلهم ألف له شيئا فجمعه ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ والله لقد كذبوا وقد كفروا، هذا كتاب أتى من عند الله تبارك وتعالى ﴿وَقَالُواْ﴾ أيضا هو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم، إن محمدا جمع شيئا من أساطير الأولين فقط وصار يقول إنّه من عند الله ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من أولئك القوم ﴿فَهْيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ له علماء يملون عليه هم الذين أقرأوه هذا حتى حفظه وصار يقول إنه من عند الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ لازمَ العلماء فتعلمَ منهم صباحا ومساء، قال تعالى ردا عليهم ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الغيب ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بِهم. اتّهموا النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو الذي اختلق هذا القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وِلد بين ظهرانيهم، نشأ فيهم حتى بلغ أربعين سنة ما خرج من مكة، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يجالس قط أحدا يعلم شيئا أو يكتب شيئا، وأتى بِهذا الكتاب المعجز الذي أعجز الأولين والآخرين، فصاروا يضللون الناس فقط، هم يعلمون الحق لأنّهم عرب فصحاء بلغاء يعلمون حقيقة القرآن، يعلمون أن هذا ليس من كلام البشر كما سيأتي، كلام عتبة والوليد بن المغيرة كلهم قال هذا ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن[1]، ولكن يقولون

---

[1] – جاء في دلائل النبوة للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها

هذا ليضللوا الحمقى الذين وراءهم يسمعون لهم فقط ﴿وَقَالُواْ﴾ جاءوا بشبهة أخرى ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ مخدوعا مغلوبا على عقله. أرادوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون من جنس البشر، بل يكون ملكا والملك لا يأكل ولا يشرب فلهذا قالوا «ما لهذا الرسول يأكل الطعام» هلا كان ملكا لا يأكل ولا يشرب؟ أو إن كان من جنس البشر يكون ملِكا لا أقل من أن يكون ملِكا إن لم يكن ملَكا؛ أما مسكين يمشي في الأسواق يتطلب معاشه لا ينبغي أن يكون هو رسول الله، نحن لا نرضى إلا بأن يكون الرسول ملَكا لا يأكل، أو ملِكا لا يبذل نفسه في السوق وتطلُّب المعاش في الطرق، هذا شأن المساكين «أو تكون له جنة يأكل منها» كما تفعل الملوك، جعلوا عظمة القدر بالمال والدرجات الدنيوية، والأمر ليس كذلك، إنما هو بالتقرب إلى الله تبارك وتعالى والإيمان به ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ جعلوك مسحورا ومحتاجا إلى ما تنفقه وإلى ملك يقوم معك بالأمر ﴿فَضَلُّواْ﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ طريقا إلى الهدى ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر

مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر لها أو إنك كاره له، قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت "ذرني ومن خلقت وحيدا". دلائل النبوة: /باب اعتراف قريش بما في كتاب الله من الإعجاز ج445/1.

﴿الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ﴾ الله تبارك وتعالى إن شاء جعل لك خيرا مما ذكروا من الكنز والبستان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة، لو شاء لأعطاك الجنة في الدنيا كما سيعطيك في الآخرة. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام جائعا حتى شد حجرا على بطنه، صارت عائشة تبكي وتمسح بطنه الشريف وتقول يارسول الله هلا استطعمت خالقك يطعمك؟ لو استطعمت الله تبارك وتعالى لأطعمك[1] قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا تصلح الدنيا لمحمد ولا لآل محمد[2]، والله لو شئت لمشى جبال تِهامة لي ذهبا ولكني اخترت الفقر والجوع يوما لأتضرع لله تبارك

---

1 – ورد في كتاب تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي حديثُ مسروقٍ عن عائشة: قالت يا رسول الله، ألا استطعمت ربك فيطعمك، قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع، فقال: "يا عائشة، والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها، يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال تعالى: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) والله ما لي بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة إلا بالله". أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق مختصرا: يا عائشة إن الله لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال تعالى: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل). تخريج أحاديث الإحياء ج4/ كتاب الصبر والشكر..

2 – الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد. أخرجه السيوطي في الجامع الصغير لأبي عبد الرحمن السلمي في الزهد عن عائشة وقال حديث حسن (4284).

وتعالى، والشبع يوما لأقوم بشكر الله تبارك وتعالى[1]، يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا، نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما كل يوم يدعوهم إلى الله ويضربونه حتى يظنون أنه مات ويأخذونه ويلقونه خارج البلد، فإذا هب نسيم السحر رجع إليه حسه، فيرجع إليهم ويدعوهم إلى الله أيضا، ثم كذلك وصبر على هذا[2]، وإبراهيم أوقد له نمرود النيران فرموه في النار وصبر، وموسى صبر على أذى فرعون حتى فلق الله له البحر، وعيسى صبر على أذى اليهود حتى رفع إلى السماء، أنا الذي يهمني أني ألقاهم غدا وأن لا آتي دونَهم فقط، أما ما دون ذلك فهين عندي)[3] ذلك لا يكون. يقول البوصيري:

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

جبال تِهامة، بينما الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي ليلا إذ تبدلت ذهبا خالصا وتعرضت للنبي صلى الله عليه وسلم فانصرف عنها ولم يلتفت إليها، ما كنا نعلم أن الذهب بقي ذهبا إلى يومنا هذا حتى استخرج الآن في زمن السعودية، هذه جبال تِهامة الآن تحفر والذهب موجود، كنا نظن أنه لما أعرض عنه النبي رجع ولكنه باق هناك مازال. «إن شاء جعل لك خيرا من ذلك» ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

---

1 – عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما، وقال ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك). سنن الترمذي: كتاب الزهد/ باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه (2270). وفي مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث أبي أمامة الباهلي (21166).

2 – قصص الأنبياء المسمى بالعرائس ص33.

3 – نور اليقين للشيخ محمد الخضري ص295.

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ أيضا ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ نارا مسعرة أي مشتدة ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غليانا كالغضبان ﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتا شديدا ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد بأن يضيق عليهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مصفدين قد قرنت جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ يقولون واثبوراه، واثبوراه يعني هلاكا فيقال لهم ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ هلاكا واحدا ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿جَزَاءً﴾ ثوابا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعا ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ أهل الجنة يدخلون الجنة ولهم فيها ما يشاءون، هذا أعظم وعد في الجنة، لهم ما يشاءون ﴿كَانَ﴾ وعدهم ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾ يسأله من وعد به بقولهم "ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك" أو تسأله لهم الملائكة "ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم" ولا يخلف الله وعده ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ إقامة للحجة على العابدين للأوثان، يخاطب الأصنام «آنتم أضللتم عبادي هؤلاء» أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ طريق الحق بأنفسهم ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي﴾ يستقيم ﴿لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ فكيف نأمر بعبادتنا ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق، أنت الذي بسطت لهم الرزق وأعطيتهم طول العمر فبغوا وكفروا بالله وعبدوا غير الله ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى، قال تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ المعبودون كذبوكم أيها

العابدون ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ أنهم آلهة ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعا للعذاب عنكم ﴿وَلاَ نَصْرًا﴾ منعا لكم منه ﴿وَمَنْ يَّظْلِمْ﴾ يشرك ﴿مِنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ شديدا في الآخرة ﴿وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كونهم يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يستحق الرسالة لأنه يمشي في الأسواق ويأكل الطعام، فكذلك الأنبياء قبلك كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ بلية ابتلى الغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثاني في كلٍّ: ما لي لا أكون كالأول في كلٍّ ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر وبمن يجزع، ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من دخل سوقا وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، من قال هذا في السوق كتبت له ألف ألف حسنة ومحيت عنه ألف ألف سيئة ورفعت له ألف ألف درجة[1] هذا يحمل الإنسان على الذهاب إلى السوق (...)[2] والفتنة أن الله تبارك وتعالى إذا أعطى الغنى لعبد وبجواره فقير ينظر ماذا

---

[1] – عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة. سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما يقول إذا دخل السوق (3350). وللدارمي بهذا اللفظ: كتاب الاستئذان/ باب ما يقول إذا دخل السوق (2576). وهو عند ابن ماجه (2226) وأحمد في مسنده (309)، وللحاكم في مستدركه (2010). وقد تقدم في الدروس 21، 32.

[2] – هنا أجاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه عن سؤال من أحد الحاضرين مفاده هل هذا الثواب مرتبط بمجرد دخول السوق ولو لغرض الذكر أم بالحاجة، فأجاب بقوله: نعم ولو كان له حاجة غير هذا إن أتى لحاجة قال هذا وإن أتى لأخرى قال هذا الحمد لله رب العالمين.

يفعل هل ينفق على الفقير ولا يتكبر عليه أم لا ينفق عليه ويتكبر عليه؟ والفقير هل يحسد الغني أم لا يحسده ويرضى بما قسم الله له، والصحيح بالمريض كذلك والشريف بالوضيع كذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ﴾ فكانوا رسلا إلينا، الكفار طلبوا أشياء طلبوا أن يأتيهم الملائكة رسلا إليهم ليس بني آدم ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ أو يكشف لنا الحجاب فنشاهد الحق تبارك وتعالى ويخبرنا أن محمدا رسوله، قال الصوفية: حتى الكفار أحسن حالا من المنكرين، المنكرون ينكرون رؤية الله تبارك وتعالى والكفار يطمعون فيها يقولون «أَوْ نَرَى رَبَّنَا» ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ ولكن تكبروا وطلبوا ما لا يستحقون ﴿وَعَتَوْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلبهم رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ﴾ في جملة الخلائق هو يوم القيامة ﴿لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ يوم نزول الملائكة عليهم سيأتي ولكن ذلك اليوم ليس لهم فيه بشارة، بل يجدون ما يخافون في ذلك اليوم بخلاف المؤمنين فلهم البشرى من الملائكة بالجنة، يبشرهم الملائكة بالجنة، والكفار لا يرون بشارة في ذلك اليوم، فعلى هذا ينبغي أن لا يستعجلوا ذلك اليوم ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ على عادتِهم، كان قريش إذا نزلت بهم شدة يقولون «حجرا محجورا»[1] أي عوذا معاذا يستعيذون من الملائكة هذه رقية عندهم «حجرا محجورا»، كلما رأوا ما يخافون يقولون هذه الكلمة ولكن يوم القيامة سيقولونَها كثيرا لأنّهم سيرون ما يخافون، ﴿وَقَدِمْنَا﴾ عمدنا ﴿إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ الكفار يقومون بأعمال الخير في

---

1 – نقله الخازن في تفسيره عن ابن عباس، ج346/3.

بعض الأوقات كصلة الرحم والصدقات وقرى الضيف وإغاثة الملهوف، هذه لو كانوا مسلمين لكانت قربات، ولكن القربة شرطها الإيمان، لابد أن يسبقها الإيمان، شرط في الباقي، أشهد أن لا إله إلا الله شرط في جميع أعمال الخير، من لم يقل هذه الكلمة فكل ما عمل من خير يصير هباء منثورا ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ منهم موضع قائلة وهي الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخِذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نَهار كما ورد فيه حديث. هذا تَهكم عليهم واستهزاء بِهم، أصحاب الجنة في الجنة في نعيم فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1]، ليس فيها حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نَهار ولا نوم، نعيم مقيم؛ وهم في حر النار فقال إنّهم أحسن منهم مستقرا ومقيلا، هذا تَهكم بِهم، لا مقارنة بينهما، لما ذكر المقيل من صفات الجنة فُهِم من ذلك أن الحساب ينقضي نصف النهار فأهل الجنة – جعلنا الله منهم – يقيلون في الجنة، وأهل النار أعاذنا الله من ذلك يقيلون في النار، الحساب من طلوع الشمس إلى نصف النهار فقط فيفرغ الله تبارك وتعالى من جميع حساب أعمال العباد، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾ أي كل سماء ﴿بِالْغَمَامِ﴾ معه وهو غيم أبيض، انشقت السماء وانشق الغمام الذي تحت السماء ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ من كل سماء ﴿تنزيلاً﴾ فيأتي الملائكة، هذا يوم القيامة ﴿الْمُلْكُ

---

1 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما أطلعتم عليه ثم قرأ "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (4780) وفي صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ ـــ (5050). وقد تقدم في الدروس 11، 13، 22.

﴿يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ ذلك اليوم، الملك في كل يوم لله، ولكن هو منازع في الملك الآن، كلهم يدّعي مُلكا، 'سينغور' يدعي ملك سينغال، 'ديغول' يدعي ملك فرنسا، 'خريتشوف'... كل أحد يملك شيئا، إذا جاء يوم القيامة "لمن الملك اليوم" لا يأتي جواب "لمن الملك اليوم" يجيب نفسه "لله الواحد القهار" الملك في كل يوم له ولكن منازع في الملك اليوم، وفي ذلك اليوم الملك له لأنه لا منازع له، هو يوم الحشر، يحشر جميع ما على وجه الأرض من بني آدم وهم عشر الجن فيحشر ما على الأرض من الجن وهم عشر الملائكة الذين سكنوا الأرض، فيحشر الملائكة الذين سكنوا الأرض وهم عشر الملائكة الذين في السماء الدنيا، ثم كذلك إلى أن تأتي على سبع سماوات[1] وهم عشر ما في البيت المعمور، وذلك عشر ما عند الكرسي، وذلك عشر ما في اسطوانة واحدة من اسطوانات العرش وهي ستمائة ألف وستون ألفا، وإلى ما وراء ذلك إلى عالم الرقى، وكل صنف يأتي يحوط بمن قبله، الجن يحلقون على بني آدم عشر مرات، والملائكة عشر مرات على الجن ثم

---

1 - قال ابن عباس رضى الله عنهما: يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والإنس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالجن والإنس وبجميع الخلق، ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم والجن والإنس وجميع الخلق وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق، ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق، ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تنشق السماء السابعة فينزل أهلها وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السماوات ومن الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السماوات وبالجن والإنس وجميع الخلق كلهم وينزل ربنا عز وجل في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السماوات السبع إلى آخر الحديث... تفسير ابن كثيز ج3 /317.

كذلك، لهذا يقول "إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان". الملك في ذلك اليوم للرحمن، لله، سمى نفسه الرحمن في ذلك الهول إبقاء للرجاء في قلوبنا. عادة القرآن كلما ذكر وعيدا أردفه بوعد لنجمع بين الخوف والرجاء كما يقول "ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد"، "يحذركم الله نفسه" هذا ذهب بقلب العبد إلى غاية الفزع "والله رءوف بالعباد" يسكنه، "من خشي الرحمن" الخشية خوف شديد قرنه بالرحمن، "نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم" كذلك سمى نفسه الرحمن في ذلك اليوم الهائل ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ يوم صعب على الكفار بخلاف المؤمنين ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾ المشرك عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبي بن خلف صديقه يندم يوم القيامة غاية الندم، عاض اليدين، يعض ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ ندما وتحسرا ﴿يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذتُّ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿سَبِيلاً﴾ أي طريقا إلى الهدى ﴿يَاوَيْلَتَى﴾ هلكتي ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا﴾ أُبي ﴿خَلِيلاً لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بأن ردني عن الإيمان. كان عقبة بن أبي معيط تاجرا وكان في الجاهلية كريما إذا رجع من تجارته يصنع مأدبة عظيمة ويدعو أشراف قريش كلا يتناولون الطعام عنده والشراب، فصنع مأدبة ودعا أشراف قريش، ومن جملة من دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال له أنا واجب علي إجابة دعوة كل من دعاني، ولكن لا أتناول طعامك ما دمتَ كافرا. قال: لا تفعل، هذه فضيحة عليّ أن تذهب عن طعامي و لم تأكل. قال: لا آكل طعام الكفار. فرغبة في أكل المصطفى صلى الله عليه وسلم نطق بالشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فأكرم النبي صلى الله عليه وسلم وفرح الصحابة

بذلك، وكان أبي بن خلف صديقا له وكان غائبا فلما رجع أتاه قال له: أي شيء بلغني عنك؟ قال: دخل علي رجل كريم فأحببت أن يتناول طعامي فاستحييت أن يخرج من عندي ولم يتناول طعامي فلم يقبل أن يتناول إلا بهذا الشرط فوافقته وشهدت له الشهادة. قال: وجهي من وجهك حرام أو ترتد ترجع إلى محمد وترد إليه دينه وتبصق في وجهه وتسبه، مازال به حتى فعل ذلك، أتى للمصطفى صلى الله عليه وسلم وارتد وبصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورجع البصاق إلى وجهه هو فصار برصا عليه[1]، وقال له أُبَيٌّ عندي فرس أعلفه لا أزال به حتى أقتلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتلك، فقتلهما النبي صلى الله عليه وسلم. يوم أحد قتل أبيا بيده، وأشقى البرية من قتل نبيا أو قتله نبي[2]، عين الرحمة الذي ذاته كلها رحمة إذا قتل إنسانا تبين أن هذا شقي، فقتل النبي صلى الله عليه وسلم أبيا، وقبل ذلك في بدر أخِذ عقبة بن أبي معيط وجيء به مقيدا في السلاسل فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا أن يقتله فقتله وقطعه قطعا فقال: أأقتل بين يدي قريش صبرا؟ من لصبيتي؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: النار. عقبة بن أبي معيط قتله النبي صلى الله عليه وسلم ولما سأل من يبقى لذريته قال له النبي صلى الله عليه وسلم: النار. فلهذا لا يرجى لهم خير أبدا. ويوم القيامة يتندم على هذه الفعلة ويتندم على اتخاذه هذا الخليل الذي أضله عن السبيل ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ

---

1 – راجع قصتهما في تفسير القرطبي وذكر فيها اختلاف الروايات في خليله هل أمية بن خلف أو أبي بن خلف. القرطبي ج13/ ص25.

2 – أخرج أحمد عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيا وإمام ضلالة وممثل من الممثلين). مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة / مسند عبد الله بن مسعود (3674). وقد تقدم في الدرس22.

لِلْإِنسَانِ﴾ الكافر ﴿خَذُولاً﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِيَ﴾ قريشا ﴿اتَّخَذُواْ هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ متروكا، شكاهم إلى خالقه، اتخذوا القرآن مهجورا أي متروكا، فلهذا نَهى الشرع أن يكون عند أحد مصحف ولا يتعهده بالقراءة، فكأنه تعرض لترك القرآن. كل مصحف له حق على مالكه أن يتعهده بالقراءة في بعض الأوقات، إن كان مصحفان تقرأ في هذا تارة وتارة في هذا، وكذلك من حفظ شيئا من القرآن وتغافل عنه حتى نسيه يدخل في هجران القرآن. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه: إن أكبر الكبائر أن يحفظ أحد آية من القرآن ثم ينساها[1]، يقول العلماء ينساها حتى لا يقدر أن يقرأها في المصحف، هذا ربما لا يقع «اتخذوا هذا القرآن مهجورا» متروكا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدوا من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ لك على أعدائك. عادة الله تبارك وتعالى أنه لا ينصب خليفة إلا ونصب له عدوا من الأكابر لأن الله تبارك وتعالى تجلى لآدم وجعله خليفة "إني جاعل في الأرض خليفة" هو آدم فخرج إبليس من جهة الشمال وصار عدوا لآدم، هذا العدو بسببه رفعت درجة آدم حتى وصل إلى ما وصل إليه، والعدو يزداد سقوطا وهلاكا وبعدا من رحمة الله تبارك وتعالى، لأن من حارب

---

1 – عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها). سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر (2840). سنن أبي داود: كتاب الصلاة / باب في كنس المسجد (390).

ولي الله حاربه الله[1]. وجعل لنوح كنعان ولده صار كافرا يعادي نوحا، وجعل لإبراهيم نمرود بن كنعان، وجعل لموسى فرعون، وجعل لعيسى اليهود وططيانوس[2] وقومه، وجعل لمحمد أبا جهل بن هشام. وكذلك لكل صدّيق، العلماء ورثة الأنبياء[3] لابد لكل صدّيق من فرعون ولكن مآل كل فرعون مآل من قبله من الفراعنة ومآل أولياء الله مآل من قبلهم من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد "سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا" ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ التوراة بلغنا أنّها نزلت جملة واحدة، والإنجيل كذلك، والزبور كذلك، وهذا القرآن يأتي شيئا فشيئا، لم لا ينزل مرة واحدة ﴿كَذَلِكَ﴾ قال الله كذلك أنزلناه متفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ أتينا به شيئا بعد شيء بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه. بقي القرآن ينزل مدة ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة في مكة وعشرا بالمدينة، ومات الرسول

---

1 - أخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب.. الحديث) صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب التواضع (6502). وقد تقدم في الدروس 8، 14، 20، 34.

2 - ططيانوس كما قال الصاوي في حاشيته على الجلالين هو الرجل الذي دخل على عيسى عليه السلام ليقتله. ج329/1.

3 - (العلماء ورثة الأنبياء) طرف من حديث أبي الدرداء، أخرجه الترمذي في سننه: كتاب العلم / باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2606). وفي سنن أبي داود: كتاب العلم / باب الحث على طلب العلم (3157). كما أورده البخاري في ترجمته لباب: العلم قبل القول والعمل من كتاب: العلم. وقد تقدم في الدروس: 10، 12، 13، 19، 23، 24، 32.

صلى الله عليه وسلم وترك من الصحابة مائة ألف وعشرين ألفا[1] يحفظ القرآن منهم تسعة أنفار فقط[2] لأن الصحابة كانوا يقدمون فهم القرآن والعمل به، من قرأ منهم سورة لابد يحفظها ويعلم ما فيها من العلوم ويعمل بِها قبل أن يطلب سورة أخرى، بعضهم يحفظ سورة واحدة مدة حياته، وبعضهم سورتين، وكان العلم القرآن فقط، علماء الصحابة الذين تسمعون بهم هم الذين يعلمون القرآن، من كان يحفظ البقرة أو آل عمران مثلا فهو من أكابر علمائهم ومن جمع القرآن كله من باب أولى، ولكن هم كلما حفظوا شيئا من القرآن ينتظرون حتى يفهموه ويقوموا بكل أوامره ويتركوا كل نواهيه، هذا عمل الصحابة، فلهذا قل من جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا زمن كثير قراء القرآن فيه وكثير فقهاؤه، وسيأتي زمان يكثر فيه القراء ويقل الفقهاء، والذين يقومون بالعمل أقل من ذلك[3]. ولكن القرآن الكتاب المبارك حبل

---

1 – في كتاب وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام لابن قنفذ القسنطيني أن عددهم مائة ألف وأربعة عشر ألفا وسماهم الخواص. ص72.

2 – جاء في نور الأبصار نقلا عن الترمذي في حياة الحيوان: وأما من جمع القرآن حفظا على عهده صلى الله عليه وسلم فأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد الأنصاري وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وتميم الداري وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري. نور الأبصار ص55.

3 – في موطإ الإمام مالك عن يحيى بن سعيد أن عبد الله بن مسعود قال لإنسان: إنك في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطي يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه يحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطي يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم. الموطأ: كتاب النداء للصلاة/ باب جامع الصلاة (379). وفي مسند أحمد عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنكم في زمان علماؤه كثير وخطباؤه قليل من ترك فيه عشير ما

الله إلى خلقه وما دام القرآن موجودا فالخير موجود، وإذا رفع القرآن فلا خير في الحياة بعده ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الدافع له. من فوائد ترتيل القرآن نزوله شيئا فشيئا كلما أتوا بحجة لإبطال أمر النبي صلى الله عليه وسلم يأتي القرآن بحجة يدمغها ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وكلما سألوه عن شيء يأتي القرآن ويبينه أحسن بيان ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ يساقون ﴿إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ أخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ معينا له. أرسل الله موسى فطلب وزيرا من أهله فبعث الله هارون وزيرا له فلا يزال خلفاء الله يحتاجون إلى وزراء. النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله أعطاني أربعة وزراء اثنين في السماء واثنين في الأرض، اثنين في الأرض أبو بكر وعمر واثنين في السماء جبريل وميكائيل[1]، وإذا أراد الله بخليفة خيرا قيض له وزيرا صالحا، إن ذكر أعانه، وإن نسي ذكّره، وإن عمل خيرا ساعده عليه، وإن كان غير ذلك قيض الله له وزير سوء إذا نسي لم يذكره وإذا أراد خيرا لم يساعده عليه[2].

يعلم هوى أو قال هلك وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه من تمسك فيه بعشير ما يعلم نجا. مسند الأنصار/ حديث أبي ذر الغفاري (20408).

1 – عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر). سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما (3613). انفرد به الترمذي وقد تقدم في الدرس 21.

2 – أخرج النسائي عن القاسم بن محمد قال: سمعت عمتي عائشة رضي الله عنها تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي منكم عملا فأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه. سنن النسائي: كتاب البيعة/ باب وزير الإمام (4133). وفي صحيح البخاري: عن أبي سعيد

ولا تزال الوزارة في الدين حتى يأتي المهدي ووزراؤه[1] ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ القبط، فرعون وقومه، فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكناهم جميعا إهلاكا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحا لأن نوحا طول لبثه يقوم مقام جماعة من الرسل، فمن كذبه كذب بجماعة من الرسل، أو أن من كذب بواحد من الرسل فقد كذّب بالباقين لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعده ﴿ءايَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما سوى ما يحل بهم في الدنيا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَثَمُوداً﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ اسم بئر ونبيهم قيل شعيب[2] وقيل غيره، كانوا قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم، وقيل صفوان بن خالد[3] النبي الذي قال الرسول نبي ضيعه قومه رموه في الرس فهو باق فيه وشج لما ألقي في البئر، وريئ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضع يده على شجته والدم يسيل منها، فأهلكهم الله تبارك وتعالى بسبب ما

الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله. صحيح البخاري: كتاب القدر/ باب المعصوم من عصم الله (6611).

1 – نقله الشيخ محمد الصبان عن الفتوحات المكية لمحيي الدين بن العربي. إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته المطهرين على هامش نور الأبصار.ص145. وورد في روح البيان قول البروسوي: وهذه الوزارة ممتدة إلى زمن المهدي ووزراؤه سبعة هم أصحاب الكهف.. ج381/5. ولابن حجر في فتح الباري قال: وفي تفسير ابن مردويه عن ابن عباس: أصحاب الكهف أعوان المهدي. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم.

2 – ذكره القرطبي ج13/ 32

3 – الذي في الخازن أنه حنظلة بن صفوان ومثله عند الصاوي وكذلك في روح البيان نقلا عن ابن كثير

فعلوا بنبيهم، وهو مات ولكن بقي كذلك[1] ــ الأنبياء إذا ماتوا يبقون على حالتهم أجسامهم لا تأكلها الأرض. الذين بقوا على قيد الحياة ممن قيل إنّهم أنبياء ولو مختلفا فيهم أربعة: عيسى عليه الصلاة والسلام وإدريس والخضر وإلياس[2]، على أن الخضر الراجح أنه ليس من الأنبياء إنما هو من الأولياء[3]، قال الشيخ إنه من الأوتاد - وهو أدرى لأنه هو الذي يمدهم - أما إلياس فقد اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. خرج واحد من الصحابة فطلع على جبل فرأى شخصا طول قامته ثلاثمائة ذراع ولباسه أبيض شديد البياض ولحيته طويلة فسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم فصار يتحدث معه حتى نزلت مائدة من السماء فيها طعام فأكل النبي صلى الله عليه وسلم معه ورفعت المائدة فسار النبي صلى الله عليه وسلم ورجع الصحابة

---

[1] - جاء في روح البيان ما نصه: يقال وجد حنظلة في بئر بعد دهر طويل يده على شجته فرفعت يده فسال دمه فتركت يده فعادت على الشجة. روح البيان ج6/ 212

[2] - قال ابن حجر في فتح الباري : وروي عن مكحول عن كعب الأحبار قال: أربعة من الأنبياء أحياء أمان لأهل الأرض: إثنان في الأرض الخضر وإلياس، واثنان في السماء إدريس وعيسى. فتح الباري شرح ترجمة باب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام من كتاب أحاديث الأنبياء. ونقله البروسوي في روح البيان عن البغوي في تفسيره. روح البيان ج268/5.

[3] - قال النووي في شرحه على صحيح مسلم من كتاب الفضائل/ ترجمة باب: من فضائل الخضر عليه السلام: جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر. قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح هو حي عند جماهير العلماء والصالحين. والعامة معهم في ذلك. قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين قال الحبري المفسر وأبو عمرو: هو نبي. واختلفوا في كونه مرسلا. وقال القشيري وكثيرون: هو ولي.... النووي: شرح صحيح مسلم.

إلى المحل ما رأوا أثرا، قال النبي صلى الله عليه وسلم إن ذلك أخي إلياس[1]، قيل له: هذا الطعام الذي أتاكم من طعام الجنة أو من طعام الدنيا؟ قال: ليس من طعام الجنة وليس من طعام الدنيا إنما خادم قيضه الله لإلياس كل وقت يأتيه بذلك الطعام من وقته إلى يومنا هذا و لم يزل كذلك، ومات النبي صلى الله عليه وسلم و لم يخبر بموته، وكذلك الخضر وسمعوا تعزيته عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم[2] ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ بين عاد وأصحاب الرس ﴿وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ في إقامة الحجة ﴿وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أهلكنا إهلاكا بتكذيبهم أنبياءهم ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ مروا

---

1 - أخرج الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فنزلنا منزلا، فإذا رجل في الوادي يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفورة المثاب لها، قال: فأشرفت على الوادي فإذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع فقال لي: من أنت؟ قال: قلت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أين هو؟ قلت: هو ذا يسمع كلامك، قال: فأته واقرئه مني السلام وقل له: أخوك إلياس يقرئك السلام، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء حتى لقيه فعانقه وسلم عليه ثم قعدا يتحدثان فقال له: يارسول الله إني إنما آكل في كل سنة يوما وهذا يوم فطري فآكل أنا وأنت، فنزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس فأكلا وأطعماني وصلينا العصر، ثم ودعه ثم رأيته مر على السحاب نحو السماء. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. المستدرك: من كتاب: آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في دلائل النبوة/ باب لقاء إلياس مع النبي عليهما الصلاة (4281).

2 - أخرج الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل أصهب اللحية جسيم صبيح فتخطا رقاهم فبكى ثم التفت إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فإلى الله فأنيبوا وإليه فارغبوا ونظرة إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يجبر وانصرف، فقال بعضهم لبعض تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر وعلي: نعم هذا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضر عليه السلام. المستدرك: كتاب المغازي والسرايا/ باب تعزية الخضر عند وفاته (4441).

﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾ بلى، في سفرهم إلى الشام يمرون بأراضي قوم لوط ﴿بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُشُورًا وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ الكفار ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُؤًا﴾ مهزوءا به يقولون ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾ هذا محمد الذي يقول إنه رسول من عند الله تبارك وتعالى؟ محتقرين له عن الرسالة لأنه بشر ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ إنه يكاد أن يضلنا يصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عيانا في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ أخطأ طريقا أهم أم المؤمنون ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ إذا رأى حجرا حسنا يتخذه إلها وإذا رأى شجرة يحبها يتخذها إلها ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ حافظا تحفظه عن اتباع الهوى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ لا ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ أخطأ طريقا منهم، لأنّها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم. الأنعام أعقل من الكفار، لأن الأنعام إذا دعوتها لشيء من العلف تتبعك، وإذا رفعت لها عصا تفر عنك، ومن تعهدها بالإنعام تنقاد له، بعكس الكفار، الله المنعم فروا عنه، والأنبياء الذين دعوهم إلى الرحمة فروا عنهم، ومن دعاهم إلى النار اتبعوه، هذا أشد حماقة من الأنعام. الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وجعله برزخا بين خلائقه، خلق الملائكة لا يصلحون إلا للعبادة ومعرفة الله تبارك وتعالى وذكره في جميع الأوقات. وخلق الحيوانات الأنعام وجعلها لا تهتم إلا بشهوتي بطنها وفرجها، الحيوانات ليس لها شغل إلا الأكل والشرب والشهوة، وخلق السباع ليس لها شهوة في غير الافتراس - القتل - وخلق الشياطين جعلهم أهل مكر وخديعة، وخلق الإنسان وجمع فيه هذا كلا، الإنسان فيه شهوة إن اتبعها يصير من سائر الأنعام، إذا اشتغل

الإنسان بشهوتي بطنه وفرجه فقط خرج من الإنسانية وبقي من جملة الأنعام والأنعام خير منه، وإن تتبع الغضب والافتراس والفتك القتل والفتن خرج من الإنسانية وصار من جملة السباع والسباع خير من هذا الإنسان، وإذا تتبع المكر والخديعة والخيانة خرج من الإنسانية وصار من جملة الشياطين، والشيطان خير من هذا الإنسان، وإذا اتبع عبادة الله وذكره ومعرفته خرج من الإنسانية ولحق بالملائكة، وهذا خير من الملائكة، فلهذا تجد القرآن يقول "أولئك هم شر البريئة"، "وأولئك هم خير البريئة" الإنسان شر البرية والإنسان خير البرية، يصلح لكل شيء، فعلى هذا لا يكون الخليفة عن الله إلا من جنس البشر. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أما تنظر إلى أفعال خالقك كيف مد الظل، قال المفسر: من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس، وكان من حقه أن يقول : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس[1]، إذا طلع الفجر تبقى الدنيا كلا ظلا حتى تطلع الشمس، وهذا الوقت هو الذي يشبه الجنة[2]، فلهذا الدعاء فيه مرجو الإجابة، ولهذا اتخذه أهل الله أوقات ذكرهم لله تبارك وتعالى، هذا وقت مد الظل ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ مقيما لا يزول بطلوع الشمس، هذه الشمس التي تنسخ الظل بمشيئة الله لو شاء الله لبقي الظل مع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ جعلنا الشمس دليلا على الظل، فلولا الشمس ما عرف الظل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ خفيا بطلوع الشمس، من آيات الله تبارك وتعالى الليل والنهار والضوء والظلمة والظل والحر ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساترا كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ

---

1 – قاله ابن كثير نقلا عن ابن عباس وابن عمر وأبي العالية وأبي مالك ومسروق ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي والضحاك والحسن وقتادة. ج3/ 321.

2 – قال أبو العالية: نهار الجنة هكذا. القرطبي ج13/ 37.

سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُورًا﴾ منشورا فيه لابتغاء الرزق وغيره، الله تبارك وتعالى خلق لنا الليل كاللباس في الستر، وجعل لنا النوم في الليل راحة للأبدان، وجعل النهار محل اشتغال لطلب الرزق، ومن علامة محبة الله تبارك وتعالى محبة الليل للعبادة وكراهية النهار للاجتماع بالخلق يشغلك عن الله تبارك وتعالى، أهل الله بدلوا العادة، الله جعل النهار وقت الأشغال والليل وقت الراحة، وأهل الله جعلوا الليل وقت الاشتغال بالله تبارك وتعالى، فصيروا الراحة تعبا في خدمة معبودهم، جعلوا الليل خلوة مع حبيبهم يناجونه، فلا يحبون النهار لاجتماعهم بالخلق فيشغلهم عن معبودهم. اختلف تلميذان واحد قال النوم أفضل للإنسان لأن النائم لا يعصي الله، قال الآخر: لا، اليقظة أفضل لأن اليقظان يخدم مولاه تبارك وتعالى، فترافعا إلى شيخهما مربيهما فقصا عليه قصتهما، فقال: أما أنت الذي قلت إن اليقظة أفضل من النوم فحياتك خير من موتك، وسكت عن الآخر، فهم ما قال له[1]. كان بعض الأولياء مكث ثلاثين سنة لم ينم فنعس ذات يوم ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه، فصار لا يدخل محرابه إلا وعنده وسادة يريد النوم ليرى النبي صلى الله عليه وسلم[2]، هذا إذا كان في النوم فالنوم خير. ومن آداب النوم أن الإنسان يذكر الله آخر ما يذكر، وإذا انتبه يذكر الله أول ما يذكر. وردت أذكار للنوم إذا أوى الإنسان إلى فراشه، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين[1]، وإذا استيقظ ذكر الله تبارك وتعالى، قال

---

1 – روح البيان ج6/ 374.

2 – نقل البروسوي مثلها ج6/ 223.

1 – أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من

النبي صلى الله عليه وسلم: إذا نام الإنسان عقد الشيطان ثلاث عقد على قلبه، إذا استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، وإن توضأ انحلت عقدة، وإن صلى ركعتين انحلت عقدة فيصبح نشطا قابلا للخير، وإن انتبه و لم يذكر الله و لم يتوضأ و لم يصل بقي العقد في قلبه فيصبح كسلان غير نشط لأعمال الخير[1] «وجعل النهار نشورا» ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ متفرقة قدام المطر، الأرياح التي تسوق الأمطار إن الله أرسلها إلينا، وعادة الله كلما ذكر الرياح في القرآن بالجمع فهي للرحمة، وبالإفراد فهي للعذاب؛ الرياح لواقح، والمرسلات، والذاريات، ونشرا، كل هذه الرياح رياح الأمطار، لأن الريح إذا كانت للرحمة تَهب خفيفة متفرقة الأجزاء فلهذا جمعت، وإذا كانت للعقاب تكون مجتمعة قوة واحدة، فرياح العذاب: العقيم، وصرصر، والقاصف، والعاصف، اثنان في البحر واثنان في البر[1] "الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم" ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ

جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به. صحيح البخاري: كتاب الطب/ باب النفث في الرقية (5748).

1 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان. صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل (1142)، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (1295).

1 – ذكر ابن منظور في لسان العرب (مادة قصف): وروي عن عبيد بن عمرو: الرياح ثمان: أربع عذاب وأربع رحمة، فأما الرحمة فالناشرات والذاريات والمرسلات والمبشرات، وأما العذاب فالعاصف والقاصف وهما في البحر والصرصر والعقيم وهما في البر. وقد تقدم في الدرس 29.

مَاءً طَهُورًا﴾ مطهرا ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يابسة ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ إبلا وبقرا وغنما ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ جمع إنسان ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ ليتذكروا يعلمون أن القادر على إحياء الأرض بعد موتِها قادر على إحياء البشر بعد موته ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ جحودا للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا، من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بالله وآمن بالكوكب، إذا نزل المطر يقول الله: أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بالله كافر بالكوكب، ومن قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بالله مؤمن بالكوكب[1] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ لو شاء الله لأرسل أنبياء كثيرين كل قرية لها نبي يخوف أهلها، ولكن لعزة الأنبياء قللهم الله تبارك وتعالى، فلو كثروا لابتذلوا، بدليل ما يحكى أن موسى عليه الصلاة والسلام ضجر يوما على قومه أكثروا عليه، أكثروا عليه حتى تعب، فتضجر منهم وتبرم، مل من سؤال الناس له، فبعث الله ألفا من الأنبياء في الليل، فأصبح كل قبيلة عندهم نبي فتفرقوا عن موسى إلى الأنبياء، فبقي وحيدا فقال يا رب لا أطيق هذا، أخذته الغيرة فأماتهم الله جميعا لعزة موسى وبقي موسى هو النبي[1]، فلهذا تجد أن أعز الأنبياء هو

---

1 - أخرج الشيخان عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب. صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب قول الله تعالى: "وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون" (1038). وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (104).

1 - انظره في روح البيان ج6/ 227.

محمد صلى الله عليه وسلم، موسى ليس له نبي في زمنه ولكن أتى الأنبياء بعده، محمد صلى الله عليه وسلم أرسله الله إلى الخلق عامة بخلاف الأنبياء قبله كلهم مبعوث إلى قومه فقط في زمن مخصوص في مكان مخصوص، أُرسل محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع العالمين وإلى الأبد، شريعته لا تنسخ إلى آخر الدهر عزة لمحمد صلى الله عليه وسلم، لو أتى نبي بعده لكان هذا نقصا في عزته، ولو نسخ شرعه ولو تعدد الأنبياء في زمانه ولكن كل هذا لم يكن، فهو أعز الأنبياء ﴿فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ سترا ممنوعا به اختلاطهما، لا يختلط أحد بالآخر وليس بينهما حجاب حسي، بل حجاب من قدرة الله تبارك وتعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ من المني إنسانا ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ قادرا على ما يشاء، خلق من الماء بشرا فجعله نسبا هو نسبه الذي ينتسب إليه، وصهرا الحي الذي تزوج منهم، القبيلة التي تزوج منهم فصار له قوتان قوة نسبه وقوة أصهاره، فلهذا أباح الله للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج النساء بلا عدد ليتقوى بكل قبيلة لأنه مكلف بإرشاد جميع الخلق، فيكتسب قوة من كل قبيلة، فهذا السر في تعدد أزواجه صلى الله عليه وسلم للدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وكان قد تزوج بنت أبي بكر وتزوج بنت عمر، وزوج عثمان بنتيه، وخطب أبو بكر فاطمة بنت الرسول فقال

الرسول صلى الله عليه وسلم إنه ينتظر الأمر فيها فخطبها لعمر فقال الرسول إنه ينتظر الأمر فيها، فذهبا إلى علي قالا له نمشي بك تخطب فاطمة بنت الرسول[1]، قال علي فنبهاني لأمر كنت عنه غافلا فأتيا به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال الرسول نعم ولكنك يا علي لا تملك شيئا تتزوج به. قال: سيفي، قال: السيف ليس لك للجهاد، قال: فرسي. قال: الفرس ليس لك للجهاد. قال: بدني يعني الدرع، قال: الدرع إن شئت تبيعه. فأتى لفاطمة قال: يخطبك علي، فسكتت، قال: يخطبك علي، فبكت. ثم قالت: كنت تدخرني لمسكين بني هاشم؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: هكذا أمرني الله تبارك وتعالى، قالت: رضيت بالله ورسوله، أمر الله مقبول فقبلَتْ[2]. فذهب علي فدفع درعه لأبي بكر وعمر يبيعانه في السوق فمرا بعثمان: قال لهما: ما تريدان؟ أخبراه الخبر، فاستخرج مائتي دينار من جيبه وقال بطل مثل علي بن أبي طالب لا يباع درعه اذهبوا بهذه الدنانير واعقدوا له. فتزوج فاطمة، وليلة زفافها أمر النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته فهيأن لها لباسا وجعلن لها حناء ودعون من تضفر لها رأسها على عادة النساء فأتوها بلباس جديد، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلي: لا تصنع شيئا حتى

---

1 – عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه. سنن النسائي: كتاب النكاح/ باب تزوج المرأة مثلها في السن (3169).

2 – جاء في روح البيان ج231/6: ولما خطبها علي قال عليه السلام: (إن عليا يخطبك) فسكتت وفي رواية قال لها: (أي بنيه إن ابن عمك قد خطبك فماذا تقولين؟) فبكت ثم قالت: كأنك يا أبت إنما ادخرتني لفقير قريش، فقال عليه السلام: (والذي بعثني بالحق ما تكلمت في هذا حتى أذن الله فيه) فقالت فاطمة: رضيت بما رضي الله ورسوله.

آتيك، فدخل عليهما ليلا فقرأ فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات وتفل في الماء وصب على فاطمة على رأسها وبين ثدييها، وقال لعلي آتوني بماء، قال: ففهمت ما أراد، فقام علي وأتى بالماء ففعل له كما فعل بالبنت وقال بارك الله لكما في ليلتكما[1] وانصرف، وكان فراشهما جلد شاة، وكانت تطبخ وتطحن لنفسها وتأتي بالماء من البئر بنفسها[2] وكان ربما يأخذها العري حتى إذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن تقول له: ادخل وحدك لأنّها متجردة لا يمكن أن يراها غير أبيها، هكذا الدنيا عند آل محمد صلى الله عليه وسلم. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ﴾ هو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مخوفا من النار ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَا أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ لا أسألكم أجرا، من أراد أن يتخذ طريقا بإنفاق ماله فلا أمنعه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى

---

1 - جاء في إسعاف الراغبين على هامش نور اليقين ص93: روى الطبراني من حديث أسماء قالت: لما أهديت فاطمة إلى علي بن أبي طالب لم تجد في بيته إلا رسلا مبسوطا ووسادة حشوها ليف وجرة وكورا فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول له: لا تقربن أهلك حتى آتيكما فجاء فدعا بإناء فسمى فيه وقال ما شاء الله أن يقول ثم مسح صدر علي ووجهه ثم دعا فاطمة فقامت تعثر في مرطها من الحياء فنضح عليها من ذلك.

2 - أخرج الشيخان عن ابن أبي ليلى حدثنا علي أن فاطمة عليهما السلام أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة قال فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال على مكانكما فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال ألا أدلكما على خير مما سألتما إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين فهو خير لكما من خادم. صحيح البخاري: كتاب النفقات / باب عمل المرأة في بيت زوجها (5361) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ التسبيح أول النهار وعند النوم (4906).

الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ قل سبحان الله والحمد لله ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ هذه الباقيات الصالحات سبحان الله تنزيه الله عن كل نقص والحمد لله كل كمال ثابت لله تبارك وتعالى، فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما من جملة الباقيات الصالحات، وغراس الجنة التي بقيتها لا إله إلا الله والله أكبر[1]، وحكمة تأخير لا إله إلا الله عن هاتين الجملتين ليكون النطق بها عن معرفة ويقين، فهي نتيجة ما قبلها، والله أكبر نتيجة الثلاث قبلها لأنه إذا تنزه عن النقائص واتصف بالكمالات وثبت أنه لا إله إلا الله فقد انفرد بالكبرياء والعظمة يقول الرسول: كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم[2] ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، بقدرها، لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت، خلق الخلق في ستة أيام تعليما للتأني فلهذا ورد (التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان إلا في ستة أشياء: إقراء الضيف التعجل فيه من الرحمن، وقضاء الدين،

---

1 - أخرج الترمذي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (3384). وقد تقدم في الدرس 31.

2 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة (7563). وفي صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ فضل التهليل والتسبيح والدعاء (4860). وقد تقدم في الدرس31.

وسرعة تزويج البنت إذا بلغت، والتوبة من الذنب، وقضاء الفائت، وتجهيز الميت)[1] كل عجلة من الشيطان إلا هذه ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ يخبرك بصفاته ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ عن الإيمان، قال تعالى ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء إلى آخرها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ يخلف بعضهم بعضا ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَّذَّكَّرَ﴾ أن يتذكر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ شكرا لنعمة ربه ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ وصفهم بصفات إلى قوله "أولئك يجزون الغرفة" ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُواْ سَلاَمًا﴾ قولا يسلمون فيه من الإثم ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَامًا﴾ أي يصلون بالليل ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي لازما ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يُقْتِرُواْ﴾ يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ عقوبة ﴿يُضَاعَفْ لَهُ

---

1 – عن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأناة من الله والعجلة من الشيطان. سنن الترمذي: كتاب البر والصلة / باب ما جاء في التأني والعجلة (1935). وفي الجامع الصغير عن أنس: التأني من الله والعجلة من الشيطان. للبيهقي في الشعب (3390) وقد تقدم في الدرس23. وقال الصاوي في حاشيته على الجلالين ج3/ 163 (مكتبة المنار): واستثنى العلماء من ذلك مسائل: إقراء الضيف وتزويج البكر وتجهيز الميت والصلاة في أول وقتها وقضاء الدين وتعجيل الأوبة للمسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب.

الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ أراد وحشي أن يدخل في الإسلام وقال للرسول: يمنعني من الإسلام آية في كتاب الله «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر» وأنا عبدت الجبت والطاغوت «ولا يقتلون النفس التي حرم الله» وأنا الذي قتلت حمزة «ولا يزنون» وقال إنه فعل هذا كثيرا، فنزلت ﴿إلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَاتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ إن من تاب تاب الله عليه وآمن وعمل عملا صالحا إن الله يبدل سيئات عبده إذا تاب يبدلها حسنات، قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن العبد الصالح يؤتى به يوم القيامة، فيقول الله تبارك وتعالى: اذكروا له صغائره فقط، فيقال له صغائره فعلتَ كذا فعلت كذا؟ يقول: نعم، فعلتَ كذا فعلتَ كذا؟ يقول: نعم إلى آخر الصغائر. يقول الله بدلوا له كل سيئة بحسنة، فيقول: يا رب لي سيئات أخرى ما ذكرها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه[1] فيقول الله تبارك وتعالى إذا بدلوا له سيئاته حسنات، هذا هو الكرم. فلما نزلت هذه الآية قال وحشي إن الآية فيها شرط «إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا» لم يقدر على هذا فنزل "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" قال لمن يشاء ولم أدر هل يشاؤني أم لا، فنزلت "قل يا عبادي

---

1 – أخرج مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه. صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (277).

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا" فأسلم[1] ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ مرجعا ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ الكذب ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ﴾ الكلام القبيح ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾ معرضين ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعظوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّواْ﴾ يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي بأن نراهم مطيعين لله ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الخير، طلب الرياسة في الدين لا باس به وطلب الرياسة في الدنيا مذموم ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العليا ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلاَمًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ موضع إقامة ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ﴾ يكترث ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾

---

1 – جاء في مجمع الزوائد: عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد، كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله: «إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما» فقال وحشي: يا محمد، هذا شرط شديد، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا، فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله عز وجل: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» فقال وحشي: يا محمد، أرى بعد مشيئة، فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم» قال وحشي: هذا نعم فأسلم، فقال الناس: يا رسول الله، إنا أصبنا ما أصاب وحشي، قال: (هي للمسلمين عامة). رواه الطبراني، وفيه: أبين بن سفيان، وهو ضعيف. مجمع الزوائد للهيثمي: كتاب التوبة/ باب في قوله تعالى "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" (42671) وذكره الخازن في تفسيره ج1/ 367. تقدم في الدروس11 و12 و25.

لولا أن الله يدعوكم إلى عبادته ليس له حاجة في خلقكم "ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ ملازما لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا، فقُتل منهم يوم بدر سبعون وجواب لولا دل عليه ما قبلها.

ذكر في آخر هذه السورة صفات عباد الله، والخلق كلهم عباد الله، ولكن يعني عباده المرضيين عنده «الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» أي لسلامة صدورهم لا يتعرضون لأحد «يمشون على الأرض هونا» قال إذا نازعك إنسان وقال لك كلمة قبيحة فلا تجبه، فإن الكلمة الأولى أنثى وجوابُها لقاحها فربما تولّد نسل كثير مذموم في ساعة واحدة، وإذا لم تجب بترت نسلها، فلهذا الصمت أسلم، «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق» إلا من تاب، التوبة تجب ما قبلها، والتوبة مقبولة قطعا، والله تبارك وتعالى يبدل سيئات العبد إذا تاب حسنات، من يقدر أن يبدل السيئات حسنات يقدر أن يضاعف الحسنات إلى ما لا غاية له «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» الإنفاق في سبيل الله يجب العدل فيه، الوسط، "ولا تبذر تبذيرا" "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك"، قالوا الإسراف في الإنفاق أن تعطي كل ما عندك أو جل ما عندك، بل الإسراف أن تنفق في غير الله فقط، أما من أنفق لوجه الله ولو كان جميع ماله فهذا محمود، فقد أنفق أبو بكر جميع ماله[1]، ولو كان إسرافا لنهاه

1 – أخرج الترمذي وأبو داود عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت والله لا أسبقه إلى

النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لما كان في ذات الله فهذا ليس بإسراف، ومن أنفق شيئا قليلا في غير الله فهذا إسراف وهذا واضح، إنسان يسلف أحدا ليس عنده شيء، أحدنا لو أراد أن يقرض أحدا ليس عنده شيء ما نقول له؟ لا تفعل لا يقضيك ليس عنده شيء، وغير الله إن كان موجودا فليس عنده شيء، من أعطى لغير الله فقد أسرف، ومن أعطى لله ولو أعطى كل ما عنده فقد سلم من الإسراف، والإنفاق لا يعجز أحدا والأعمال بالنيات، أوله أن تصنع بيتا تسكن فيه، أن تصنع لباسا تلبسه، لقمة تتناولها أنت بنفسك، هذا إنفاق في سبيل الله بالنية كل ما تنفق فهو في سبيل الله حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك[1].

اللهم صل على سيدنا محمد. صدق الله العظيم.

شيء أبدا. سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب مناقب أبي بكر وعمر كليهما (3608) وفي سنن أبي داود: كتاب الزكاة/ باب في الرخصة في ذلك (1429).

1 - روى الشيخان عن سعد رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض بمكة فقلت: لي مال أوصي بمالي كله؟ قال: لا، قلت: فالشطر، قال: لا، قلت: فالثلث، قال: الثلث والثلث كثير أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم، ومهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها في في امرأتك، ولعل الله يرفعك ينتفع بك ناس ويضر بك آخرون. صحيح البخاري: كتاب النفقات/ باب فضل النفقة على الأهل (5354). وفي صحيح مسلم: كتاب الوصية/ باب الوصية بالثلث (3076).

الدرس السابع والثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

سورة الشعراء

مكية إلا "والشعراء إلى آخرها فمدني، وهي مائتان وسبع وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طَسٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. الحروف المقطعة في أوائل السور من أسرار الله التي أصدق ما يقال في تفسيرها الله أعلم بمراده بذلك. أولوا تأويلات وتكلموا بإشارات، بيد أن كل ذلك الأحسن فيه أن يقال: الله أعلم بمراده. قالوا: طاء طور سيناء، سين الإسكندرية، ميم مكة[1]، ومنهم من قال: طاء طوبى شجرة طوبى، سين سدرة المنتهى، ميم محمد المصطفى[2]، ومنهم من قال: طاء طيران همم العارفين إلى الحضرة، سين سير المريدين، ميم مشي العابدين والزهاد[3]. حروف مقطعة مجموعها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك: سر حصين قطع كلامه. من الحروف السين كما هنا، الراء، حاء، صاد، ياء، نون، قاف، طاء، عين،

---

1 – نقله القرطبي عن عبد الله بن محمد بن عقيل ج13/ 89.
2 – نقله القرطبي عن جعفر بن محمد بن علي ج89/13.
3 – روح البيان ج259/6.

ومجموع الحروف التي في هذه السور بضعة وسبعون حرفا عدد شعب الإيمان. ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ الدليل على أن الحروف لا يعلم معناها حقيقة إلا الله تبارك وتعالى «تلك آيات الكتاب» هي آيات القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحق من الباطل ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها غما ﴿أَلاَّ يَكُونُواْ﴾ أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ الرسول صلى الله عليه وسلم من شدة رحمته بأمته وشفقته بهم كان حريصا على إيمانهم حتى أنّهم إن انصرفوا عن مجلسه بدون إيمان يصيبه غم عظيم، حتى عاتبه الحق أنه لا يقتل نفسه حرصا على إيمانهم، يلزم طريقة الاعتدال ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الإيمان بيد الله تبارك وتعالى يهدي من يشاء والضلال كذلك، لو شاء الله إيمانَهم جميعا لأنزل آية فخضعوا لها وأقروا وآمنوا ولكنه لم يشأ، هذا معنى "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا" ولكنه لم يشأ، شاء أن يؤمن بعض وهم أحباؤه، وأن يكفر بعض وهم أعداؤه، شاء أن يكون بعض الناس أتباع الأنبياء والصالحين، وبعض آخر أتباع إبليس والشياطين ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ قرآن ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ نزوله ﴿إِلاَّ كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ إلا كانوا معرضين عنه، كلما حدث نزول آية أعرضوا عنه ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾ به، كذبوا بالقرآن تماما ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاؤُاْ﴾ عواقب ﴿مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ولكن الله تبارك وتعالى سيريهم عاقبة ذلك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا﴾ كثيرا ما أنبتنا في الأرض ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ من كل نوع من أنواع النباتات كريم. إن الله تبارك وتعالى خلق الأرض وأحدث فيها نباتات، والنباتات أزواج فيها كريم وفيها غير كريم، وأكرم نبات الأرض آدم وحواء، لكرمهم ولدوا الأنبياء والأولياء والصالحين، نبات طيب، فمن كان مؤمنا بالله مطيعا له فهو نبات كريم، ومن كان كافرا بالله عاصيا له

فنبات لئيم، والنبات الكريم كثير ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في علم الله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿الرَّحِيمُ﴾ يرحم المؤمنين. كرر هذه الآية في كل قصة من القصص الآتية. ذكر تبارك وتعالى أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين، وسواء قوم النبي صلى الله عليه وسلم أو غيرهم. آيات الله باهرة لولا قدرة الله ومشيئته أن يؤمن بعض ويكفر بعض لآمن جميع الناس لأن الآيات ظاهرة، ولكنه أضل من شاء مع ذلك وهم أكثر، أكثر الناس غير مؤمنين، لأن أكثر الناس لا يعقلون، أكثر الناس لا يعلمون. تكرر في القرآن هذا، ليس عندهم علم، ليس عندهم عقل، فلهذا ليس عندهم إيمان «وإن ربك لهو العزيز الرحيم» هو الغالب غير المغلوب، المنتقم من أعدائه لأوليائه في الدنيا والآخرة، في الدنيا بإهلاكه أعداء أوليائه وفي الآخرة بالنار، والرحيم بأوليائه بنصرتهم في الدنيا وإكرامهم في الآخرة بالجنة ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ تكرر في القرآن قصة موسى وفرعون لأن فرعون على كفره وجبروته كان حاذقا لبيبا فأحب الله قصته، بخلاف نمرود كان أحمق بليدا لا يعلم شيئا، قلّت قصته في القرآن على جلالة قدر إبراهيم «إذ نادى ربك موسى» ليلة رأى النار والشجرة، رجوعه من مدين، هو ولد بمصر ومكث عند فرعون ثلاثين سنة، وهاجر منهم لما أرادوا به سوءا، ولحق بمدين وجلس عند شعيب عشر سنين وزوجه بنته صفورا، وبلغ أربعين سنة رجوعه من مدين سائرا إلى مصر، فأخطأوا الطريق وضلوا في الفلاة وأصاب المرأة الطلق، والليلة كانت ليلة برد في غاية البرد والثلج، فصلد موسى - فضرب زنده - ولم يخرج منه نار لشدة

البرد[1]. فخرج موسى يطلب نارا، حاجته النار فعرضت له الحضرة في صفة النار لأن تلك حاجته، فقال لأهله إنه رأى نارا وإنه يذهب يأتي بقبس، يأتي بنار، يأتي بشهاب قبس، عبارات؛ فلما أتى الشجرة نودي وأُرسِل نبيا ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلاَ يَتَّقُونَ﴾ موسى ترك زوجته في الفلاة وولدت ولدا في تلك الليلة، أرسله الله ولم يلتفت إلى أهله، ذهب إلى فرعون ونسي أهله، وكابد أمر فرعون أربعين سنة أو ثلاثين سنة على الأقل حتى أهلك الله فرعون[2]، ثم تذكر أنه ترك زوجته في الفلاة، وقد ظفر الرعاة بالزوجة وعلموا أنّها بنت نبيهم فحملوها إلى أبيها فبقيت هنالك حتى أهلك الله فرعون فأرسل إليها موسى وأخذها إلى مصر أو إلى الشام، هكذا الأدب مع الله تبارك وتعالى، الإنسان إذا أتاه أمر الله يترك جميع ما سواه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ ليس هذا بتردد في حق موسى ولا استبطاء في إنفاذ أمره، ولكن عنده شكوى أراد أن يعرضها على الحق ليجد أمانا حتى يقوم برسالته «يضيق صدري» ﴿وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ كان موسى أخذ جمرة وضعها له فرعون فلم تحرق الجمرة كفه، لأنه لو حرقت كفه لألقاها فلا تظهر المعجزة، أخذها باردة وجعلها في فمه فأحرقت لسانه فصار ألكن، عاش ثلاثين سنة وهو ألكن، فرعون يعرف هذا ورجع إليه فصيحا لتظهر المعجزة فطلب أن يرسل الله تبارك وتعالى معه هارون لأنه أفصح منه لسانا كما قال في السورة

---

1 – قال الصاوي: وقدح زنده فلم يخرج نارا الحاشية ج50/3. وفي اللسان (صلد): وصلد الزند يصلد صلدا، فهو صالد وصلاد وصلود ومصلاد، وأصلد: صوت ولم يور.

2 – قاله الصاوي في حاشيته ج172/3.

الأخرى[1]، وأيضا يخاف أن فرعون حينما يرى موسى يقتله لأن موسى قتل منهم قتيلا قبل هجرته ﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى ﴿كَلَّا﴾ لا يقتلونك، دخل أمنا وأمانا هذا هو مطلب موسى، وجد الأمن من عند ربه أنه لا يُقتل ﴿فَاذْهَبَا﴾ أنت وأخوك ﴿بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ ما تقولون، أرسلهم الله تبارك وتعالى وأرسل معهم المعية "إنني معكما أسمع وأرى"، المقربون يرون معية الله تبارك وتعالى، والعارفون يرون حضور الله تبارك وتعالى حتى تحول الحضرة بينهم وبين المعية فلا يشاهدون المعية، بل يشاهدون الحق تبارك وتعالى ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا﴾ كلا منا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جاء موسى إلى مصر وهارون في مصر في ذلك الوقت، فدخل عليه وعلمه برسالة ربه له، فسار هارون مع موسى إلى فرعون فقالا له: كلانا رسول الله ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى الشام كان فرعون استرقّ بني إسرائيل وهم ستمائة ألف مدة أربعمائة[2] سنة يعملون له كل ما أراد، طلب موسى وهارون أن يخلي سبيلهم، يترك استرقاقهم ويتركهم يهاجرون مع موسى إلى أرض الشام. جاءا إلى باب فرعون في الليل فدقا عليه الباب، وهذا لا يقدر عليه أحد، ففزع الحجبة خدام فرعون وقالوا من أنتما؟ قال موسى: إنا رسول رب العالمين، فدخلوا على فرعون وقالوا له: هنا رجل يقول إنه رسول رب العالمين، قال: أدخلوه علي حتى نضحك منه[3]. أذن لهما في تلك الليلة، بعض

---

1 - أي سورة القصص وهو قوله "قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردا يصدقني إني أخاف أن يكذبون"

2 - قال القرطبي في جامعه: وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا. ج94/13.

3 - القرطبي ج94/13، الصاوي ج169/3.

المفسرين يقولون إنه أخرهم إلى الصباح، وبعضهم يقول وقفوا هنالك سنة، والصحيح أنه أدخلهم في تلك الليلة[1]، فلما دخلوا عليه عرف موسى فشتمه وقال له الكلام الآتي: ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ في منازلنا صغيرا قريبا من الولادة ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة تلبس من ملابس فرعون وتركب من مراكبه وكان يسمى ابن فرعون. أتى بشأن أهل اللؤم، أولا امتن على موسى بما كان يجري عليه في صغره، وهذا عادة الأطراف السفلة يمنون على الناس بكل ما فعلوا لهم، أولا بدأ فرعون بهذا، منّ عليه بأنه رباه صغيرا وأنه لبث عنده ينفق عليه ويكسوه مدة ثلاثين سنة ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ هي قتل القبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد، ما جعلتك عبدا كسائر أبناء بني إسرائيل، بل جعلتك ابنا ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أما قتل القبطي فقد صدر مني وأنا غير عالم بما أصير إليه من النبوة والرسالة، أو «وأنا من الضالين» من الناسين، أو «وأنا من الضالين» لم أدر أن وكزتي تقتله ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علما ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أجاب عن المسألة الأخيرة لأنّها أهم ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ "ألم نربك فينا وليدا" التي بدأ بها. جحد موسى أن كان عليه منة لفرعون، سأله: أتلك نعمة تمنها علي ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ جعلت بني إسرائيل قبيلتي عبيدا لك، ولولا كونك عبّدتهم لنشأت في بيت أمي ولا أحتاج لتربيتك، إنما الذي جر موسى إلى أن تربى عند فرعون هو استرقاق فرعون

---

1 – القول بأنه أخرهم إلى الصباح للبروسوي في روح البيان ج267/6، والقول بأنهما مكثا سنة لم يؤذن لهما في القرطبي ج94/13، والقول بدخولهما عليه في تلك الليلة نقله أيضا البروسوي في روح البيان عن السدي ج267/6.

لبني إسرائيل وقتله لأبنائهم حتى احتاجت أم موسى أن تقذفه في البحر فيلقيه البحر فيلتقطه فرعون ويتكفل بتربيته، هذا كله ذنب فرعون، لو ترك بني إسرائيل وحالهم لولد موسى في بيت أمه وتربى في بيت أمه ولا يكون لفرعون منة عليه، إذًا لا منة لفرعون على موسى «وتلك نعمة تمنها علي أن عبّدت بني إسرائيل» اتخاذك بني إسرائيل عبيدا هي النعمة التي تمنها علي؟ انصرف فرعون عن هذه القضية ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله، أي شيء هو؟ قال المفسر[1]: ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها، «وما رب العالمين» - ما - سؤال عن الماهية، وفرعون حاذق لبيب مع ذلك، سأل عن حقيقة الله تبارك وتعالى، ما أجابه موسى بمقتضى مراده ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ خالق السماوات وخالق الأرض وما بينهما ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال، أنا سألته: ما رب العالمين يجيبني بالصفات؟ الجواب لا يطابق السؤال ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وإن كان داخلا فيما قبله يغيظ فرعون بذلك ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ قال لهم: هذا الرسول مجنون، أنا أسأله ما رب العالمين يقول لي «ربكم ورب آبائكم الأولين» حقا أن موسى ما أتى بالجواب، لولا كتم السر لقال له هو كذا وكذا ولكنه أخفى السر فأجاب بجواب لا يطابق السؤال. كشف أسرار الربوبية بين المحجوبين

1 – جلال الدين المحلي، انظر حاشية الصاوي على الجلالين ج175/3

أشد عند الله من الحرام[1]، لولا ذلك لقال جوابا أقرب من هذا ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لم يزل يجيب بالصفات وهو يسأل عن الماهية ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ هدد فرعون موسى، ولكن التهديد فيه ضعف وخور لأنه اطلع على حقيقة الأمر يعلم أن موسى صادق، لم يهدد بالقتل ولا بالعذاب بل هدده بالسجن، وقيل كان سجنه شديدا، كانت له بئر إذا أراد حبس إنسان يجعل حديدا في يمناه ويسراه ورجله اليمنى ورجله اليسرى ويلقيه في تلك البئر لا يأكل ولا يشرب حتى يموت، هذا كأنه الموت، هدد موسى بأنه سيسجنه ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بين على رسالتي ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ طلب فرعون أن يأتي موسى بهذا البرهان ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ألقى موسى العصا التي كانت بيده فانقلبت ثعبانا عظيما، ابتلع ما حوله من الجبال وأقبل على فرعون والناس مجتمعون فازدحموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا[2] فدخل فرعون بيته الخاص فهمّ الثعبان أن يبتلع القصر فقال فرعون بحق تربيتي لك يا موسى أمسك هذا الثعبان عني فلم يلتفت إليه موسى، فقال بحق من أرسلك خذ هذا الثعبان، فأخذه موسى فعاد عصا في يده ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة. آية أخرى مدّ موسى يده وقال: ترون هذه اليد السمراء؟ قالوا: نعم، فأدخلها في الجيب وأخرجها فصارت كأنّها شمس طالعة من شدة الضوء

---

[1] – جاء في إحياء علوم الدين للغزالي ما نصه: قال بعض العارفين إفشاء أسرار الربوبية كفر. ج131/1. وقد تقدم في الدرس13،و21.

[2] – نقله القرطبي عن وهب بن منبه، الجامع لأحكام القرآن ج258/7.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ الآن علمت خبر موسى هو مدة غيبته عنا تعلم السحر فرجع عالما كبيرا في السحر ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ موسى هذا تعلم السحر ليخرجكم من ملككم ويكون الملك له، لابد أن تروا رأيكم فيه. والله تبارك وتعالى يرسل الأنبياء ويعطيهم معجزات توافق أزمانهم، بعث إبراهيم إلى قومه يعبدون النار فأوقدوا له نارا "قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم" ظهرت لهم تلك المعجزة في النار لأنّهم يعتبرون النار لأنّها معبودهم هذا أظهر عندهم. وبعث موسى إلى فرعون وأهل مصر قوم يشتغلون بالسحر كثيرا والعظمة عندهم بالسحر، فلما كان أمر السحر عظيما عندهم أعطى الله موسى معجزات تلائم سحرهم وتقهرهم بذلك. وأرسل عيسى في زمن الطاعون والوباء والأمراض فكان البرص والعمى كثيرا، فأعطاه الله أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم لا يعتبرون إلا الفصاحة والبلاغة فأعطاه الله هذا القرآن الذي ما ريئ قبله ولا بعده شيء يشاكله في الفصاحة والبلاغة. «يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون» ﴿قَالُواْ أَرْجِهِ﴾ أخره ﴿وَأَخَاهُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ عينوا يوما كما تقدم في سورة طه "موعدكم يوم الزينة" وهو يوم السبت في أول السنة أول يوم يفيض فيه النيل[1] نيل مصر الذي هو خريفهم، يجتمع الناس كلا في ذلك اليوم ضحى

---

1 – جاء في روح البيان نقلا عن ابن عباس قوله: وافق يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم نيروز (علا ماء النيل) ج272/6.

ليشهده الجميع ليكون أظهر للمعجزة ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ قالوا إن الناس جميعا يجتمعون يعرفون هل تغلب السحرة موسى أم يغلبهم موسى إذا كانت الغلبة للسحرة بقوا على دينهم فلا يتبعون موسى ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ﴾ سألوا فرعون هل لهم أجر قال لهم نعم ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ حينئذ ﴿لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ إذا غلبتم موسى بالسحر أعطيكم أجرا كبيرا وأقربكم بحيث تكونون أول من يدخل علي وآخر من يخرج من عندي ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى﴾ بعدما قالوا له "إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين" ﴿أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ قال موسى «ألقوا ما أنتم ملقون» فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلا به إلى إظهار الحق، ما يتوسل به إلى إظهار الحق جائز، لولا ذلك لكان الأمر بالإلقاء ممنوعا لأنه سحر ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ أتوا بستمائة نفر عندهم اثنان وسبعون بعيرا موقرة بالحبال والعصي، فألقوا هذا فكلها صارت حيات، فامتلأ الوادي بالحيات وأقسموا بعزة فرعون أنّهم سيغلبون موسى ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا عظيما ارتفع عن الأرض قدر ثمانين ذراعا[1]، وابتلع كل ما اجتمع في الوادي من الحيات الناشئة من السحر ابتلعها كلا وتوجه نحو فرعون وهو على عرشه فسقط وفر على قدميه حتى دخل قصره وأصابه جريان بطن لم يفارقه حتى مات كلما جلس إذا هو يخرج منه دائما من شدة فزعه من الثعبان ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ السحرة آمنوا بالله وسجدوا لله ﴿قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال فرعون: هذا أنا، قالوا

---

1 – القرطبي عن ابن عباس والسدي: كانت إذا فتحت فاها صار شدقها ثمانين ذراعا. ج258/7.

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ قدموا موسى مع أن هارون أسن من موسى لأن موسى لم يدخل في عبودية فرعون قط، أما هارون فقد كان استرقّه فرعون فيما مضى، لما قالوا «رب موسى» علم أنه ليس فرعون. السحرة بلغوا من علم السحر مبلغ الكمال، فعلى هذا ينبغي لكل إنسان إذا تعلم علما أن يتعلمه حتى يبلغ الكمال فيه، حتى السحرة لما بلغوا الكمال في السحر، ورأوا شيئا فوق ما عندهم علموا أن هذا ليس من جنس السحر لأنّهم بلغوا الكمال في السحر، لو كان هذا سحرا ما غلبهم موسى أبدا ولكن لما غلبهم موسى علموا أن تلك معجزة إلهية ليست من قبيل السحر فآمنوا في الحين «آمنا برب العالمين رب موسى وهارون» ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿أَامَنتُمْ لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ ما طلبتم مني الإذن في الإيمان بموسى بل تقدمتم فقط للإيمان بموسى بدون إذني ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ أنا فهمت أمركم موسى هذا هو شيخكم الذي علمكم السحر فكتم عنكم شيئا غلبكم به ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني. والسحرة مر بهم موسى قبل اليوم الموعود وسألهم: إذا غلبتكم ستؤمنون بالله؟ قالوا: نعم، نحن لا يغلبنا ساحر أبدا، عندما تغلبنا نعلم أن هذا الأمر إلهي ووجدهم فرعون على هذا الحديث[1]، فلهذا قال "إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة" قال فهمت أمركم الآن فعلتم مكرا لتأخذوا مني ملك مصر فقط - ما أعز عنده ملك مصر - «فلسوف تعلمون» ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سأصلبنكم على الجذوع وأقتلكم بعد ذلك.

---

1 - محاورة موسى والسحرة بمسمع من فرعون ذكرها ابن كثير في تفسيره نقلا عن السدي وذلك عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، تفسير ابن كثير ج239/2.

هددهم كعادة الجبابرة مع أهل الله ﴿قَالُواْ لاَ ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك، افعل ما شئت نحن لا يضرنا شيء ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ نحن إذا متنا نرجع إلى الله تبارك وتعالى، لا نبالي بما فعلت، (...)[1] ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَّغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا﴾ بأن كنا ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين، قيل ثلاثين سنة أو أربعين سنة، أقام موسى بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزدادوا إلا عتوا ﴿أَنِ اِسْرِ بِعِبَادِيَ﴾ أوحى الله إليه أن يسري ببني إسرائيل، قيل له: سِرْ بهم ليلا إلى البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ مدائن مصر كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية هي قرى فيوم بناها يوسف عليه الصلاة والسلام في زمانه وأجرى إليها النيل حتى صار إذا انقطع النيل يستسقون من أنهار فيوم ﴿حَاشِرِينَ﴾ جامعين الجيش فجمع جيشا كبيرا يريد أن يتبع أثر موسى، ولما أمر الله نبيه موسى بالإسراء ببني إسرائيل أتاه جبريل وقال له: سأشغلهم لأن كل بيت من بيوت القبط سيأتيه ملك الموت يقتل فيهم بنتا، اجعلوا علامات لبيوتكم حتى يعرف الملك بيوت القبط وبيوت بني إسرائيل[2] فجعلوا علامات "فاجعلوا بيوتكم قبلة" دار فيها مسجد يعلمون أنّها لبني إسرائيل ودار ليس فيها مسجد يعلمون أنّها للقبط، فنزل الملائكة وقتلوا البنات من القبط فلما أصبحوا اشتغلوا بالدفن لم ينظروا في حال موسى وبني إسرائيل إلى أن ارتفع النهار فتأمل بعض منهم قالوا الجماعة ليس فيهم أحد من بني إسرائيل، فنظروا فإذا ليس هناك إسرائيلي، ففهم فرعون فأرسل إلى المدائن وجمع

---

1 – جواب للشيخ رضي الله عنه قال فيه: ما قدر أن يفعل شيئا لا يخافون شيئا لأنّهم فتح عليهم فوصلوا إلى الحقيقة في الحين فصار كل ما هددهم به فرعون هباء منثورا عندهم.

2 – حاشية الصاوي على الجلالين ج172/3.

جيشا كبيرا وركب هو على أثر موسى قائلا ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قال: بنو إسرائيل قليلون، وقد كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا، ولكن لكثرة جيشه استقل هذا العدد. لأن ركاب الخيل الدهم فقط على لون فرس فرعون ألف ألف، ركب ألف قين كل قين معه ألف يركبون الخيل، هذا زيادة على من يركب الإناث من الخيل والمشاة وراءهم[1] ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ أغاظونا سيعلم موسى أنه أغاظني ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ ونحن جماعة متيقظون، مستعدون ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه، أخرجناهم ﴿مِن جَنَّاتٍ﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية في الدور من النيل هي عيون فيومْ ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة سميت كنوزا لأنه لم يعط حق الله منها، الكنز ما لم يعط حق الله منه، وشيء يعطى منه حق الله ليس بكنز ولو بلغ ما بلغ من الكثرة[2] ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء كان حوله ثلاثمائة كرسي من الذهب والفضة يجلس عليه الوزراء والأمراء ﴿كَذَلِكَ﴾ أخرجنا فرعون عما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ﴾ لحقوهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ مؤمن آل فرعون كان قريبا من موسى وقال له: أمامك بحر لا نتجاوزه إلا بالسفن، أين الطريق؟

---

1 – روح البيان ج6/277

2 – عن أم سلمة قالت: كنت ألبس أوضاحا من ذهب فقلت: يا رسول الله أكنز هو؟ فقال: ما بلغ أن تؤدى زكاته فزكي فليس بكنز. سنن أبي داود: الزكاة / باب الكنز ما هو وزكاة الحلي(1337). وجاء في صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب ما أدي زكاته فليس بكنز لقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أواق صدقة.

فأتى كالب بن يوثنا ويوشع بن نون كالب في مقدمة الجيش جيش موسى وقال: أين الطريق يا نبي الله؟ قال الطريق إلى البحر فحمل فرسه على البحر، قال موسى انتظر الأمر من الله تبارك وتعالى ولكن ما دخل حافر فرسه البحر، ما غرق، قالوا إنا لمدركون، قال الذي وراء الجيش وهو يوشع: أدركنا فرعون بجنود لا طاقة لنا بها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿كَلاَّ﴾ لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ معي ربي "إنني معكما" الذي سمع من الحق أولا انتفع بِهذه المعية فقال: لا يدركوننا أبدا «إن معي ربي سيهدين» نظر إلى معية الله تبارك وتعالى فأيقن بالنجاة، لهذا تعلم الفرق بين المقامين، مقام موسى ومقام محمد صلى الله عليه وسلم، محمد قال لصاحبه "لا تحزن إن الله معنا" وموسى قال «إن معي ربي سيهدين»، محمد قدم الله قبل المعية لأن الله أقرب عنده من المعية وموسى قدم المعية "معي ربي" هذا توصل للحق بالصفة وهذا توصل للصفة بالحق. ودعا الله تبارك وتعالى كما قال عبد الله بن سلام: يا أول قبل كل شيء ويا باق بعد كل شيء اكفني كل شيء[1] ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانفَلَقَ﴾ فانشق اثنا عشر فرقا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ أوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر فضرب البحر فانفلق البحر انشق اثني عشر فجا وانكشف الماء وارتفع فوق كأنه جبل، بنو إسرائيل اثنا عشر سبطا فوجدوا اثني عشر طريقا في البحر يبسا فصار كل فرق على طريقهم، ولكن لما توسطوا البحر هؤلاء في طريق والبحر بينهم وبين أصحابِهم شكوا قالوا: نجونا ولكن أصحابنا غرقوا فضرب موسى بعصاه فجعلت

---

1 – نقله ابن كثير من طريق محمد بن حمزة بن يوسف عن عبد الله بن سلام بلفظ: يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجا، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر. تفسير ابن كثير ج337/3.

كُوى طاقات في الماء ينظر بعضهم إلى بعض حتى تيقنوا أنّهم جميعا نجوا، فلما توسط قوم موسى البحر وصل قوم فرعون إلى حافة البحر، فسألوا فرعون أين الطريق؟ قال: الطريق في البحر فقط كما فعل قوم موسى ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ قربنا ﴿ثَمَّ﴾ هنالك ﴿الْآخَرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ لما دخل قوم فرعون جميعا حتى لم يبق منهم أحد إلا فرعون وقف هو في ساحل البحر ينتظر ماذا يحدث إن غرقوا رجع هو وإن سلموا تجاوز معهم، فلما دخل قوم فرعون جميعهم وخرج قوم موسى بأجمعهم طبق الله عليهم البحر ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ هم نجوا ونظروا إلى قوم فرعون وقد غرقوا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿لَآيَةً﴾ لهم ولمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسى[1] التي دلت على عظام يوسف[2] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فغرقوا فهمّ فرعون بالرجوع إلى مصر وقد ركب جوادا من أشد الخيل تعلقا بالإناث فوقف جبريل وسط البحر على هيئة رمكة فطار فرس فرعون إلى تلك الرمكة فإذا هو جبريل فأخذ فرعون وأغرقه في البحر ورفع له فتوى كان أفتى بها فرعون. فرعون دخل عليه إبليس يوما قال له إبليس ما أشد طغيانك وجبروتك أنا بلغت ما بلغت ولكن لم أدع الربوبية أنت تدعي أنك إله قال فرعون إذاً أتوب وأسلم وأتبع موسى، قال إياك أن تفعل لا تكن مربوبا بعد ما كنت ربا، فدخل جبريل عليه الصلاة والسلام على صورة مستفت: يا أبا العباس ما حكم عبد نشأ في نعمة سيده

---

1 – ذكر اسمها القرطبي في تفسيره ج108/13

2 – تقدم ذكرها في الدرس 27 في حديث (...عجز هذا أن يكون كعجوز بني إسرائيل...) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير/ تفسير سورة الشعراء رقم (3571)

حتى طغى وصار يدعي الحرية والسيادة ينازع سيده؟ أخذ فرعون قرطاسا وكتب: حكم هذا العبد أن يغرق في البحر وكتب أبو العباس الوليد بن مصعب، فرفع جبريل فتواه وقال هذا الحكم الذي حكمت به أنت[1]، أغرقه في البحر فنطق بالكلمة "لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين" أوحى الله إلى جبريل إن هذه الكلمة إذا تكررت من فرعون سيأخذ منزلتك وتأخذ منزلته، فأغرقه جبريل جعله أسفل سافلين، هو آمنَ ولكن في الوقت الذي لا ينفع فيه الإيمان.

إبليس لما أقسم أنه لا زال يغوي بني آدم قال الله تبارك وتعالى إنه يقبل منهم التوبة ما لم يغرغروا[2]. كلما تاب العبد تاب الله عليه، إلا إذا وصل إلى اليقين شاهد حال الآخرة هنالك لا ينفع إيمان، الإيمان لا ينفع إلا بالغيب، وفرعون آمن ولكن بعد مشاهدة العيان. «ثم أغرقنا الآخرين» غرقوا جميعا في البحر «إن في ذلك» إغراق فرعون «لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم» وفرعون ملك مصر ما يزيد على أربعمائة سنة[3] ما مرض قط، ولا يتغوط إلا في كل أربعين يوما،

---

[1] – ذكر القرطبي في تفسيره أن جبريل جاء إلى فرعون وهو وحده في هيئة مستفت وقال: ما يقول الأمير في رجل له عبد قد نشأ في نعمته لا سند له غيره فكفر نعمه وجحد حقه وادعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون: يقول أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريان جزاؤه أن يغرّق في البحر فأخذه جبريل ومر، فلما أدركه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه. القرطبي ج378/8. تقدم في الدرس 24.

[2] – أخرج الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. سنن الترمذي: كتاب الدعوات / باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله (3460). سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب ذكر التوبة (4243).

[3] – ذكره الطبري في تفسيره ج272/1.

وكل يوم يأكل بعيرا هو وحده، فلهذا طغى وادعى الربوبية[1]. هو شر من إبليس، إبليس لم يدّع الربوبية، ولما هلك شك بنو إسرائيل في هلاكه قالوا: ما غرق فرعون فسيعود إلينا يعذبنا أيضا، قال الله تبارك وتعالى "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية" قذف البحر جميع من غرق فيه فرأوا فرعون ميتا فتيقنوا هلاكه[2]. والقرآن تفسيره يتجدد مع الأزمان، عثر على جسد فرعون هذا وهو الآن موجود في مصر أنا رأيته بعيني "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية" موجود هذا المعنى اليوم (...)[3]

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ كفار مكة ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ خبر إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إبراهيم جهته واحدة يدعو إلى التوحيد فقط، قطب التوحيد، خاطب قومه «ما تعبدون قالوا نعبد أصناما» صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ نقيم نهارا على عبادتها، ما أشد حماقتهم، افتخارا بها، يفتخرون بهذا، ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ إن لم تعبدوهم ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ لا يضرون ولا ينفعون ولكن وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناها كما عبدها آباؤنا ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا

---

1 – انظر قصص الأنبياء المسمى بالعرائس، ص191 دار الفكر

2 – نقله الطبري عن مجاهد وقيس بن عباد وقتادة وابن عباس. الطبري: ج164/11.

3 – هنا أجاب مولانا الشيخ على سؤال متعلق بجثة فرعون فقال: [نعم رأيت فرعون هم كانوا إذا مات فرعون جعلوا فيه شيئا من الزئبق، وهو شيء إذا جعل على الميت لا يتغير جسمه يبقى إلى الأبد هذا كثير في مصر، الفراعنة قبل فرعون هذا وبعده موجودون، ولكن أولئك حنطوا وجعل فيهم هذا، الغريب أن فرعون الذي غرق في البحر ووجد في البحر بعد زمان ولم يجعل فيه شيء يحفظ جسمه وهو جسمه محفوظ إلى الآن، محل المعجزة هنالك هو الآن عظام يابسة وجلد فوق العظام فقط كسمكة /كج/ كأنه "كجة" فقط..]

كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ﴾ لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ هو الذي أحب وهو الذي أعبد، صرح لهم إبراهيم أن كل ما سوى الله عدو لإبراهيم وأنه لا يحب إلا الله تبارك وتعالى، فلهذا وصل إلى المطلوب، العبد إذا ترك كل ما سوى الله، وعادى كل ما سوى الله وكل ما يشغله عن الله، وتوجه إلى الله تبارك وتعالى وصل إلى المراد. كان فضيل في مجلسه يعظ الناس ويقول: ويل لضعيف يعصي قويا، وكان ملك شاب حسن الوجه حسن اللباس عليه حلي معه رفقاؤه يستمعون إلى الموعظة، فرجع وتعلق هذا الكلام بقلبه، وفي الغد دخل على الواعظ وقال له: سمعتك أمس تقول: ويل لضعيف يعصي قويا، ما هذا؟ قال له: لا أضعف من الإنسان ولا أقوى من الله تبارك وتعالى، قال له: دلني على الطريق، قال: إن أردت طريق الجنة فعليك بالصلاة والصيام، وإن أردت القرب من الله فاترك كل شيء سوى الله تبارك وتعالى، وما رأيت لك إلا المساجد، فذهب الغلام وبعد يومين دخل عليه يلبس لباس الصوفية فذهب واشتغل بعبادة الله زمنا طويلا، ودخلت امرأته على الفضيل فقالت له: أين زوجي وقرة عيني؟ قال: لا أعرف له خبرا عهدي به ذلك اليوم، قالت له: إذا رأيته فاخبرني، بعد سنة أو سنتين عاد الشاب عليه خرقة فقط قال له: جازاك الله عنا خيرا، أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رق الدنيا، فأرسل الشيخ إلى الزوجة، فأتت بولد عليه كثير من الحلي، فبكت وقالت: أيمتني وأنت حي، أيتمت ولدك وأنت حي ما كان ينبغي هذا، قال لها: أنت عزيزة علي وأحب شيء إلي ولدي هذا، ولكني أقول كما قال إبراهيم «فإنّهم عدو لي إلا رب العالمين» وقال للشيخ: أهكذا الصحبة؟ أنت خنتنا حيث أخبرتها بخبري، وبعد قليل نظر وقال: ضيعتم ليلي ضيعتم ليلي شغلتموني عن عبادة الله، وفر عنهم. أخذ الحلي الذي على الولد

وقال تصدقوا بِهذا وقطع قطعة من خرقته وجعلها على الولد، فقالت المرأة: لا أرضى بولدي يرى عليه هذه الخرقة، وبعد مدة أرسل إلى الشيخ أنه يحضر جنازته فتوفي فأخبر أهله بوفاته[1]. الحاصل طريق الجنة الصلاة والصيام وطريق الله ترك كل ما سوى الله كما قال إبراهيم «فإنّهم عدو لي إلا رب العالمين» ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى الدين ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ يطعمه الطعام ويسقيه، قيل طعام خاص وسقاء خاص أو كل طعام وكل سقاء وهو الصحيح ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ لم يقل إذا أمرضني فهو يشفيني أدبا معه، أهل الله فاقوا الناس بالأدب مع الحضرة، أرأيتَ حوارَ عيسى عليه الصلاة والسلام "يا عيسى بن مريم آنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله" كان حق الجواب أن يقول لم أقله، ولكن هذا ليس بأدب قال: "سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق" إلى آخر الجواب أدبا مع الحضرة، إبراهيم لو قال الحق لقال إذا أمرضني فهو يشفيني ولكن أسند المرض إلى نفسه وليس هو صانع المرض وأسند الشفاء إلى الله لأنه خير ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَّغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَّرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ هذه مطالب إبراهيم، طلب من الله تبارك وتعالى أن يغفر له، وأن يهبه علما، وأن يلحقه بالصالحين الأنبياء أرباب الدرجات العلى عند الله، وأن يرزقه ثناء حسنا من المتأخرين، فكل أهل الأديان الذين أتوا بعد إبراهيم يمدحون إبراهيم، اليهود والنصارى والمسلمون والعرب، وطلب أن يعطيه الله الجنة ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِيَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ بأن تتوب عليه فتغفر له، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو

---

1 – أوردها البروسوي في روح البيان عن السري السقطي، ج6/264.

لله كما في سورة براءة ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ تفضحني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الناس. هذا الفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب، خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما فوجد أصحابه يتحدثون منهم من يقول: عجبا لإبراهيم اتخذه الله خليلا، ومنهم من يقول: عجبا لموسى كلمه الله تكليما، ومنهم من يقول: عجبا لعيسى بن مريم اتخذه الله روحه، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تقولون؟ سكتوا، قال: سمعت ما تقولون، إن الله اتخذ إبراهيم خليلا كما قلتم، واتخذ موسى كليما، وجعل عيسى روحه، والذي نفسي بيده إن موسى بن عمران الذي أنزل عليه التوراة وعيسى بن مريم الذي أنزل عليه الإنجيل لو عاشا اليوم ما وسعهما إلا اتباعي[1]، وإن الله اتخذ إبراهيم خليلا واتخذني حبيبا. مقام المحبة فوق مقام الخلة، الخليل من الخلة من يسد حاجتك وتسد حاجته، وفي حق الله تبارك وتعالى المفاعلة لا تمكن هو الذي يسد خلة إبراهيم فقط، فلهذا الخليل له كل ما طلب من الله تبارك وتعالى، والحبيب أعطي من غير طلب، إبراهيم قال «والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين» طمع في مغفرة الله، هذا طلب فأعطاه الله المغفرة، ولكن الحبيب ما طلب "إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك" أعطي

---

1 – ذكره ابن كثير دون إسناد قال: وفي بعض الأحاديث (لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي) ج379/1.

ولأحمد في مسنده روايتان عن جابر بن عبد الله ففي إحداهما (...والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) وفي الأخرى (...فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني) مسند أحمد: مسند المكثرين/ (14326)، وأيضا مسند أحمد/ مسند جابر بن عبد الله (14104) وللدارمي عن جابر (والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ولو كان حيا وأدرك نبوتي لاتبعني) سنن الدارمي: المقدمة/ باب ما يتقى من تفسير قول النبي وقول غيره عند قوله (436). وقد تقدم في الدرس 25.

من غير سؤال، إبراهيم قال "..واجنبني وبني أن نعبد الأصنام" أعطاه الله ذلك في بعض ذريته، الحبيب "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت" من غير طلب. الخليل «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» طلب من الله أن يمدحه المتأخرون يذكرونه يكون ذكره خالدا إلى يوم القيامة، محمد "ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك" بأن قرن اسمه مع اسمه في الشهادة عندما يريد الإنسان الدخول في الإسلام وعندما يؤذن وعندما يقيم وعندما يخطب، هذا الفرق بين الخليل والحبيب «وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ» "يوم لا يخزي الله النبيء" ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾ أحدا ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه ذلك "المال والبنون زينة الحياة الدنيا" لا ينفع شيئا في الآخرة إلا إذا أتى العبد ربه بقلب سليم من الشرك والنفاق إذا جاء مؤمنا، إذا كان مؤمنا ينفعه ماله وولده، أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن العبد يوتَى به يوم القيامة فيعطَى منازل وخيرات لم يعملها، يقول: يا رب هذا ليس لي ليس من عملي، يقول: هذا دعاء ولدك لك بعدك[1]، هذا في حق أهل الإيمان، أما الكفار الذين يتزينون بالأموال والأولاد و لم يشتغلوا بالإيمان والطاعات فإن المال والأولاد لا ينفعهم شيئا يوم القيامة، إذا سلم القلب سلمت جميع الجوارح والأعمال، وإذا فسد القلب – نعوذ بالله – فسد الجسد كله كما أخبر الرسول (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت

---

1 – أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك) مسند أحمد: مسند المكثرين/ (10202). وورد في سنن ابن ماجه عن أبي هريرة: من كتاب الأدب/ باب بر الوالدين (3650).

فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[1] وإبراهيم كان سليم القلب، سلامة قلبه هي التي جلبت له "قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم" أقبل رجل إلى المسجد فقال الرسول: (يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة) فدخل رجل من الأنصار، وقف إليه الصحابة وسألوه عن عمله لأن النبي قال إنه من أهل الجنة، فتفكر قال ما رأيت كبير عمل، لست بأكثركم صلاة ولا صياما ولا صدقة ولكني أصبح إذا أصبحت لا حقد ولا غل في قلبي لأحد حتى أمسي، ولا أجرح بلساني أحدا من خلق الله، وإذا أمسيت أمسي لا غل ولا حقد في قلبي لأحد من خلق الله، ولا أجرح بلساني أحدا من خلق الله حتى أصبح، قالوا: بذلك[2]، بذلك نال ما نال، والرسول كان

---

1 – أخرج الشيخان عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب. صحيح البخاري: كتاب الإيمان / باب فضل من استبرأ لدينه(52) صحيح مسلم: كتاب المساقاة/ باب أخذ الحلال وترك الشبهات (2996). وقد تقدم في الدرس 7.

2 – عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك قال: كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم، قال أنس وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله، قلت يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت

يقول: لا تبلغوا إلي شيئا عن أحد غير حسن، فإني أحب أن أخرج من بين ظهرانيكم سليم القلب[1]، فمن يسمع يخل، ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قربت فيرونها ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ الكافرين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الأصنام ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ فَكُبْكِبُواْ﴾ ألقوا ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس ﴿أَجْمَعُونَ قَالُواْ﴾ الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ في النار ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ مع معبوديهم ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ـــه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في العبادة ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ عن الهدى ﴿إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ﴾ الشياطين ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين ﴿وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ يهمه أمرنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق. مسند أحمد: مسند المكثرين/ باب مسند أنس بن مالك (12236).

وروى الشيخان عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب عبد الله بن سلام (3812). صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل عبد الله بن سلام (4535).

1 – عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) سنن أبي داود: كتاب الأدب/ باب في رفع الحديث من المجلس (4218). وأخرجه الترمذي طرفا من حديث ابن مسعود، سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب فضل أزواج النبي (3831).

﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم ﴿لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ يكررها إثر كل قصة، لأن كل قصة فيها ما يحمل على الإيمان وأكثرهم أعرضوا عن الإيمان في ذلك الزمن حتى وفي زمن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل، وتأنيث قوم باعتبار معناه ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على تبليغ ما أرسلت به ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به من توحيد الله وطاعته ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كرره للتأكيد ﴿قَالُواْ أَنُؤْمِنُ﴾ لا نصدق ﴿لَكَ﴾ لقولك ﴿وَاتَّبَعَكَ﴾ وأتباعك ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾ السفلة كالحاكة والأساكفة حقروا المسلمين حتى قالوا إنّهم لا يؤمنون ما دام أولئك هم أتباع نوح كأنّهم يشيرون إلى طردهم ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾ أي علم لي ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي﴾ فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لو تعلمون ذلك ما عبتموهم ﴿وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أنا لا أطردهم ﴿إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو الشتم ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ احكم بيني وبينهم ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال تعالى ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تقدم مثله ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان

مرتفع ﴿آيَةً﴾ بناء علما للمارة ﴿تَعْبَثُونَ﴾ تبنون بناء عاليا ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ بركا تحت الأرض للماء ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كأنكم ﴿تَخْلُدُونَ﴾ تريدون الخلود ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ من غير رأفة، وصفهم بثلاثة أوصاف: هم اشتغلوا بالبناء وبناء المصانع كأنّهم يريدون الخلود في الدنيا وهذا من صفات الله تبارك وتعالى، وإذا بطشوا بطشوا جبارين، وهذا من صفات الله تبارك وتعالى فاستحقوا الهلاك لما نازعوا الله في صفاته، (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني في شيء منهما ألقيته في النار ولا أبالي)[1] ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به ﴿وَاتَّقُواْ الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ويدخل في هذا كل بناء فوق الحاجة، مر الرسول صلى الله عليه وسلم بقبة جميلة مرتفعة في المدينة فسأل لمن هذه؟ قالوا: لفلان، واحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، فدخل الرجل على الرسول، فلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل إليه كما كان يفعل، وكلما دخل على النبي يتأمل أنه معرض عنه، فسأل أصحابه: هل أحدثت أمرا؟ أنا رأيت أن النبي صلى الله عليه وسلم أعرض عني منذ أيام، قالوا له: هو مر بقبة جميلة فسأل لمن؟ قيل لك، لعله من هذا، فذهب وهدمها وسواها وبعد أيام مر النبي صلى الله عليه وسلم: أين القبة؟ قيل له: هدمها الرجل لما رآك أعرضت عنه

---

1 - أخرج أبو داود عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار). سنن أبي داود: كتاب اللباس/ باب ما جاء في الكبر (3567). وورد بلفظ آخر عند مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الكبر (4752).

فرجع إليه كما كان معه صلى الله عليه وسلم، قال: من بنى شيئا فوق حاجته فإن ذلك سيشدد عليه العذاب يوم القيامة أما البناء للحاجة فلا يدخل في هذا[1] ﴿قَالُواْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ مستو عندنا ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أصلا لا نرعوي لوعظك ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ اختلاقهم وكذبهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح، أهلكهم بأضعف خلقه، عادٌ هم أقوى الأمم وأهلكهم الله بأضعف خلقه الريح، الله يقدر أن يجعل القوة في الضعف ويجعل الضعف في القوة، المؤمنون ضعفاء ويقويهم الله تبارك وتعالى قوة معنوية يغلبون بها أعداء الله دائما، وأعداء الله يظهرون بمظهر القوة ويهلكهم الله بأضعف شيء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا﴾ من الخير ﴿ءَامِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ لطيف لين ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ بطرين ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به ﴿وَلاَ تُطِيعُواْ أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلاَ

---

1 – عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فرأى قبة مشرفة فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه: هذه لفلان رجل من الأنصار، قال فسكت وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليه في الناس أعرض عنه صنع ذلك مرارا حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه فقال والله إني لأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: خرج فرأى قبتك، قال فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سواها بالأرض، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها قال: ما فعلت القبة؟ قالوا شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا يعني ما لا بد منه. سنن أبي داود: كتاب الأدب/ باب ما جاء في البناء (4559). سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب في البناء والخراب (4151).

يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة الله ﴿قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سُحِّروا كثيرا حتى غلب على عقلهم ﴿مَا أَنتَ﴾ أيضا ﴿إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ﴾ نصيب لها من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أتاهم بناقة كما طلبوا، قالوا لا نؤمن بك حتى تخرج لنا ناقة حلوبا من هذه الصخرة، فتمخضت الصخرة عيانا وولدت ناقة بفصيلها[1]، إذا أصبح الصبح تقف الناقة عند كل حي فيحلبون ما شاءوا، فيوما تختص بالمياه تشرب جميع الآبار ويوما تترك الناس يردون الآبار، هذا معنى «ولكم شرب يوم معلوم» لها شرب ولكم شرب، أي لها نصيب ولكم نصيب ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ كان النبي إذا غزا يجعل ثلاثة من أصحابه على بعير واحد يتناوبونه أحسن من هذه المناوبة ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقر بعضهم برضاهم ﴿فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ﴾ قتلوا الناقة واقتسموا لحمها ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ تأتون الرجال في أدبارهم ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ تركتم أقبال نسائكم واشتغلتم بأدبار الرجال ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ﴾ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدتنا ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ من المبغضين لعملكم ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ

---

[1] - القرطبي ج13/130.

أَجْمَعِينَ إِلاَّ عَجُوزًا﴾ امرأته واهلة ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ في الباقين في العذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ أهلكناهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة من جملة الإهلاك ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ مطرهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لَيْكَةَ﴾ هي غيضة شجر قرب مدين ﴿الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم ﴿أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُواْ الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الناقصين ﴿وَزِنُواْ بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل ﴿وَاتَّقُواْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ الخليقة ﴿الْأَوَّلِينَ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ﴾ إنه نظنك ﴿لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعة ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا. لما أراد الله إهلاكهم فتح كوة من جهنم فاشتد الحر ثلاثة أيام، فلما اشتد بهم الحر عرضت سحابة خرجت منها ريح باردة ففروا إلى تحت السحابة حتى اجتمعوا تحت السحابة كلا يطلبون البرودة فصاح جبريل فأوقدها نارا عليهم فهلكوا جميعا، هو عذاب يوم الظلة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَإِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا القرآن نزل من عند الله تبارك وتعالى التنزيل من أسماء القرآن ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ جبريل ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ بين ﴿وَإِنَّهُ﴾ القرآن ذكره ﴿لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ كتب الأولين كالتوراة

والإنجيل ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿ءَايَةً أَنْ يَّعْلَمَهُ عُلَمَؤُاْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عبد الله بن سلام وأصحابه لما آمنوا أقروا بأنّهم كانوا يعرفون ذكر القرآن في كتبهم ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم﴾ كفار مكة ﴿مَا كَانُواْ بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ والله تبارك وتعالى أرفق بهم حتى بعث إليهم نبيا منهم ولو أتاهم أعجمي رسولا عليهم لا يتبعونه ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل إدخالنا التكذيب بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما أنّه لو وعظهم أعجمي لا يؤمنون، لما وعظهم النبي العربي أيضا ما آمنوا ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ لأن الله ما أراد بهم خيرا ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ لنؤمن فيقال لهم: لا، قالوا متى هذا العذاب؟ قال تعالى ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أيستعجلون عذاب الله ﴿أَفَرَايْتَ﴾ أخبرني ﴿إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ يوم حلول العذاب ما مضى من التمتع كلا لم يُجد شيئا ولم يغن ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ﴾ رسل تنذر أهلها ﴿ذِكْرَى﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الله لا يظلم بهلاك قوم قبل إنذارهم ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ نزل ردا لقول المشركين قالوا الشيطان هو الذي يلقي هذا القرآن على محمد فقط قال: «وما تنزلت به» أي بالقرآن «الشياطين» ﴿وَمَا يَنبَغِي﴾ يصح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ حتى الشياطين لو أرادوا إنزال كتاب ما قدروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لِكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ بالشهب ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أنذرهم جهارا وهم بنو هاشم وبنو المطلب، استشار سيدنا عليا بن أبي طالب كرم الله وجهه قال له تصنع لهم

طعاما وشرابا وتدعوهم[1]، فدعاهم وصنع لهم طعاما فاجتمعوا في بيت النبي فأكلوا وشربوا، فلما فرغوا وقف خطيبا وقال لهم: ما تقولون لو قلت لكم إن خيلا ستخرج من هذا الوادي غدا وتغزوكم؟ قالوا: ما جربنا منك كذبة قط، قال: إني أحذركم من عذاب الله يوم القيامة، فأنذرهم فقال أبو لهب: تبا لك يا محمد ألهذا

---

1 – جاء في تفسير الطبري من رواية محمد بن إسحاق عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم "وأنذر عشيرتك الأقربين" دعاني رسول الله فقال لي يا علي: «إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين قال فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى ما أناداهم بهذا الأمر أر منهم ما أكره، فصمت حتى جاء جبريل فقال يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به» ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة قال «خذوا بسم الله» فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا مواضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق الناس فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ... ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي» وكذا وكذا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا، وقلت وإني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحمشهم ساقا: أنا يا نبي الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي، ثم قال: «إن هذا أخي» وكذا وكذا، «فاسمعوا له وأطيعوا»، قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. تفسير الطبري: من سورة الشعراء عند قوله تعالى "فلا تدع مع الله إلها آخر".

جمعتنا؟ فتفرق القوم[1] وفي الليل وقف على الصفا وصار يدعوهم يا بني هاشم يا بني المطلب إني أدعوكم إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى والنجاة من عذاب يوم القيامة، فقالوا هذا مجنون ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الموحدين ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ عشيرتك ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ فوض ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ فوض إليه جميع أمورك ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ الله الذي يراك ويرعاك عندما تقوم إلى الصلاة ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا ﴿فِي السَّاجِدِينَ﴾ تقلبك في المصلين ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قيل إنه هو صلاته مع الجماعة في المسجد، وقيل تقلبك في الساجدين تقلبك في أصلاب الساجدين. يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب له خمسمائة أب وخمسمائة أم ليس فيهم كافر[2]، إن الله قلبه في أصلاب المصلين من عهد آدم حتى خرج بين أبويه، فقيل كيف يلائم هذا مع ما ثبت أنه من ذرية إبراهيم وإبراهيم يقول في كتاب الله "وإذ قال إبراهيم لأبيه

---

1 – أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت "وأنذر عشيرتك الأقربين" صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت "تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب "وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك (4770) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب في قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين" (307).

2 – قال القاضي عياض نقلا عن ابن الكلبي: كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية. الشفا ج1/ص15.

آزر أتتخذ أصناما آلهة" آزر إن كان هو أبا إبراهيم وإبراهيم يحذره من عبادة الأصنام، كيف يصح هذا؟ أجابوا بأجوبة قال العلماء إن الحفظ لآباء النبي صلى الله عليه وسلم ما دام فيهم نور النبي صلى الله عليه وسلم، وأما إذا خرج نور النبي صلى الله عليه وسلم إلى أب آخر فذلك الأب ليس بينه وبين النبي شيء، الحفظ من ولادة الإنسان ما دام يحمل نور النبي صلى الله عليه وسلم، فعلى هذا آزر وقت عبادة الأصنام نور النبي صلى الله عليه وسلم انتقل منه إلى إبراهيم[1] وقيل إن آزر ليس أبا إبراهيم قال الشيخ التجاني[2] إن من يفهم العربية يعلم أن آزر ليس أبا إبراهيم بدليل أن الإنسان لا يقول لأبيه أبي فلان، يقول أبي فقط، وإذا كان أبا نسبة فقط يقول أبي فلان، تقول أبي فلان للعم، وأبوك تقول أبي فقط، إذاً لو كان آزر أبا إبراهيم لقال القرآن "وإذ قال إبراهيم لأبيه" ولا يقول آزر، فعلى هذا آزر عم إبراهيم صلى الله عليه وسلم وأبوه اسمه تارخ[3] فبرح الخلاف، إذاً النبي صلى الله عليه وسلم قلبه الله في أصلاب الساجدين «إنه هو السميع العليم» ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ كفار مكة ﴿عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ عليه ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر مثل مسيلمة الكذاب وغيره كالسطيح من الكهنة هؤلاء هم أهل الشياطين ليس محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿يُلْقُونَ﴾ الشياطين ﴿السَّمْعَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يضمون إلى المسموع كذبا كثيرا، وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء، كان إبليس يطلع إلى السماء السابعة فلهذا فعل لأيوب ما فعل له، وبعد أن رفع عيسى حجبوا عن أربع

---

1 – حاشية الصاوي على الجلالين ج184/3

2 – قاله في جواهر المعاني ج203/1

3 – حاشية الصاوي على الجلالين ج184/3

سماوات، وبعد أن ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجبوا عن السماوات جميعا، وبعد نزول الوحي منعوا من التطلع إلى الجو إذا تطلع أحد إلى الجو رماه الملك بشهاب ثاقب، فلهذا انقطعت علوم الكهنة لأنّهم كانوا يستمعون إلى الجن ويلقون إلى الكهنة، ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم وهم مذمومون، إنما الشياطين يأتون إلى الكهنة الكذابين ويأتون إلى الشعراء، الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ﴾ الشعراء ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ «يهيمون» يمضون «في كل واد» من أودية الكلام وفنونه مدحا وهجاء ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾ يقولون فعلنا وهم لم يفعلوا شيئا هذا ذم للشعر، والمذموم من الشعر هو هجاء من لا يستحق الهجاء ومدح من لا يستحق المدح، الشعر كالكلام حسنه حسن ومذمومه مذموم، إذا كان موعظة أو إرشادا أو تزهيدا في الدنيا أو مدحا للرسول صلى الله عليه وسلم فهذا ممدوح، أو مدحا للأولياء والصالحين إن كان حقا فهذا ممدوح، وإن كان غير ذلك فهو مذموم، إذا الشعر من سائر الكلام فقط، وقد ورد (إن من الشعر لحكمة) قاله الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، وهجاء من يستحق الهجاء أيضا داخل في الشعر الممدوح، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم نصب منبرا لحسان بن ثابت وقال له: اهجهم فإن هجاءك أوقع في نفوسهم من وقع النبل، فصار حسان يهجوهم ويقول له الرسول: قل

---

1 – عن الزهري قال أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن أن مروان بن الحكم أخبره أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أخبره أن أبي بن كعب أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن من الشعر حكمة. صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (6145)

وروح القدس معك[1] فيقول وجبريل يلهمه، كذلك كل من يتكلم بشعر المدح سواء مدح النبي صلى الله عليه وسلم أو الموعظة فإن الملك يمده بمعان عجيبة وتأتيه إلهامات إلهية وهذا ليس من قبيل الشعر المذموم، فلهذا استثنى ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ إلا الشعراء الذين آمنوا بالله وعملوا عملا صالحا وذكروا الله في شعرهم ولم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ﴿وَانتَصَرُواْ﴾ بهجوهم الكفار ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ كذلك إذا هجاهم الكفار وانتقموا منهم بالهجاء فذلك أيضا ليس من الشعر المذموم "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم" "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" والبادي أظلم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

---

1 – عن البراء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان: (اهجهم أو قال هاجهم وجبريل معك). صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب هجاء المشركين (6153). صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل حسان بن ثابت (4541). وفي لفظ أحمد: عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: اهج المشركين فإن روح القدس معك. مسند أحمد: أول مسند الكوفيين/ حديث البراء بن عازب (17898).

سورة النمل

وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية مكية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طَسَ ﴾ هذه سورة طس، الطاء طوله والسين سناؤه، الطاء طوبى، السين سدرة المنتهى[1]، ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ﴾ هذه الآيات آيات القرآن، كلما نطق بهذه الحروف في أول سورة، فكل ما يأتي في السورة من العلوم جزء من تفسير هذه الحروف وبقي كثير، فلهذا تجده يقول دائما إن السورة هذه هي هذه تلك آيات القرآن، آيات القرآن كلا هي هذه الحروف ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ مظهر للحق ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بالجنة ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون فيها لقبحها عندنا ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا محمد صلى الله عليك وسلم ﴿لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ﴾ يلقى عليك بشدة ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ من عند حكيم عليم هو الله تبارك وتعالى، بخلاف الأنبياء قبله، موسى تلقى التوراة بيده من يد الملك، ومحمد وإن كان تلقى القراءة من جبريل ظاهرا فقد تلقى القرآن من الحكيم العليم الذي هو الله تبارك وتعالى، فالقرآن نزل من عند الله بلا واسطة على قلب النبي صلى الله

---

1 – قال القرطبي في بداية سورة الشعراء: طسم وطس واحد. بعد أن نقل عن القرظي قوله في طسم: أقسم الله بطوله وسنائه وملكه، وعن جعفر بن محمد بن علي: الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد صلى الله عليه وسلم.

عليه وسلم، وجبريل يقرأ فيقرأ النبي صلى الله عليه وسلم بقراءته، واذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾ زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ﴾ أبصرت بعيدا ﴿نَارًا سَئَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق، كانوا قد ضلوا ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ خرج موسى حاجته النار فرأى نارا فقال إنه يذهب إلى النار يأتي بقبس أو بشهاب قبس ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ النار ﴿نُودِيَ أَن بُورِكَ﴾ بارك الله ﴿مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أنزل الله البركة على موسى ومن حول هذه الشجرة من الملائكة، بل ومن حول هذه الشجرة من البلاد فلهذا نزلت البركات في بلاد الشام ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من جملة ما نودي به وهو تنزيه الله من السوء ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ الشأن ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ كان بيده عصا فأمر بإلقائها، سئل عن العصا بقوله في المناجاة "وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بِها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى" لما أضافها إلى نفسه أمر بإلقائها فصارت ثعبانا، فلهذا تجد المريد كل ما يضيفه إلى نفسه فهو ثعبان يجب إلقاؤه، والفرق بين موسى وبين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم هو كما فصلنا بين الخليل والحبيب، موسى كلمه الله تبارك وتعالى في ذلك الوادي المقدس، ومناجاتُهم هاهي التي ذكرت في القرآن، قال الحق "وما تلك بيمينك يا موسى" قال موسى "هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بِها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى" ومناجاة الحبيب "فأوحى إلى عبده ما أوحى" كتمه عنا ما قص منه شيئا، انظر إلى حال حبيبين واحد ما جرى بينك وبينه مبذول للناس لم يكتم منه شيء، والآخر ما يجري بينك وبينه لا يعلمه أحد إلا الله أيهما أعز؟ ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فر موسى من الثعبان، «كأنها جان» حية

خفيفة «ولى مدبرا و لم يعقب» قال الله تعالى ﴿يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ وهذه هي الحكمة في إلقاء العصا بحضرة الله تبارك وتعالى لأنه سوف يخرج رسولا وسيلقي هذه العصا وستصير ثعبانا ولو ألقاها عند الناس وصارت ثعبانا وفر موسى لكان هذا قدحا في موسى، فلما ألقاها بين يدي الله في خلوته وصارت ثعبانا وخاف منه وفر، قال الله: يا موسى لا تخف، فأخذه فصار عصا، فلهذا لما ألقى عند الملإ وفر الناس كلا ما فر موسى لأنه يعلم أنه إذا أمسكه يصير عصا «إني لا يخاف لدي المرسلون» من حية وغيرها ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أتاه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي تاب ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طوق القميص ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ من غير برص لها شعاع يغشى البصر آية ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ مرسلا بها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ مضيئة واضحة ﴿قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ لم يقروا ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ تيقنوا أنّها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ لكن تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ التي علمتها من إهلاكهم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ إن الله تبارك وتعالى رزق داود علما كما رزق سليمان ولده علما بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالاَ﴾ شكرا لله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال هذا كل واحد منهما منفردا، قاله داود في زمانه، وقاله سليمان في زمانه والله تبارك وتعالى قال «وقالا الحمد لله الذي فضلنا» اختصارا «على كثير من عباده المؤمنين». داود علمه الله صنعة لبوس، وسليمان علمه منطق الطير كما سيأتي. خرج سليمان يوما وهو صغير فنطقت له نملة يا سليمان تعرف لم سمى الله أباك داود؟ قال: لا. قالت: لأنه داوى

قلبه من حب ما سوى الله فودَّ، صار محبوبا، وأنت تعلم لم سميت سليمان؟ أنت سُليم تصغير سليم آن لك أن تلحق بمقام أبيك[1]، من هناك صار يعلم منطق الطير والحيوانات ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يؤتاه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المؤتى ﴿لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ كان سليمان يعلم منطق الطير، ومنطق الطير فيه شيء جلي يعلمه كل أحد كما تسمع من الغراب الله حق[2]، كل إنسان يعلم أن الغراب يقول هذا صريحا، وبعض الحيوانات منطقها لا يفهمه إلا سليمان أو من علمه الله منطق الطير. مر بطائر فقال: تسمعون ما يقول؟ قالوا: لا. قال يقول: إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء[3]. وكذلك علّم الله تبارك وتعالى عباده المقربين منطق طير الصفات فيفهمون منطق طيور الصفات، ومنطق الطير ومنطق الأشياء إذا فهم العبد يجده حاله القائم به، كل شيء عمله هو قوله، لسان حالنا نحن الآن أننا جلوس في المسجد نسمع كلام الله «إن هذا لهو الفضل المبين» ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ كان لسليمان منزل صنعه له الجن مائة فرسخ في مائة فرسخ، خمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للحيوانات والوحوش، وخمسة وعشرون للطيور، وفي وسطه فرسخ في فرسخ فيه سكنى ثلاثمائة حرائر زوجاته وسبعمائة سراري إمائه اللاتي يتسرى بِهن[4]، كان

---

1 – القرطبي في تفسيره ج13/ 171.

2 – ذكر في روح البيان عن إنسان العيون: وهذا في طائر لم يفصح العبارة وإلا فقد سمع من بعض الطيور الإفصاح بالعبارة فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق. روح البيان ج6/128

3 – القرطبي ج13/165 عن فرقد السبخي.

4 – انظره في القرطبي ج13/ 167.

عنده ألف منكوحة ثلاثمائة حرائر والباقيات إماء، وفيه ألف كرسي من ذهب وفضة يجلس عليها الأنبياء والعلماء، والجيش يجلسون بعد ذلك والطيور يحلقون فوقهم يمنعونَهم من حر الشمس، والريح يطيرها إلى حيث شاء غدوها شهر ورواحها شهر ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْاْ عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ هو بالطائف أو بالشام ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان ﴿يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسرنكم ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ سمعها سليمان على رأس ثلاثة أميال[1] فأمر الجيش أن يقفوا فأوقفوا دوابّهم كلا، فسار سليمان وحده حتى أتى للنملة وقال: أنت تتهمينني بالظلم؟ قالت: لا، قال: لِم قلتِ «ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده»؟ قالت: أوَما سمعتَ قولي «وهم لا يشعرون»؟ وأنا لا أعني ما تعني، لا أعني الحطم الحسي أعني الحطم المعنوي أن ينظروا فيما عندك من الدنيا فيميلوا عن ذكر الله ويشتغلوا بحب ما عندك من الدنيا، هذا هو الذي أعني ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ أول الضحك إلى آخره ﴿مِن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ هذه النملة من الحيوانات التي تدخل الجنة[2]، قالت للنمل هذا ضيف كبير لابد من إكرامه، فطلبوا فوجدوا جرادة فألقوها في البحر، وقالوا لسليمان هذه هي ضيافتك، من فاته اللحم

---

[1] – القرطبي عن الزمخشري ج169/13

[2] – قال في نزهة المجالس ومنتخب النفائس: قال النسفي ويدخل معهم الجنة يعني كلب أهل الكهف وكذلك ناقة صالح وعجل إبراهيم وكبش إسماعيل وهو الذي قربه هابيل وبقرة بني إسرائيل وحوت يونس ونملة سليمان وهدهد بلقيس وناقة محمد صلى الله عليه وسلم وحمار عزير عليه السلام وزاد غيره وذئب يعقوب. ص75

يشرب من المرق، ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ تفقد سليمان الهدهد، كانوا إذا ساروا لا يتزودون بالماء فإذا نزلوا محلا يسأل الهدهدَ أين محل الماء المبارك؟ فيقول: هنا، فيضرب عفريت من الجن فقط فينبع الماء ويشربون، فلما أتى وقت الصلاة وأرادوا الماء طلب الهدهد و لم يجده، أو قيل إن الهدهد لما تغيب بقي محله فارغا فدخلت منه الشمس[1] فنظر سليمان فرأى أن طيرا من الطيور تخلف فإذا هو الهدهد، فسأل عنه[2] ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ فلم أره ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تعذيبا شديدا بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس هذا كان حبسهم ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ﴾ أو أقتلنه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ببرهان بيّن فأرسل الصقر أنه يطلب له الهدهد أينما كان، فطار الصقر فرآه من جهة اليمن من جهة سبإ، فلما أراد الدنو منه قال إياك لا تمسني، اتق الله، فقال: نبي الله غضب عليك وأوعدك قال: ما استثنى شيئا؟ قال: بلى «أو ليأتيني بسلطان مبين» قال: سآتيه بسلطان مبين ﴿فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يسيرا من الزمان وحضر لسليمان فلما حضر لسليمان متواضعا رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه وقال: تذكّرْ وقوفك بين يدي الله تعالى

---

[1] – قال القرطبي: وقالت فرقة: بل تفقد الطير لأن الشمس دخلت من موضع الهدهد حين غاب. القرطبي ج13/ 177

[2] – جاء في تفسير الطبري قوله: وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ما حدثنا ابن عبد الأعلى قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران عن أبي مجلز قال: جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام فسأله عن الهدهد لم تفقده سليمان من بين الطير؟ قال عبد الله بن سلام: إن سليمان نزل منزلة في مسير له فلم يدر ما بُعد الماءِ فقال من يعلم بعد الماء؟ قالوا: الهدهد، فذاك حين تفقده. الطبري: ج19/ 143

وهو أقوى عليك منك علي، فارتعد سليمان وخلى سبيله[1] ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ سبأ قرية باليمن سميت باسم بانيها سبأ بن يشجب بن قحطان، وكان بين سبأ وصنعاء التي يسكن سليمان ثلاثة أميال فقط، والله تبارك وتعالى حجبه عن سبإ لحكمة، فملك الدنيا كلا وآخر ما ملك سبأ هذه «وجئتك من سبإ» ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ هي ملكة لهم اسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلات والعدة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا، مضروب من الذهب والفضة، مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد[2] عليه سبعة أبواب على كل باب، صوابه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق[3] ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ أَلاَّ يَسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ هلا سجدوا لله تبارك وتعالى ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ المخبوء من المطر والنبات ﴿فِي السَّمَاوَاتِ

---

1 – قال الألوسي في روح المعاني: وفي بعض الآثار أنه عليه السلام لما لم يره (الهدهد) دعا عريف الطير وهو النسر فسأله فلم يجد عنده علمه، ثم قال لسيد الطير وهو العقاب: علي به، فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني، فتركته وقالت: ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك أو ليذبحنك، قال: وما استثنى؟ قالت: بلى قال أو ليأتيني بسلطان مبين، فقال: نجوت إذا، فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال: يا نبي الله تعالى اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل فارتعد سليمان وعفا عنه. روح المعاني ج19/ 186.

2 – القرطبي ج13/ 184. وابن كثير ج3/ 361.

3 – القرطبي عن قتادة: عليه سبعة مغاليق. ج13/ 184.

وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قَالَ﴾ سليمان للهدهد ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرت به ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فكتب كتابا: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبإ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين[1]، ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ﴾ بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ انصرف ﴿عَنْهُمْ﴾ وقفْ قريبا منهم ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يردون من الجواب ﴿قَالَتْ﴾ لأشراف قومها ﴿يَاأَيُّهَا الْمَلَؤُاْ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ مختوم ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ مضمونه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ أعطوني الفتوى، أشيروا عليّ بالرأي ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تحضروني ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُولُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب شدة في الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ نطعك ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ مرسلو الكتاب ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من قبول الهدية، إذا قبل الهدية علمت أنه ملِك وملِك لا يغلبني أبدا، وإن لم يقبل الهدية علمت أنه نبي فنسلم على يديه فقط، فأرسلت خدما ذكورا وإناثا ألفا بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر، فأمر أن تضرب لبنات

---

1 - أورده البغوي في تفسيره بلفظه: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين. تفسير البغوي ج3/ 415. وورد كذلك بلفظه في تفسير النسفي ج3/ 210.

الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميدانا وأن يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله[1] فصنعوا هذا في ساعة. فلما جاء الرسول بالهدية ومعه أتباعُه سليمانَ ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾ تأتوني بمال الدنيا؟ ﴿فَمَا ءَاتَانِيَ اللَّهُ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت به من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ﴾ لا طاقة ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا﴾ من بلد سبإ ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إن لم يأتوني مسلمين، فلما رجع إليهم الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبيات داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسا وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثني عشر ألف قَيْل مع كل قيل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها ﴿قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَّأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ كلف سليمان الجن أن يأتوه بعرش بلقيس من سبإ قبل وصولها ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ هو القوي الشديد ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء أي من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر، قال سليمان أريد أسرع من هذا ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ آصف بن برخيا كان يعلم الاسم الأعظم ويتصرف به ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَّرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت فنظر فإذا العرش حاضر بين يدي سليمان أعدمه الله في سبإ وأوجده هنا عند سليمان ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ ساكنا ﴿عِندَهُ قَالَ هَذَا﴾

1 – تفسير الجلالين عند قوله تعالى "وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون"

الإتيان ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ يختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأجلها لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ﴾ أراد سليمان أن يتزوج ببلقيس وأخبره الجن أنّها حمقاء وأنّها لها رجل كرجل الحمير وأن لها شعرا كثيرا لا تليق به مخافة أن سليمان إذا تزوج بلقيس وولد منها ولدا يكون هذا الولد رئيسا على الجن إلى يوم القيامة فيسود بنو آدم الجن للأبد، فلهذا عيبوها فقال غيروا شيئا من عرشها ننظر يختبر عقلها[1] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ عرشك مثل هذا؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عرفته ولكن لما شبهوا لها شبهت لهم «كأنه هو» فعلم سليمان أن هذه تامة العقل[2] ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ أخبرها سليمان أن الله أعطاه علما بإيصال هذا العرش قبل وصولها ﴿وَصَدَّهَا﴾ كان صد بلقيس عن عبادة الله ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ بنى سليمان قصرا من زجاج أبيض شفاف وجعل تحته ماء وسمكا وجعل فوقه القوارير فأمرها بالدخول إلى سليمان ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ لما رأت الماء تحت الزجاج ظنت أن هذا بحر ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لتخوضه، ومقصود سليمان هو هذا لينظر إلى ساقيها هل كما قالوا أم لا، ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِن قَوَارِيرَ﴾ زجاج ادخلي فقط فدعاها إلى الإسلام فأسلمت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غيرك

---

[1] – القرطبي ج207/13.

[2] – قاله مقاتل كما في القرطبي ج207/13

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فتزوجها، فصنعوا له النورة[1] فأزالت شعرها وتزوجها وأقرها في سبإ وكان يأتيها في كل شهر ويقيم عندها ثلاثة أيام، وماتت انقضى ملكها وانقضى ملك سليمان وبقي الملك لله سبحان من لا انقضاء لدوام ملكه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنُ اعْبُدُواْ اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدين ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالعذاب قبل الرحمة ﴿لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ قَالُواْ اطَّيَّرْنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ من المؤمنين قحطوا المطر وجاعوا ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أتاكم به ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ بالخير والشر ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾ بالطاعة ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ﴾ أحلفوا ﴿بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ لنهلكنه ﴿وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ ولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا مُهْلَكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ لما قال لهم صالح إنّهم سيهلكون بعد ثلاثة أيام قالوا إنّهم سيهلكون صالحا في هذه الليلة، وودعوا الناس أنّهم يريدون سفرا وذهبوا إلى مغارة يستخفون فيها إذا جاء الليل يأتون بيت صالح ويقتلونه ويقتلون من حوله ويقولون إننا ما حضرنا كنا مسافرين فطبق الله عليهم الجبل فأهلكوا هنالك ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ خالية ﴿بِمَا ظَلَمُواْ﴾ بكفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

---

1 – في لسان العرب: النُّورَة: الهناء، والنورة من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس ويحلق به شعر العانة. (مادة نور)

بصالح وهم أربعة آلاف ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿وَلُوطًا﴾ واذكر خبر لوط ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ يبصر بعضكم بعضا ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عاقبة فعلكم

صدق الله العظيم. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

•

الدرس الثامن والثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر

ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُواْ ءَالَ لُوطٍ﴾ أهله ﴿مِن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ لما دعاهم نبي الله إلى الخير وترك الفواحش كان جواهم أخرجوهم من قريتكم لأنّهم قوم يتطهرون عن أدبار الرجال ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ نجاه الله وأهله جميعا إلا امرأته واهلة[1] ﴿قَدَّرْنَاهَا﴾ جعلناها ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب[2] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هو حجارة السجيل أهلكتهم ﴿فَسَاءَ﴾ بئس ﴿مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرهم ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية ﴿وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾هم. الله تبارك وتعالى عاقب قوم لوط بأن أنزل عليهم حجارة من السماء فأهلكوا لأنّهم ارتكبوا أفحش الفواحش وهي اللواط. مذهب مالك أن الفاعل والمفعول به يرجمان سواء أحصنا أم لم يحصنا، والشافعي وأحمد قالا إنه كالزاني إن كان محصنا يرجم

---

[1] – هو اسمها كما عند البغوي في تفسيره ج368/4 والألوسي في روح المعاني ج162/28، وفي بعض التفاسير واعلة كما في الجلالين أو والهة كما عند مقاتل وعنه كذلك والعة اسم امرأة لوط وواهلة اسم امرأة نوح. نقله عنه الألوسي.

[2] – قال القرطبي: روى سعيد عن قتادة قال: غبرت في عذاب الله عز وجل أي بقيت. ج133/13.

وإلا يجلد، وأبو حنيفة أسقط الحد عنه قال ينبغي تعزيره فقط، ليس من باب تخفيف الفاحشة إنما قال إن هذه الفاحشة أكبر من أن يقام لها حد[1] كاليمين الغموس، فعلى هذا الإنسان ينبغي أن يغض طرفه عن النظر إلى المرد إن كان شهوته تدعو إلى ذلك، فمصيبتهم أعظم من مصيبة النساء، فمن أحب امرأة تزوجها إن شاء، والزنى إنما هو تلاعب الشيطان بالإنسان فقط، ولكن المرأة إذا أحبها الإنسان يتزوجها فقط، أما الأمرد فلا سبيل إلى تحليله فعلى هذا خطره أعظم، وامرأة السوء من البلايا والمرأة الحسنة من حسنات الدنيا، حتى قال علي كرم الله وجهه إن المرأة الصالحة الموافقة ليست من الدنيا، وقال رضي الله عنه: خمسة من سعادة الإنسان أن تكون زوجته موافقة وأبناؤه أبرارا وإخوته أتقياء وجيرانه صالحين ورزقه في بلده[2]. ﴿ءَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الله خير لعابديه أم الآلهة؟ الله خير بين ذلك ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَنبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِ حَدَائِقَ﴾ جمع حديقة وهو البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حسن ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا﴾ ليس لبني آدم أن ينبتوا الشجر بدون ماء. والله تبارك وتعالى هو الذي أنزل الماء وأنبت لكم الشجر ﴿أَءِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ هل أعانه أحد من الآلهة على ذلك؟ ليس معه أحد، إذاً فلا يستحق العبادة إلا هو ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله غيره مع أنه هو الخالق وحده ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلاَلَهَا﴾ فيما بينها ﴿أَنْهَارًا

---

1 - روح البيان ج6/359

2 - روح البيان ج6/ 360

وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَءِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ هل يوجد إله مع الله في ذلك أعانه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ لما كان هو المنفرد بالإيجاد فحقه أن ينفرد بالعبادة أيضا ﴿أَمَّنْ يُّجِيبُ الْمُضطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه ضرر ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ هذا الإله الذي يقوم بهذه الأشياء خير أم آلهتهم؟ الذي يجيب المضطر ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أي يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَءِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ هل معه إله يعينه على هذا؟ ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَّكَّرُونَ﴾ تتعظون، إن الله تبارك وتعالى وعد بإجابة دعاء المضطر، والمضطر من لم يجد قرارا إلا بالله لم يجد معولا إلا عليه، ليس عنده إلا الله تبارك وتعالى هذا إذا دعا الله تبارك وتعالى يستجيب دعاءه، هذا صفة الأولياء العارفين بالله ليس عندهم إلا الله، هم مضطرون إلى الله فلهذا تسرع إجابة دعواتِهم. تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوما وقال (حُبب إلي من الدنيا ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة)[1] جعل الصلاة من الدنيا وقال أبو بكر وأنا يا سيدي حبب إلي ثلاث النظر إلى وجهك والجلوس بين يديك

---

1 – رواه أحمد والنسائي والحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب النكاح/ خير هذه الأمة أكثرها نساء (2718) وفي سنن النسائي: عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة) كتاب عشرة النساء/ باب حب النساء (3878) وعند أحمد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة) مسند أحمد: مسند المكثرين/ (13526) تقدم في الدرسين 11، 28.

وإنفاق مالي عليك. فقال عمر: وأنا يا سيدي حبب إلي ثلاث: النظر إلى أولياء الله وقهر أعداء الله وإقامة حدود الله. فقال عثمان: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام، وقال علي كرم الله وجهه: وأنا حبب إلي ثلاث الضرب بالسيف وصيام الصيف وإكرام الضيف. وقال جبريل وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: إرشاد الضالين وإعانة المساكين ومؤانسة كلام رب العالمين. فغاب ورجع - محل الشاهد - فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول إنه أحب من دنياكم ثلاثا: دمع العاصين وعذاب المجرمين غير التائبين وإجابة دعوة المضطرين[1]. فلهذا العبد إذا دعا مضطرا لابد أن يستجيب الله دعاءه

---

1 - قال العجلوني في كشف الخفاء: تنبيه: قال في المواهب وههنا لطيفة، وروى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال (حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة)، قال أبو بكر: وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا النظر إلى وجهك، وجمع المال للإنفاق عليك، والتوسل بقرابتك إليك. وقال عمر: وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بأمر الله. وقال عثمان: وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا ثلاث: إشباع الجائع، وإرواء الظمآن، وكسوة العاري. وقال علي رضي الله عنه: وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا الصوم في الصيف، وإقراء الضيف، والضرب بين يديك بالسيف. قال الطبري خرجه الجندي والعهدة عليه انتهى.

ونقل الشبراملسي في حاشيته على المواهب عن الذريعة لابن العماد أنه قال فيها: وعن الشيخ أبي محمد النيسابوري أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، قال: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: القعود بين يديك، والصلاة عليك، وإنفاق مالي لديك. فقال عمر رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة حدود الله. فقال عثمان رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام. فقال علي رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: الضرب بالسيف، والصوم بالصيف، وقرى الضيف. فنزل جبريل عليه السلام وقال: أنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: النزول على النبيين، وتبليغ الرسالة للمرسلين، والحمد لله رب العالمين - أي الثناء عليه -. ثم عرج ثم رجع فقال، يقول تعالى: وهو حبب إليه من عباده ثلاث: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وجسم على بلائه صابر، وفي بعضها مخالفة لما في المواهب. انتهى.

ومن قال يا رب لسانه يقول يا رب وقلبه يعتمد على شيء غير الله فهو لم يسأل الله تبارك وتعالى ﴿أَمَّنْ يَّهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلا وبعلامات الأرض نهارا ﴿وَمَنْ يُّرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿أَءِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به ﴿أَمَّنْ يَّبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت وإن لم يعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَنْ يَّرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿ أَءِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ لا يفعل شيئا مما ذكر إلا الله ولا إله معه في ذلك ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن معي إلها فعل شيئا مما ذكر. فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة فنزل ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿الْغَيْبَ﴾ ما غاب عنهم ﴿إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ كفار مكة كغيرهم ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ لا يعلم الغيب إلا الله تبارك وتعالى. الغيب على أقسام: الغيب ما غاب عنك، ما غاب عنك في الأرض كقرية أو شخص غائب عنك ويمكنك الإتيان به، هذا الغيب يمكن علمه؛ وغيب في السماء الدنيا كعلم النجوم والأوقات والهيآت وما هنالك، غائب عنك يمكن أن تدركه بالتعلم؛

وفي المجالس للخافجي بعض مخالفة وزيادة، وعبارته: قيل إنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذا الحديث قال أبو بكر: وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا ثلاث النظر إليك وإنفاق مالي عليك والجهاد بين يديك. وقال عمر: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة حدود الله. وقال عثمان وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام. وقال علي بن أبي طالب: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: إكرام الضيف، والصوم بالصيف، والضرب بالسيف، فنزل جبريل عليه السلام وقال: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: إغاثة المضطرين، وإرشاد المضلين، والمؤانسة بكلام رب العالمين. ونزل ميكائيل فقال: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: شاب تائب، وقلب خاشع، وعين باكية. انتهت. كشف الخفاء: حرف الحاء (1089).

وغيب غاب في أرض العبد وفي سمائه وذلك ما في العبد من الأخلاق الزكية والأسرار والحقائق والمعارف إذا جاهد الشخص نفسه حتى رجع إلى الله تبارك وتعالى ظهرت فيه تلك الأخلاق وكانت غائبة، هذا الغيب أيضا يمكن إدراكه عن طريق التربية؛ وغيب في سماء المعنى وهو ما في الملإ الأعلى من الملائكة والروحانيين هذا غيب أيضا ويمكن أن يطلع الله تبارك وتعالى بعض أنبيائه ورسله وأوليائه على هذا الغيب "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول" كل هذه الغيوب يمكن أن يعلمها غير الله؛ وغيب هو متى تقوم الساعة هذا الغيب لا يعلمه إلا الله، وما بقي من الغيوب كلا يمكن علمه، فلهذا هذا الغيب الذي نفى القرآن أن يعلمه غير الله هو قيام الساعة فقط "لا يجليها لوقتها إلا هو" "لا تأتيكم إلا بغتة" «لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون» ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ جهلوها جهلوا الآخرة، «ادّارك علمهم في الآخرة» أي جهلوا علم الآخرة، من الأفعال الجوامد التي الجملة كلها تأتي تفسيرا لكلمة واحدة كسُقِط في أيديهم، وضربنا على آذانهم، ادّارك علمهم في الآخرة، أي جهلوها ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ هم يشكون في الآخرة ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ عمى القلب أبلغ مما قبله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أيضا في إنكار البعث ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور، سألوا كما سأل من قبلهم ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أسطورة بالضم أي ما سطر من الكذب، البعث بعد الموت كذب قيل لمن قبلنا وهو لا يمكن ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكارهم وهي هلاكهم بالعذاب، هلا ساروا في الأرض وتفكروا فيمن قبلهم الذين أنكروا هذا البعث فقد أهلكوا وهم سيهلكون ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

يَمْكُرُونَ﴾ هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تهتم بمكرهم عليك فإنا ناصروك عليهم فمكرهم لا يأتي بشيء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى أَنْ يَّكُونَ رَدِفَ ﴾ قرُب ﴿لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أنتم تستعجلون العذاب يمكن أن بعض العذاب قرب منكم، فحصل لهم القتل يوم بدر وباقي العذاب سيأتيهم بعد الموت ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ﴾ أي شيء غائب في غاية الخفاء التاء للمبالغة ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن، الكتاب هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تبارك وتعالى ومنه تعذيب الكفار ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به فلا يمكن لأحد مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعمي فقال ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ والكفار موتى مدفونون في قبور أجسادهم ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ صمٌّ حيث أنّهم لا يسمعون الحق فإنّهم كمنزلة من لا يسمع ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ﴾ كلهم عمي ولا تقدر على هدايتهم ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلاَّ مَنْ يُّؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أي ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ من علامات الساعة إذا أراد الله بهذا العالم التغير الكبير ستخرج دابة من الأرض «تكلمهم» تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية وبالعجمية بالعربية للعرب وبالعجمية للعجم ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ كفار مكة ﴿كَانُواْ بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ﴾ أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سينزل عيسى بن مريم بينما يطوف بالبيت والناس معه إذ تحركت الأرض فإذا بجبل الصفا يتمخض عن دابة تخرج من الصفا تخرج ومدة خروجها ثلاثة أيام فيفزع الناس فبعضهم يبكون وبعضهم يصلون، تقول للمصلي أطل ما شئت فإني عندما أخرج سأختم على أنفك، تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان تختم كل إنسان لقيته بوجهه، أما المسلم فيكتب في وجهه مؤمن بالله، والكافر كافر بالله يقرؤه كل من رآه حتى أن الناس يعيشون في ذلك الوقت ولا ترى إنسانا إلا وعرفت هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار[1]، فضيحة هذه. «تكلمهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» لا

---

1 – أخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هاها يا مؤمن ويقال هاها يا كافر ويقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة النمل (3111). ابن ماجه: كتاب الفتن/ باب دابة الأرض (4056).

وأورد الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن: عن ربعي بن حراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الدابة، فقال حذيفة: قلت يا رسول الله، من أين تخرج؟ قال: (من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم، تحرك القنديل، وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش، لم يدركها طالب، ولن يفوتها هارب، تسم الناس مؤمن وكافر، أما المؤمن

يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث هذا إذا وقع ذلك أغلق باب التوبة، إن للتوبة بابا عند مغرب الشمس[1] مفتوح كل يوم وإذا خرجت هذه الدابة أغلق وصار يمر ويقول قد أغلق باب التوبة فمن لم يتب قبل هذا فلا توبة له ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ وهم رؤساؤهم المتبوعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يجمعون برد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُواْ﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿أَكَذَّبْتُمْ﴾ أنبيائي ﴿بِئَايَاتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بِهَا عِلْمًا﴾ كذبتم الأنبياء وأنتم تشاهدون آياتي و لم تعلموا شيئا تعتمدون عليه في تكذيبكم ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي شيء كنتم تعملون مما أمرتم

فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر. سورة النمل / القول في تأويل قوله تعالى: "وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم".

[1] – وفي سنن الترمذي عن زر بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي أسأله عن المسح على الخفين فقال: ما جاء بك يا زر؟ فقلت: ابتغاء العلم فقال: إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب، فقلت: إنه حك في صدري المسح على الخفين بعد الغائط والبول وكنت امرأ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فجئت أسألك هل سمعته يذكر في ذلك شيئا؟ قال: نعم كان يأمرنا إذا كنا سفرا أو مسافرين أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة لكن من غائط وبول ونوم فقلت: هل سمعته يذكر في الهوى شيئا قال: نعم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من صوته هاؤم، فقلنا له: ويحك اغضض من صوتك فإنك عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد نهيت عن هذا، فقال: والله لا أغضض، قال الأعرابي: المرء يحب القوم ولما يلحق بهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب يوم القيامة فما زال يحدثنا حتى ذكر بابا من قبل المغرب مسيرة سبعين عاما عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاما. **قال سفيان** قِبل الشام خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحا يعني للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله (3458). وسفيان هو ابن عيينة

به؟ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ﴾ أشركوا ﴿فَهُمْ لا يَنطِقُونَ﴾ إذ لا حجة لهم ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿اللَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ الله تبارك وتعالى خلق لنا الليل للسكون ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يُبصر فيه ليتصرفوا فيه، جعل النهار للتصرف في أسباب المعاش والليل للراحة، وأهل الله جعلوا الليل للخدمة والمناجاة فسبقوا غيرهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ خافوا الخوف المفضي إلى الموت «ففزع» مات من في السموات ومن في الأرض، إذا نفخ في الصور يموت جميع خلق الله تبارك وتعالى. سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور ما هو؟ قال: قرن[1]، إن الله تبارك وتعالى يوم خلق الخلق خلق قرنا فيه ثقب عدد خلق الله تبارك وتعالى، وإسرافيل مأمور بوضع الصور في فمه ينتظر الأمر إذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق، وبعد أربعين ينفخ مرة أخرى فيبعثون، فإذا العالم هكذا بعضهم يموت وبعضهم يبقى، إلا إذا أراد الله إفناء العالم يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور فينفخ، فكل من في السماوات والأرض يموتون عن آخرهم. وبعد هذا يأمره بالنفخ ثانية، بين النفختين أربعون قالوا لأبي هريرة: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون يوما؟ قال: أبيت[2]. ويعني بأبيت أبيت أن أسال رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

1 – عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما الصور؟ قال: (قرن ينفخ فيه). سنن الترمذي: كتاب القيامة والرقائق والورع/ باب ما جاء في شأن الصور (2354)

2 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوما؟ قال: أبيت قال: أربعون شهرا؟ قال: أبيت قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت قال: ثم ينزل الله

إنه لم يسأل النبي فعلى هذا لم يعرف هل أربعون يوما أو أربعون سنة والأكثر أربعون سنة ﴿إلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ هذه النفخة يموت بِها جميع الخلائق إلا من شاء الله. من هم؟ جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ملك الموت، وقيل الحور العين، وقيل موسى وإدريس لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا نفخ في الصور أبعثُ فإذا أجد موسى قائما ممسكا بقوائم العرش لم أدر هل مات ممن مات وأحيي قبلي أم لم يمت لأنه جوزي بصعقة الطور)[1] "فخر موسى صعقا" جازاه الله بتلك الصعقة لما كانت هذه الصعقة لم يدخل في الموتى. وهؤلاء الأربعة من الملائكة مستثنون أيضا لم يموتوا بالنفخ في الصور[2]، إن الله تبارك وتعالى وكل ملك الموت على قبض أرواح عباده جميعا. وإبليس آخر من يموت لأنه طاب الإمهال إلى آخر الدهر. أمهله الله إلى آخر يوم، فإذا مات جميع الخلائق أرسل الله ملك الموت إلى إبليس فيأخذ جميع ما عنده من آلات العذاب وكل ما عنده من الأعوان يتوجهون إلى إبليس عدو الله، فيفر من مشرق الشمس إلى مغرب الشمس في لحظة فيجد ملك

من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا، زمرا (4935). صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ما بين النفختين (5253). وقد تقدم في الدرس 16.

1 – عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور. صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء / باب وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها (3398).

2 – جاء في تفسير الطبري لقوله تعالى "ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله" وقوله: إلا من شاء الله اختلف أهل التأويل في الذي عني الله بالاستثناء في هذه الآية، فقال بعضهم عني به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. وهو منقول عن السدي.

الموت واقفا هنالك فيغمس نفسه في البحر، البحر المحيط حتى أدرك الثرى فيجد الملك واقفا هنالك لا يفر إلى محل إلا وجده أمامه، فهنالك يصيح صيحة ويقول يا رب مرني أسجد لقبر آدم، كنت أمتنع من السجود له والآن قبلت أن أسجد لقبره فيأخذه ملك الموت فيقبض روحه إلى سجين[1]، بعد ذلك يتجلى الحق: يا ملك الموت كم بقي من الخلائق؟ يقول: بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل والعبد الحقير

---

1 – جاء في تفسير روح المعاني قوله: نقل عن الأحنف بن قيس عليه الرحمة أنه قال: قدمت المدينة أريد أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه فإذا أنا بحلقة عظيمة وكعب الأحبار فيها يحدث وهو يقول: لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال: يا رب سيشمت بي عدوي إبليس إذا رآني ميتا وهو منتظر إلى يوم القيامة، فأجيب يا آدم إنك سترد إلى الجنة ويؤخر اللعين إلى النظرة ليذوق ألم الموت بعدد الأولين والآخرين، ثم قال لملك الموت: صف لي كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال: يا رب حسبي، فضج الناس وقالوا: يا أبا إسحاق كيف ذلك؟ فأبى وألحوا فقال: يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الأولى قد جعلت فيك قوة أهل السماوات وأهل الأرضين السبع وإني اليوم ألبستك أثواب السخط والغضب كلها فابرز بغضبي وسطوتي على رجيمي إبليس فأذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الأولين والآخرين من الثقلين أضعافا مضاعفة، وليكن معك من الزبانية سبعون ألفا قد امتلأوا غيظا وغضبا، وليكن مع كل منكم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها، وانزع روحه المنتنة بسبعين ألف كلاب من كلاليبها، وناد مالكا ليفتح أبواب النيران، فينزل الملك بصورة لو نظر إليها أهل السماوات والأرضين لماتوا بغتة من هولها، فينتهي إلى إبليس فيقول: قف لي يا خبيث لأذيقنك الموت كم من عمر أدركت، وقرن أضللت، وهذا هو الوقت المعلوم، قال فيهرب اللعين إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه، ويهرب إلى المغرب فإذا هو بين عينيه، فيغوص البحار فيثير منها البخار فلا تقبله، فلا يزال يهرب في الأرض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقول في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق حتى إذا كان في الموضع الذي أهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الأرض كالجمرة، احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب فيبقى في النزع والعذاب إلى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء عليهما السلام اطلعا اليوم على عدوكما يذوق الموت فيطلعان فينظران إلى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا أتممت علينا نعمتك. روح المعاني: ج13/49

والرب الجليل. يقول: خذ روح ميكائيل كنت أوجدته لأرزاق العباد والعباد قد فنوا فاقبض روحه، فيقبض روح ميكائيل. من بقي؟ يقول: جبريل وإسرافيل والعبد الحقير والرب الجليل. يقول: أقبض روح جبريل كنت وكلته بالوحي وإنزال الكتب وقد مضى ذلك. فيقبض روح جبريل. من بقي؟ يقول: بقي إسرافيل والعبد الحقير والرب الجليل. أقبض روح إسرافيل. يقبض روح إسرافيل. يقول: من بقي؟ يقول: بقي العبد الحقير والرب الجليل. فيقول: متْ، فإني حي لا أموت. فيسقط هو أيضا ميتا[1]. فهؤلاء هم آخر من يموت وأول من يبعث لأنّهم خدمة الحضرة، بعد ساعة يبعثون ﴿وَكُلٌّ ءَاتُوهُ دَاخِرِينَ﴾ جميع الخلائق آتون إلى الله تبارك وتعالى صاغرين، كلهم متواضع لا ترى متكبرا ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ واقفة مكانَها ﴿وَهْيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ في ذلك اليوم تجد الجبال تسير سيرا حثيثا على عظمتها تظن أنّها واقفة وهي تسير سيرا مسرعا ثم

---

1 – روى الطبري من طريق محمد بن إسحاق عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فقيل: من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال: «جبرائيل وميكائيل، وملك الموت، فإذا قبض أرواح الخلائق قال: يا ملك الموت من بقي؟ وهو أعلم قال: يقول: سبحانك تباركت ربي ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وميكائيل وملك الموت قال: يقول يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل قال: فيقع كالطود العظيم، قال: ثم يقول: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وملك الموت، قال: فيقول: يا ملك الموت مت، قال: فيموت قال: ثم يقول: يا جبريل من بقي؟ قال: فيقول جبريل: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل، وهو من الله بالمكان الذي هو به قال: فيقول يا جبريل لا بد من موتة قال: فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، أنت الباقي وجبريل الميت الفاني: قال: ويأخذ روحه في الخلقة التي خلق منها، قال: فيقع على ميكائيل أن فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود العظيم على الظرب من الظراب». تفسير الطبري: الآية 68 من سورة الزمر.

تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ صنع الله ذلك ﴿الَّذِي أَتْقَنَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ لا إله إلا الله يوم القيامة ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ ثواب بسببها كل حسنة بعشر أمثالها كما تقدم في سورة الأنعام[1]، وأحسن الحسنات لا إله إلا الله. والأولى بالمفسر أن يترك الحسنة على ظاهرها لتشمل غيرها.

إن الله تبارك وتعالى من كرمه إذا جاء العبد بحسنة واحدة يكتب له عشر حسنات، العبد إذا هم بسيئة و لم يعملها لم تكتب عليه وإذا عملها كتبت مرة واحدة إن لم يستغفر الله. الملكان الموكلان على العبد رقيب وعتيد، رقيب على اليمين وعتيد على الشمال، ورقيب هو الأمير على عتيد، لا يكتب عتيد شيئا إلا بأمره، إذا عمل حسنة كتبها رقيب عشر مرات، وإذا عمل سيئة وأراد عتيد أن يكتبها يقول: تأخر لعل أن يستغفر الله، لعل أن يتوب، إذا استغفر الله قبل ست ساعات[2] فلا تكتب هذه السيئة، وإن مكث سبع ساعات و لم يستغفر الله أمره أن يكتبها مرة واحدة: اكتبها مرة واحدة صاحبنا غافل، وإذا هم بحسنة و لم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشر مرات[3]. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (فويل لمن غلبت

---

1 – الآية 160: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها"

2 – أخرج السيوطي في الجامع الصغير: (إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلا كتبت واحدة) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة. الجامع الصغير ج1/ رقم 2291.

3 – أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال: إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة

آحاده أعشاره)[1] الإنسان تبلغ به الغفلة الغاية إذا صارت هذه الآحاد أكثر من هذه العشرات ﴿وَهُمْ﴾ الجاؤون بالحسنات ﴿مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ من أتى بالسيئة التي هي الشرك كب وجهه في النار ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ ما تجزون ﴿إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي قل لهم ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ التي هي مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم إنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها وذلك من النعم على قريش أهلها، في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله بالتوحيد ﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ الْقُرْءَانَ﴾ أمرني أن أستمر على دراسة القرآن، تتبع القرآن بالتلاوة للدعوة إلى الله تبارك وتعالى وللعبادة، هذا ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم عبادة الله وحده، والكون من جملة المسلمين

واحدة. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب من هم بحسنة أو سيئة (6491). صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب (187). وقد تقدم في الدرس 17.

[1] – قال في عون المعبود بشرح سنن أبي داود : وقال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه : لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة، وقالوا: يا رسول الله وأينا من لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء؟ قال : منه ما يكون في الدنيا، فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات، ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلبت آحاده أعشاره. عون المعبود/ شرح الحديث رقم (2689) من سنن أبي داود: كتاب الجنائز/ باب عيادة النساء. وجاء في تفسير ابن كثير: روى ابن مردويه من طريق الحسين بن واقد عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله من يعمل سوء يجز به؟ قال: (نعم ومن يعمل حسنة يجز بها عشرا فهلك من غلب واحدته عشراته) ج1/ 560 وعن القرطبي في تفسيره: ورد في الخبر (الحسنة بعشر أمثالها وأزيد والسيئة واحدة وأغفر فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره) القرطبي ج151/7. وقد تقدم في الدرسين 16 و17

الذين يوحدون الله تبارك وتعالى، وتلاوة القرآن، فتلاوة القرآن أفضل العبادات مطلقا[1]، والمريد في بداية انتباهه تحدثه نفسه أنه مشتغل في شيء أعظم من تلاوة القرآن ومشغول بشيء أعظم من القرآن، ولكن عند الكمال يرجع إلى القرآن فيجد القرآن مادة كل مقام، ومادة كل خير، ومادة كل عبادة، ومادة كل علم دنيوي أو أخروي، فيلازم تلاوة القرآن. هذا هو الذي أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، فتجد العارفين أفضل أعمالهم هو تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار. والقراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظ العبد، لأن العين تنظر إلى القرآن وهذه عبادة، واليد تمسك المصحف وهذه عبادة[2]، بعضهم يأخذ إصبعه يتتبع الكلمة بعد الكلمة هذه أيضا عبادة أخرى، والسمع يستمع للقرآن وهذه عبادة أخرى، واللسان ينطق بالقرآن، والقلب يتفكر في معاني القرآن، وكما يطلب تلاوة القرآن يطلب سماعه دائما، فأكبر نعمة عند الملائكة سماع القرآن، إذا سمعوا تلاوة القرآن يتنادون كما نتداعى نحن إلى الموائد والمآدب هلموا هلموا، فيستمعون

---

1 – أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الرب عز وجل: (من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه). سنن الترمذي: فضائل القرآن/ باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي (2850). وقال الصاوي في حاشيته على الجلالين: وفي هذه الآية إشعار أن تلاوة القرآن أعظم العبادات قدرا عند الله. ج207/3.

2 – روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطوا أعينكم حظها من العبادة: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه) حديث رقم 1161 من الجامع الصغير.

وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا) حديث رقم 1305 من الجامع الصغير.

لتلاوة القرآن. والقرآن إذا سمعه العبد من الآداب أن يسمعه ليس من مجرد القارئ بل تسمعه من الرباني[1] أولا ثم من المرتبة التي فوق الرباني حتى تسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسمع من المتكلم بالقرآن وهو رب العزة تبارك وتعالى. والقرآن وعد الرسول صلى الله عليه وسلم في بدايته أن لابد أن يقرأ القرآن "لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه" وعد الحق تبارك وتعالى نبيه في بداية الوحي أن هذا القرآن لابد أن يجمع فجمع من المصاحف في الدنيا ما لم يسبق له مثيل لأي كتاب منزل من السماء أو مؤلف فوق الأرض. لا تجد بيتا إلا وفيه مصحف حتى أخبرني سينغور[2] أنه عنده مصحف في بيته ورأيت راهبا قال لي إن عنده مصحفا، لا تكاد تأتي منزلا لا تجد فيه مصحفا، وهذا كما وعد الله تبارك وتعالى. "وقرآنه" أيضا وعده بأن هذا القرآن لابد أن يقرأ. وكانوا يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم من قراءة القرآن، انظر إلى ما وقع من قراءة القرآن، قرئ القرآن قراءة لم يسبق لها مثيل لأي كتاب، فتجد الناس يقرأون القرآن دائما آناء الليل وأطراف النهار، وتجد الحديد في زماننا يقرأ القرآن كل إذاعة تسمع فيها القرآن، حتى إذاعة إسرائيل، حتى إذاعة باريس، حتى لندن لا تفتح إذاعة إلا وتسمع القرآن عند افتتاحها، وسجل هذا القرآن كما تسمعه في الآلات، الفقهاء القاصرو الفهم يعيبون تلاوة القرآن بهذه الآلات، وإن كنا نريد سماع القرآن حقيقة فذلك لا يتم إلا بسماعنا له من المنزل، فاستماعك

---

[1] - الرباني أحد الأعلام الموريتانيين الموهوبين، وأحد الحفاظ المجازين الذين خدموا القرآن واستحفظوه لكثير من أبناء المسلمين، هاجر إلى الشيخ ابراهيم رضي الله عنه إبان ظهور الفيضة، ولم يزل معه في صفاء وهناء حتى توفي رحمه الله سنة 1970م. وقد كنى به الشيخ عن كل شيخ أخذت عنه القرآن سماعا.

[2] - ليوبولد سدار سينغور رئيس الجمهورية السينغالية (1960 - 1980)

إلى القرآن ولم تر قارئا أقرب لسماعه من المنزل منك وأنت ترى قارئا يقرأ، فهذا يذكرك بعظمة القدرة التي أسمعتنا القرآن ولم نر قارئا، والقدرة صفة ونحن نشاهد ما وراء الصفة، فنسمع القرآن من الحضرة العليا. الحاصل أن القرآن عليكم به قراءة وسماعا وتدبروا في معانيه تجدوا كل مادة في القرآن، لا تحتاجون لشيء مع القرآن لو تمسك الأمة بِهذا القرآن لاستغنوا عن كل شيء في الدنيا، الصحابة ما علموا الحساب حتى الحساب ما عرفوه، ولا علموا شيئا من هذه العلوم الحادثة. عمر بن الخطاب الذي فتح ربع الدنيا كلا وحكم وحده هو أمير جميع البلدان لا يعرف الحساب، لا يعرف إلا شيئا من القرآن ولكنه حق عنده ويحب أن يقيمه كما أمره خالقه، فتح البلاد حتى توغل في بلاد أوربا ليس عنده صواريخ وليس عنده قنابل، وليس عندهم سفن ما عندهم إلا سيوف، ربما خاضوا البحر بلا سفينة لشدة إيمانِهم بالقرآن وتمسكهم به، والآن تأخر المسلمون لتركهم القرآن، ولا يتقدمون إلى مرادهم إلا إذا رجعوا إلى القرآن. وقف رئيس وزراء ابريطانيا في مجلس العموم البريطاني، بعدما طاف في البلدان جميعا ورجع إلى لندن، أمسك مصحفا بيده وقال لهم: هذا الكتاب وتلك البنية التي في مكة ما داما في الدنيا فلا قرار لنا في الدنيا[1]، فينبغي أن نحاربَهما حتى نمحوهما من الوجود بكل ما نملك من إمكانيات وقوة، وغفل عدو الله في ذلك الوقت أنه قبل وقت الرابعة صباحا إذاعة لندن تبدأ بتلاوة القرآن على رغمه هو ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان ﴿فَقُلْ﴾ له ﴿إِنَّمَا أَنَاْ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ المخوفين فليس علي إلا التبليغ. هذا قبل الأمر بالقتال. ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فأراهم الله يوم بدر القتل

---

1 – راجع مقدمة كتاب "المستشرقون" للمهندس زكريا هاشم زكريا. ص11

والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يمهلهم لوقتهم، يمهل ولا يهمل. إن الله ليملي للظالم أي يمهله حتى إذا أخذه لم يفلته[1].

سورة القصص

مكية، إلا "إن الذي فرض" الآية نزلت بالجحفة وإلا "الذين آتيناهم الكتاب" إلى "لا نبتغي الجاهلين" وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

القرآن بعضه نزل بمكة وبعض آخر نزل بالمدينة وإذا تأملت في القرآن تجد السور المكية أشد فصاحة وبلاغة وإيجازا، أبدع في تلك السور غاية لأنه يخاطب العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، وفي سور المدينة يطول القصة لأنه يكلم اليهود وهم حمقى لا عقل عندهم بلداء لا يخاطبون كما يخاطب الأذكياء.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طَسٓمٓ﴾ طاء طوله، سين سره ميم منته، ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ الصحيح الله أعلم بمراده وهي آيات الكتاب، هذه الحروف آيات الكتاب ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر الحق من الباطل ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ﴾ نقص عليك ﴿مِن نَّبَإِ

---

1 – أخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال ثم قرأ "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد") صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى (4686)، وفي رواية مسلم (إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم (4680). وقد تقدم في الدروس 9، 20، 26، 36.

مُوسَى﴾ خبر موسى ﴿وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأجلهم لأنّهم المنتفعون به، قصص موسى مع فرعون قصص بارعة لأن فرعون في غاية الذكاء وحاذق جدا بخلاف نمرود ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ﴾ تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقا في خدمته، منهم من يشتغل بالبناء ومنهم من يشتغل بالزراعة ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ﴾ يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولودا يولد من بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك[1]. فرعون رأى في المنام أن نارا خرجت من دور بني إسرائيل وحرقت ما عنده من القصور والممالك، فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن تعبير هذه الرؤيا، فقال له المنجمون والكهنة إن مولودا يولد من بني إسرائيل يكون سببا لذهاب ملكك، فقال: بنو إسرائيل عبيدي إن كان مولود يخرج منهم هو الذي يذهب بملكي فلا يذهب ملكي أبدا، لأني قاهر عليهم، فوكل رجالا قال تذبحون جميع ما وجد من الصبيان عند بني إسرائيل، فذبحوا عشرين ألفا، ووكل رجالا وقوابل من النساء كل من ولدت ولدا ذكرا فليذبح، فبقوا يذبحون حتى ذبح تسعين ألف مولود[2] على عشرين ألف صبي، مائة وعشرة آلاف ذبحهم لطلب موسى، ولسان الألوهية يخاطبه إن هذا المولود ستربيه على فراشك في بيتك على رغمك ويكون هلاكك بسببه ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فرعون من المفسدين ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ والله تبارك وتعالى قضى في سابق علمه أن هؤلاء الضعفاء بني إسرائيل سيمن عليهم

---

1 – الجلالين ج208/3

2 – ذكره البروسوي في روح البيان ج381/6.

ويجعل الدولة لهم على رغم فرعون وهامان، ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ملك فرعون ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام بعد هلاك فرعون ملكوا الشام ومصر ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿مَا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ هذا الذي كانوا يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه أراهم الله ذلك عيانا ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام أو منام ﴿إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ أوحى الله إلى أم موسى اسمها يوحانذ[1] وموسى هو المولود المذكور و لم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ألهم الله أم موسى أن المولود هاهو لا تخافي عليه إن شئت تبقين على حالتك ترضعين ولدك والله يعصمه، وإن خفت فألقيه في اليم ﴿وَلاَ تَخَافِي﴾ غرقه لا يضره الماء ﴿وَلاَ تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلى بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته في بحر النيل[2]، هي لما كانت حبلى ما كانت تكتم أنّها حبلى لأنّها لا تعرف ماذا يقع، لما ولدت موسى دخلت القوابل عليها، إن هذه المرأة كانت حاملا فسألوها هل ولدت قالت: ما ولدتُ، وكانت لما رأت القوابل وعلمت أنّهن يردن قتل ولدها فزعت حتى ألقته في التنور والنار تتقد عليه، فدخلن ففتشن ثديها فلم يجدن أثرا للرضاع، وفتشن ما رأين أثرا للولادة، ونظرن في البيت ما رأين شيئا فتحن الصناديق وفتحن كل شيء، أما النار التي تتقد فلا يفتش فيها للولد حتى خرجن، فلما خرجن بكى موسى في النار فأخذته أمه فإذا النار ما ضرته بشيء[3]، هنالك أوحى الله إليها وحي

---

1 - تفسير روح المعاني ج187/16 قال: واختلف في اسم أمه عليه السلام والمشهور أنه يوحانذ..

2 - قاله جلال الدين المحلي. حاشية الصاوي على الجلالين ج209/3.

3 - حاشية الصاوي على الجلالين ج209/3

إلهام إني أحفظ هذا المولود، أرضعيه إذا شئت وإن خفت فألقيه في البحر، أرضعته قيل ثلاثة أشهر، لم تجد يقينا في قلبها فذهبت إلى نجار ليلا قالت له: أحب أن تصنع لي تابوتا، قال لها: ما تريدين بالتابوت؟ قالت: سر عندي، قال لها: قوليه لي وأنا أحفظ السر، قالت له: أنا ولدت مولودا ولا أحب أن يقتل، أحببت أن أصنع صندوقا أجعله فيه وألقيه في البحر، فذهب النجار حينا إلى فرعون، وجد فرعون في محفل عظيم دعاه يا فرعون، قال: لبيك، أخرس الله لسانه وأعمى بصره وأصم أذنيه، فوقف كالمجنون فقط قال فرعون: تكلم لم يتكلم، قال: اضربوه هذا مجنون فضربوه حتى رجع، وبعد رجوعه عاد إليه لسانه، فهرول إلى فرعون أيضا ليخبره الخبر، لما نادى فرعون رجع إليه الحال كما كان ثلاث مرات، قال: اضربوه واطردوه ولا يرجع إلينا بعد، فذهب وعاهد الله أنه إذا خرج هذا المولود نبيا هو أول من يؤمن به فكان كذلك[1]. فصنع التابوت، وأتى إلى أم موسى فجعلوه في التابوت وألقوه في البحر، وقد كان فرعون عنينا مدة ملكه أربعمائة سنة ما ولد له إلا بنت جاءت بَرصاء، كلف الأطباء بدوائها فعجزوا عن دوائها والكهنة كذلك، إلا أن الكهنة أخبروه أن حيوانا يخرج من البحر في اليوم الفلاني في الساعة الفلانية، ذلك الحيوان ريقه هو دواء ابنتك[2]، فلما ألقي موسى في البحر ليلا أصبح ذلك اليوم هو المؤرخ لفرعون أنه يجد حيوانا من البحر ريقه دواء ابنته، فأتى على ساحل النيل، نصبوا له كرسيه فاجتمع الناس ينظرون ماذا يخرج من البحر، فذهب الملاحون فرأوا صندوقا، وأتوا به إلى فرعون ففتحوا الصندوق فوجدوا مولودا باهرا

---

1 – نفس المصدر السابق ج210/3

2 – قصص الأنبياء (العرائس) ص172 (دار الفكر)

في الجمال يرضع من أصبع ماء ومن أصبع لبنا[1] ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع زبدة وينبت في اليوم كما ينبت الولد في الشهر، هو ولد منذ ثلاثة أشهر ولكن من رآه الآن يظن أنه ولد في العام الماضي لطول قامته، ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾ التابوت صبيحة الليل ﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ فوضعوه بين يدي فرعون، وفتح وأخرج موسى منه وهو يمص من إبْهامه لبنا. أول ما قال فرعون: خذوا لي من ريقه، فأخذوا من ريقه وجعلوه على البنت فبرئت البنت في الحين ففرح بشفاء بنته، ولكن قال هذا المولود لعله هو المولود الذي سيكون ذهاب ملكي على يديه قالت له آسية: لا لا هذا ليس من مواليد هذه السنة، وهو كان لما طال الزمان قال له القبط: أنت تذبح أبناء بني إسرائيل، وهم عبيدنا سينتقل العمل إلى أيدينا لأن عبيدنا إذا فنوا نبقى نعمل لأنفسنا، فصار يقول اتركوا المواليد عاما واقتلوهم عاما، فولد هارون في العام الذي سمح لهم فيه، وولد موسى في عام القتل، قالت آسية: هذا ليس من مواليد هذه السنة وأنت مواليد العام الماضي تسمح لهم، وليس من بني إسرائيل إنما أتى الله به من البحر فقط، قال: صدقتِ، «فالتقطه آل فرعون» ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ التقطوا هذا المولود ليكون لهم ابنا ليكون لهم حبيبا، ولكن آل الأمر إلى أنه صار لهم عدوا حتى كأنّهم التقطوه لذلك، هذه لام الغاية ولام الصيرورة كقوله: لدوا للموت وابنوا للخراب[2]. الإنسان إذا

---

[1] - تفسير الخازن ج3/397 - 398

[2] - طرف من حديث رواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة والزبير مرفوعا وفيه أن ملكا بباب من أبواب السماء يقول يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وإن ملكا بباب آخر ينادي يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب... كشف الخفاء/ حرف اللام (2041). وأورد الإمام السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: أخرج ابن عساكر عن مجاهد قال: إن الله لما أهبط آدم وحواء

ولد ولدا لم يلده للموت ولكن مآل المولود الموت فقط فكأنه ولده للموت، ومآل البناء للخراب فكأنه بني للخراب، كذلك فرعون التقط هذا المولود ليجد عدوا يحاربه لأنه رجع الأمر كذلك ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَاطِئِينَ﴾ عاصين فعوقبوا على يدي موسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾ آسية بنت مزاحم، كانت لما رأت موسى أحبته وآمنت، وقد هم فرعون وهامان بقتل الولد، وفرعون طوع يد آسية فقط، فكل ما تقول آسية فهو مقبول عند فرعون، ولكن هامان قال لهم هذا هو المولود الذي ذكر، اقتلوه فقط، فأرادوا قتله قالت آسية ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَّنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ تفرست أن يكون موسى قرة عين لها، قالت «قرة عين لي ولك» قال فرعون لا، قرة عين لك فقط أما أنا فلا[1]، هذا الولد ما فهمت أمره. قالوا إن أصدق الناس فراسة عزيز مصر فراسته في يوسف، وآسية بنت مزاحم فراستها في موسى، وأبو بكر الصديق فراسته في عمر بن الخطاب[2]، قال: إني خلفت فيكم عمر بن الخطاب وأرجو أن يكون عدلا فإن كان كما أظن

قال: اهبطوا إلى الأرض، فلدوا للموت وابنوا للخراب. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عند تفسير الآية 281 من سورة البقرة.

1 – انظر تفسير الطبري ج33/20

2 – رواه أبو الأحوص عن عبد الله بن مسعود بلفظ: أفرس الناس ثلاثة: العزيز تفرس في يوسف والمرأة التي تفرست في موسى، وأبو بكر حين استخلف عمر. وقال الدارقطني في العلل: يرويه الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، وخالفه إسرائيل وليث بن أبي سليم فروياه عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة، ويشبه أن يكونا صحيحين.

فالحمد لله وإلا "فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[1]. فما زالت آسية بهم حتى تركوا الولد، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فَارِغًا﴾ مما سواه لما علمت أن ولدها وقع في أيدي أعدائه طار عقلها حتى بقيت فارغة من العقل ليس في قلبها إلا موسى هل يكفيه؟ ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ حتى كادت أن تصيح وتقول هو ولدي ﴿لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بالصبر سكّناه ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله، عصمها الله حتى تجد ثواب التصديق أن الله وعدها "إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين" والإيمان بهذا عبادة ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد اختلاسا ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أخت موسى قيل اسمها مريم وقيل اسمها كلثوم[2]، أتت لمجلس فرعون والناس يزدحمون على المولود، وفرعون يطلب من يرضع ولده فنظرت أخته إليه وهم لا يشعرون أنّها أخته ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ كلما أوتي بمرضع رفض موسى ثديها لم يرضع ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ

---

1 – أورد ابن كثير في تفسيره من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كتب أبي في وصيته سطرين: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون". تفسير ابن كثير ج356/3.

2 – قال القرطبي في تفسيره: واسمها مريم بنت عمران وافق اسمها اسم مريم أم عيسى عليه السلام. ذكره السهيلي والثعلبي وذكر الماوردي عن الضحاك أن اسمها كلثمة وقال السهيلي: كلثوم، جاء ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة: أشعرت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون؟ فقالت: الله أخبرك بهذا؟ فقال: نعم، فقالت: بالرفاه والبنين. القرطبي ج256/13.

﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بالإرضاع ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ قال هامان: هذه تعرفه، ناصحون؟ لم تنصحونه؟ منكم؟ قالت: ناصحون للملك، الضمير للملك، قبل هذا، فقبلوا كلامها[1] فذهبت إلى أمها فأتت فدفعوا لها الولد فرضع الولد في نفس اليوم، الليلة التي ألقي في البحر ما غربت تلك الشمس حتى أن موسى في بيت أمه يرضعها ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ برده إليها ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أكثر الناس ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، فصارت أم موسى ترضع موسى وتأخذ أجرة من فرعون كل يوم دينارا، وأخذها هذه الأجرة حلال لأنّها مال الحربي، مال الحربي حلال، وإلا فلا يجوز لها أن ترضع ابنها وتأخذ أجرة من الأجنبي[2] ولكن لما كان فرعون عدوا محاربا جاز أخذ ماله على كل حال. قال لها فرعون عجبا منك أيتها المرأة ابني هذا رفض ثدي جميع النساء وقبلك، ولم هذا؟ قالت: لأني طيبة الريح طيبة اللبن، ما شم ولد ثديي قط إلا ورضع، رضي فرعون بهذا، فرضع أمه حتى فطم، ورجعوا به إلى فرعون. وألقى الله محبته على موسى وصار فرعون يحبه حتى لا يصبر عنه، كل يوم يقول آتوني بولدي أتأنس به، وكلما جلس موسى بين يديه يأخذ بلحيته، وكان فرعون طويل اللحية حتى أن لحيته أطول من قامته، يأخذ موسى بلحيته ويجذبها، وربما لطمه موسى فيغضب ويقول هذا الولد هو الولد الذي سيكون ذهاب ملكي على يديه، تقول له آسية: لا لا، ويوما ضرب موسى فرعون حتى كاد أن يغمى عليه فقال هذا الولد لابد أن أقتله، اقتلوه، اقتلوه، هو الولد الذي سيكون ذهاب ملكي على

---

1 – روح البيان ج387/6 وفي العرائس ص173.

2 – نقله القرطبي عن الزمخشري، ج13/ 258.

يديه، قالت آسية لا[1]، هذا صبي لا يميز شيئا، لا فرق عنده بين الدينار والجمرة وإن شئت اختبره بذلك، فوضع فرعون جمرة ودينارا بين يدي موسى فأراد موسى أن يأخذ الدينار فدفع جبريل يده إلى الجمرة فأخذ الجمرة وجعلها في فيه، فكان هذا سبب لكنته في بدايته ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو ثلاث وثلاثون سنة صار هو ولي عهد فرعون، ابن فرعون يلبس لباس فرعون ويركب مراكب فرعون ويطيعه الناس كما يطيعون فرعون حتى بلغ ثلاثين سنة ﴿وَاسْتَوَى﴾ بلغ أربعين سنة ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبيا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون وهي مُنف بعد أن غاب عنها مدة ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ موسى مكث ثلاثين سنة عند فرعون وذهب إلى مدين أقام فيها عشر سنين، رجع وبعثه الله نبيا، فأتى ودعا فرعون إلى الله ثلاثين سنة فأغرق الله فرعون، وعاش بعد هلاك فرعون خمسين سنة فعمر موسى مائة وعشرون سنة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ﴾ إسرائيلي اسمه السامري ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قبطي، القبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ القبطي اسمه فاتون يسخر إسرائيليا أن يحمل الحطب إلى مطبخ فرعون، هذا طبيعي عندهم عبد، فلما مر موسى وكان بنو إسرائيل يفتخرون أن موسى رضع منهم كأنّهم لهم قرابة لموسى، ما علموا أنه منهم نسبا، طلب الإسرائيلي أن يغيثه موسى من هذا القبطي الذي يسخره على حمل الحطب، فأتى موسى وقال له اتركه، قال له القبطي: إما أن يحمل الحطب أو تحمله أنت، قال موسى أنا؟

---

1 – قصص الأنبياء (العرائس) ص184 (دار الفكر).

﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ فضربه بجمع كفه وهو موسى شديد القوة ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ مات ولم يكن قصد قتله، سيئات الأبرار لا تكون عن قصد أبدا، عن تأويل أو خطإ، الفرق بين الولي والفاسق الفاسق يقصد المخالفة، يأتي الجريمة وهو يعلم أنّها جريمة، والولي يؤول تأويلا، وبعد أن يصدر العمل يرجع إلى عقله يعلم أنه أخطأ في التأويل أو يقع منه العمل خطأ ليس عن قصد، موسى ما قصد قتل القبطي، إنما ضربه فقط فمات بالضربة من غير قصد، هذا خطأ. وآدم أكل الشجرة تأويلا عنده أنه يكون سببا لخلوده في الجنة هو يطلب ما يخلده في الحضرة، بعد ذلك تبين أنه أخطأ في تأويله، هكذا سيئاتهم. «فقضى عليه» قتله ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ المهيج لغضبي ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ لابن آدم ﴿مُضِلٌّ﴾ له ﴿مُبِينٌ﴾ بيّن الإضلال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تضرع إلى الله تبارك وتعالى ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ غفر الله له حينا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ المتصف بهما أزلا وأبدا ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بحق إنعامك عليّ بالمغفرة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ لا أعين مجرما بعد هذا، لم يقل إن شاء الله وسيعين مجرما آخر. لو قال إن شاء الله لا يقع هذا منه، ولكن بعد قليل سيستعين به مجرم آخر فيعينه ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ مر فإذا الرجل بالأمس يناديه مرة ثانية يا موسى أغثني، هذا قبطي آخر يريد أن يسخرني لحمل الحطب ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ لما فعلته أمس واليوم، ولكن مع ذلك يريد أن يعينه ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﴿أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ﴾ المستغيث الإسرائيلي ظنا منه أنه يبطش به ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ﴾ ما تريد ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل

بالأمس موسى، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك: الرجل المقتول بالأمس الذي لم يعلم قاتله فموسى هو الذي قتله، فأمر فرعون الذباحين بالبحث عن موسى وقتله حيث وجدوه ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ مؤمن من آل فرعون وهو صانع التابوت[1] ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ فر الرجل ودار بالطريق حتى لحق بموسى قبلهم ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في مشيه ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ فخرج موسى حينا مهاجرا يترقب لحوق طالب أو غوث الله إياه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها وهي قرية شعيب – مسيرة ثمانية أيام من مصر – سميت بمدين بن إبراهيم هو الذي بناها ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ طلب من الله تبارك وتعالى أن يهديه الطريق، أرسل الله له ملكا بيده عنزة فانطلق أمام موسى فانطلق موسى على أثر الملك حتى وصلوا إلى مدين. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إن من أصابه خوف أو وعيد فقال: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا أنجاه الله مما يخاف[2]. سار موسى ثمانية أيام فوصل إلى بئر مدين ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ بئرا فيها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ يسقون مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمْ﴾ سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾

---

1 – قال مقاتل حسبما نقله القرطبي: مؤمن آل فرعون هو الذي صنع التابوت ونجره وكان اسمه حزقيل. القرطبي ج11/ 195.

2 – جاء في مصنف بن أبي شيبة عن أبي مجلز قال: من خاف من أمير ظلما فقال: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن حكما وإماما، أنجاه الله منه. مصنف بن أبي شيبة: كتاب الدعاء / باب الرجل يخاف السلطان ما يدعو (24917).

تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان ﴿قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ لأننا لا نزاحم الرجال ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي، ليس له إلا البنات ونحن لا نزاحم الرجال ننتظر حتى يصدر الرجال فنسقي بعد ذلك ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ قال لهما ليس هنا بئر أخرى؟ قالتا: إلا بئر الحجر الذي يغطى به البئر لا يرفعه إلا عشرة أنفس على الأقل[1]، قال لهما موسى دلاني على البئر، فرفعه موسى وسقى لهما. فرجعتا في أول النهار وكانتا لا تأتيان إلا عشاء. ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ ظل شجرة السمرة من شدة حر الشمس، وهو جائع مكث ثمانية أيام لم يأكل[2] ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاج، موسى في زمن الطفولة احتاج إلى رغيف فطلب من الله رغيفا فقط، هذا حاجته، فلما بلغ مبلغ الرجال الفحول قال: "رب أرني أنظر إليك" وموسى عندما عرضت له حاجة صغيرة لم يرفعها إلى الناس، بل إلى الله تبارك وتعالى، حتى الرغيف لم يقل هذا قليل أطلبه من الناس، بل طلب من الله تبارك وتعالى رغيفا، ولما عرضت له حاجة كبيرة هي الرؤية لم يستعن بغير الله "قال رب أرني أنظر إليك". كن موسويا، الحاجة الصغيرة والكبيرة لا ترفعها إلا إلى الله تبارك وتعالى[3]، هو القادر على قضاء الحوائج الصغار والكبار. لما قال موسى هذا

---

[1] - نقله الطبري عن ابن جريج: حجرا كان لا يطيقه إلا عشرة رهط. وعن شريح قال انتهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة رجال فرفعه وحده. وفي قول نقل عن ابن عباس: ثلاثون رجلا. تفسير الطبري ج20/ 57 و63.

[2] - انظره في القرطبي ج13/270.

[3] - (سلوا الله ما بدا لكم من حوائجكم، حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسر لم يتيسر) رواه البيهقي في شعب الإيمان وضعفه عن أبي هريرة. ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة موقوفا.

فهمت المرأة بنت شعيب أن موسى جائع فأتتا إلى أبيهما فأخبرتاه قال أتيتما في هذا الوقت؟ قالتا: نعم أتى رجل صالح قوي ففتح لنا البئر وسقى لنا بلا أجرة. قال لها شعيب: أرجعي إليه وقولي له يأتيني. ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ رجعت واضعة كم درعها على وجهها حياء منه، المرأة إذا أحبت رجلا استحيت منه وهذه المرأة أحبت موسى فأرت ذلك بحيائها ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها منكرا في نفسه أخذ الأجرة كأنّها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها، فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها قال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له: اجلس فتعش، قال: أخاف أن يكون عوضا عما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضا، هذا في بداية أمر موسى. قال: لا، عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام. لا يمنعك عمل الخير من أن تأكل ضيافتي، فأكل موسى وأخبره بحاله ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ ما صدر منه قتله القبطي وقصدهم قتله وخوفه من فرعون ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين. وعلى هذا من الأدب يقال للخائف لا تخف، فيؤمن ويسكن روعه، والآمِن يؤمر بالخوف ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ وهي المرسَلة الكبرى أو الصغرى ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ اتخذه أجيرا يرعى غنمنا بدلنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ استأجر هذا الرجل، هذا الرجل قوي وهو أمين، قال لها شعيب: من أين علمت قوته؟ قالت

- (سلوا الله حوائجكم حتى الملح) البيهقي في شعب الإيمان عن بكر بن عبد الله. للمزني مرسلا. الجامع الكبير ص547.

لفتح البئر التي لا يفتحها إلا عشرة أنفس أو أربعون. قال: ومن أين عرفت أمانته؟ قالت: لما مشيت أمامه وانكشفت ساقي أمرني بالمشي خلفه تورعا من النظر إلي، من هذا علمت أمانته. والصالحون إذا كان عندهم البنات لا يهمهم إلا تزويجهن بالصالحين. شعيب مراده ومراد البنت غير واحد، البنت تريد راعيا لتستريح وشعيب يطلب صالحا ينكح ابنته ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ قدم النكاح لأنه أهم عنده ﴿عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ والصداق أن ترعى الغنم ثماني حجج ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ حتى رعيت لي عشرا ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ التمام من عندك ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشتراط العَشر، يُسن التسهيل للمصاهر ﴿سَتَجِدُنِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ قاله للتبرك ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ فرغت منه ﴿فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فتعاقدا انعقد النكاح بقيت البنت زوجة لموسى، والصداق الرعي ثماني حجج أو عشرا، سألوا أي الأجلين قضى موسى؟ أجاب الصحابي: إن موسى قضى أكمل الأجلين[1] هو الذي يليق بحاله وهو المفهوم من القصة وأنه ما رجع إلى مصر إلا بعد عشر سنوات، ومقصود شعيب عشر سنوات لكن يحب التخفيف على صهره ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ وهو ثمان أو عشر

---

1 – أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل. صحيح البخاري: كتاب الشهادات/ باب من أمر بإنجاز الوعد (2684). انفرد به البخاري

وفي تفسير الطبري روايات منها: عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سألت جبرائيل أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمهما وأكملهما. وعن محمد بن كعب القرظي قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أوفاهما وأتمهما. الطبري ج68/20.

سنين وهو المظنون ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُواْ إِنِّيَ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيَ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق ﴿أَوْ جِذْوَةٍ﴾ قطعة أو شعلة ﴿مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ نودي موسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ مباركة لموسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ النداء من الشجرة، شجرة عناب أو عليق أو عوسج[1] ﴿أَن يَّامُوسَىٰ إِنِّيَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ذهب موسى يطلب نارا فرأى نارا فإذا هي ليست بنار إنما هي الحضرة العليا، تجلت له في صفة حاجته التي هي النار فلما دنا تكلمت الشجرة «يا موسى إني أنا الله رب العالمين» نقرأ القرآن صريحا أن الله تكلم بهذا الكلام على لسان شجرة ونعجزه أن يتكلم بهذا الكلام على لسان إنسان؟ التوحيد على ثلاثة أقسام: توحيد العامة لا إله إلا هو، غائب في حقهم - نعوذ بالله - وتوحيد المريدين لا إله إلا أنت، وتوحيد الواصلين لا إله إلا أنا، إن قال الله في حق إنسان لا إله إلا أنا أو أنا الله ليس المتكلم ذلك الإنسان إنما الله الذي تكلم على لسان الشجرة هو المتكلم على لسان إنسان، قادر، فكيف نؤمن بكلام شجرة أنه من عند الله ولا نقبل كلام الله من لسان إنسان كامل سمع الكلام من الله تبارك وتعالى «إني أنا الله رب العالمين» ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ أمره بإلقاء العصا يريد أن يرجعه إلى الصحو "وما تلك بيمينك يا موسى" رده إلى الصحو فأمره بإلقاء العصا ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ هي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ وصف القرآن هذه الحية تارة «كأنها جان» والجان الصغير، وتارة "فإذا هي ثعبان مبين" هي ثعبان

1 - قاله جلال الدين المحلي. حاشية الصاوي ج216/3.

مبين ولكن سريع كالحية الصغيرة ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فر موسى ولم يرجع ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ فرجع آمنا ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برصٍ فأدخلها وأخرجها تضيئ كشعاع الشمس ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ هذا الخوف الذي عراك ضع جناحك على قلبك ﴿فَذَانِكَ﴾ العصا واليد ﴿بُرْهَانَانِ﴾ مرسلان ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو القبطي ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدًا﴾ معينا ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ إذا نطقت ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ غلبة ﴿فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء اذهبا ﴿بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِئَايَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ مختلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ وَقَالَ﴾ قال ﴿مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ العاقبة المحمودة في الدار الآخرة وهو أنا ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ تجبر فرعون حتى ادعى الألوهية ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ فأطبخ لي الآجر ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ قصرا عاليا ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ أنظر إليه، بنى قصرا ثلاثة أميال في السماء ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أظن أن موسى كاذب فيما يدعي أن هناك إلها غيري، ما أشد طغيان فرعون، قال «ما علمت لكم من إله غيري» هذا في بدايته وأخيرا قال "أنا ربكم الأعلى" وبين الكلمتين أربعون سنة[1] فأهلكه الله ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ

---

1 – ذكره القرطبي في تفسيره ج13/ 288.

وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يَرْجِعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر المالح فغرقوا، بحر القلزم كان في تلك البلدة فاندرست وهي الآن تسمى السويس ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك، محل غرق فرعون قريب من السويس، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزيا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين من رحمة الله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ أنوارا للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ لما كان موسى بالجانب الغربي وقت المناجاة ما كان محمد موجودا ولا حاضرا ﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك فتعلمه ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أمما بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي طالت أعمارهم فنسوا العهد واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولا وأوحينا إليك خبر موسى ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ كل هذا ما علمته إلا بتعليم الله تبارك وتعالى ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَكِنْ﴾ أرسلناك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الجانب الغربي هذا هو سبب كون اليهود يتخذون المغرب هو القبلة محل مناجاة موسى، ومن مناجاة موسى أنه تمنى أن يكون واحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قال يا رب رأيت في الألواح أمة رحمت بهم حتى أنّهم إذا انقرضوا قامت القيامة لئلا تطول أجسادهم في الأرض، قال: فتلك أمة أحمد. قال: يا رب رأيت في الألواح أمة يصلون خمس

صلوات فتكتب لهم ثواب خمسين صلاة، قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب رأيت في الألواح أمة يصومون شهرا واحدا فتكتب لهم صيام الدهر، قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب رأيت في الألواح أمة يعطون عشر أموالهم وتكتب لهم أنّهم أنفقوا جميع أموالهم. قال تلك أمة أحمد. قال: يا رب رأيت في الألواح أمة جعلت فيهم رجالا أناجيلهم في صدورهم أي مصاحفهم في صدورهم يحفظون القرآن ما حُفظ كتاب من كتب الله قبل القرآن. قال تلك أمة أحمد. قال: يا رب رأيت في الألواح أمة تسميهم الحمادين. قال تلك أمة أحمد. قال: يا رب كل هذا لأمة أحمد فاجعلني من أمة أحمد إذاً. قال: "خذ ما آتيتك وكن من الشاكرين"[1]. قال: إذاً

---

1 – أورد الطبري في تفسيره: عن قتادة قوله: أخذ الألواح قال: رب إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون: أي آخرون في الخلق، سابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها، وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظرا حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه قال قتادة: وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم قال: رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ثم يؤجرون عليها، وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه، بعث الله عليهم نارا فأكلتها، وإن ردت عليه تركت تأكلها الطير والسباع، قال: وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم، قال: رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون والمشفوع لهم، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام

أرني أمة محمد. قال: لم يوجدوا بعد. قال: أسمعني أصواتهم، قال: نادهم فنادى فسمع الأصوات من كل جانب أولئك أمة محمد. تمنى موسى أن يكون منا وعيسى سينزل واحدا منا وهما أعظم رجال أرسلهم الله تبارك وتعالى بعد محمد وإبراهيم ﴿وَلَوْلاَ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ﴾ هلا أرسلت ﴿إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُواْ﴾ فيه وفي محمد ﴿سَاحِرَانِ﴾ محمد وموسى ساحران أو القرآن والتوراة سحران ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُواْ إِنَّا بِكُلٍّ﴾ من النبيين والكتابين ﴿كَافِرُونَ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ آتوني بكتاب من عند الله أهدى من القرآن أتبعكم ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ لا أضل منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بيّنّا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أهل الكتاب قبل القرآن كعبد الله بن سلام وغيره من النصارى آمنوا بالقرآن ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُواْ ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن

نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد قال: فأعطي نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبي، قال الله: يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي قال: فرضي نبي الله. ثم أعطي الثانية: ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال: فرضي نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضا. تفسير الطبري: سورة الأعراف/ تفسير قوله تعالى "ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا". تقدم في الدرس 19.

رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ أهل الكتاب من آمن بالكتاب قبلنا وآمن بكتابنا فله أجران. ممن يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بالقرآن، وعبْدٌ أحسن عبادةَ الله وطاعة سيده، ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها وأعتقها وتزوجها، هؤلاء الذين يكتب لهم الأجر مرتين[1] «أولئك يؤتون أجرهم مرتين» ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وينفقون مما رزقناهم ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى ﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي متاركة سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ لا نصحبهم ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت هذه الآية في حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إيمان عمه أبي طالب. كان أبو طالب يحب النبي صلى الله عليه وسلم وحماه من كفار قريش مدة حياته، ومدحه ونصره وفعل له كل خير، فلما حانت وفاته دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا عم قل لا إله إلا الله محمد رسول الله كلمة واحدة أحاج بِها لك عند الله تبارك وتعالى. فقال: أنا أحبك وأحب كل ما تحب بيد أني أخشى أن يعيرك قريش أنت وإخوتك أن أباكم جزع عند الموت فلهذا نطق بالشهادة، لولا هذا لقلتها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: قلها، وأبو جهل وعبد الله بن أبي أمية جلوس حوله يقولون: مت على دين

---

1 – أخرج الشيخان عن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران. صحيح البخاري: كتاب العلم/ باب تعليم الرجل أمته وأهله (97)، وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس (219).

الأشياخ عبد المطلب وعبد مناف ذلك خير من هذا، حتى خرج النبي و لم يتكلم بالكلمة بعد ذلك جاءه العباس وقال له: نطق بالكلمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لم أسمعها، هذا هو الصحيح في إيمان أبي طالب[1]، منهم من يقول إنه آمن وإن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم بعثهما الله في حجة الوداع فآمنا وعبد المطلب، ولكن كل هذه الأحاديث ضعيفة[2]، والله قادر على ذلك، وكرامة النبي

---

1 – روى الشيخان في صحيحيهما عن ابن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل فقال: أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أنه عنه، فنزلت "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم" ونزلت "إنك لا تهدي من أحببت". صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب قصة أبي طالب (3884). صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع (35).

2 – أورد الإمام العجلوني في كشف الخفاء تعليقا على إحياء الله أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم وإيمانهما به بين فيه ضعف الأحاديث الواردة بذلك واختار الكف عن الخوض فيه إثباتا ونفيا وقال: وقد ألف في ذلك كثير من العلماء ومنهم الحافظ السيوطي فإنه ألف في ذلك مؤلفات عديدة منها مسالك الحنفا في إسلام والدي المصطفى. قال في المسلك الثالث منها إن الله أحيا له أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به. قال العجلوني: وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من حفاظ المحدثين وغيرهم منهم ابن شاهين والحافظ أبو بكر البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري وغيرهم واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين والخطيب البغدادي والدارقطني وابن عساكر بسند ضعيف عن عائشة قالت: (حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فنزل فمكث عني طويلا ثم عاد إلي وهو فرح متبسم فقلت له فقال ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحيها فأحياها فآمنت بي وردها الله) قال العجلوني: وهذا الحديث ضعيف باتفاق الحفاظ بل قيل إنه موضوع، لكن الصواب ضعفه. كشف الخفاء: حرف الهمزة مع الحاء المهملة (150).

صلى الله عليه وسلم تستحق أعظم من هذا، ولكن الصحيح أن أبا طالب مات و لم ينطق بالكلمة. سُئل الرسول صلى الله عليه وسلم: أبو طالب كان محسنا إليك أما ينفعه هذا شيئا؟ قال: بلى وجدته في قعر جهنم فأخرجته حتى خرج من النار وبقيت قدماه فقط على النار ويغلي منهما دماغه[1]. لما حرص النبي على إيمان أبي طالب و لم يقدر الله إيمانه نزلت هذه الآية «إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» هدايته ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَّشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم من حيث بشريته محبته لأبي طالب لم تنفع أبا طالب، لأنّها عاطفية فقط، طبيعية، وهو خليفة عن الله تبارك وتعالى، بهذا النظر ليس له أخ ولا قريب ولا قبيلة ولا جنس،

1 – أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب قصة أبي طالب (3885). صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب شفاعة النبي لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (310). وللبخاري كذلك: حدثنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب قصة أبي طالب (3883). قال ابن حجر في شرحه للحديث: (تنبيه): في سؤال العباس عن حال أبي طالب ما يدل على ضعف ما أخرجه ابن إسحاق من حديث ابن عباس بسند فيه من لم يسم "أن أبا طالب لما تقارب منه الموت بعد أن عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لا إله إلا الله فأبى، قال فنظر العباس إليه وهو يحرك شفتيه فأصغى إليه فقال: يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها" وهذا الحديث لو كان طريقه صحيحا لعارضه هذا الحديث الذي هو أصح منه فضلا عن أنه لا يصح. وروى أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن الجارود من حديث علي قال: "لما مات أبو طالب قلت: يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات، قال: اذهب فواره، قلت: إنه مات مشركا، فقال: اذهب فواره" الحديث. ووقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب ولا يثبت من ذلك شيء، وبالله التوفيق. وقد لخصت ذلك في ترجمة أبي طالب من كتاب الإصابة. اهـــ من فتح الباري (شرح الحديث رقم 3883) تقدم في الدرس 23.

بهذا النظر محبته تنفع فلهذا صلى الصبح وهو يقول في سجوده: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو أبي جهل بن هشام[1]. فأسلم عمر ذلك اليوم. النبي الذي هو خليفة عن الله جهته الباطنة لما أحب إسلام عمر أسلم عمر قهرا في ذلك اليوم، والنبي الذي هو مجرد إنسان من جنس البشر طبعه يدعوه إلى حب قرابته هذه المحبة ما نفعت أبا طالب. مازحه يوما سلمان الفارسي قال له: الحمد لله الذي لم يجعل الأمر بيدك يا رسول الله، لو كان الأمر بيدك لخصصت أبا طالب وأبا لهب بالموهبة ولكن هذا الطيب الذي جئت به وزُكم عنه بنو هاشم وقريش وأعمامك شمه صهيب وهو رومي وشمه سلمان وهو فارسي وشمه بلال وهو حبشي فأدركنا الخير وهم مزكومون عنه ﴿وَقَالُواْ﴾ قومه ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ ما أشد حماقة الكفار، الكفار يقولون للرسول ما منعنا من الإيمان بك إلا أننا نحن جميع قربائك إن أطعناك وتركنا الناس فسيحاربوننا ويخرجوننا من الأرض ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أما جعل الله مكة حرما آمنا يأمنون فيه من الإغارة والقتل ﴿تُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كل أوب ﴿رِزْقًا﴾ لهم ﴿مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أكبر نعمة أن جعل الله مكة حرما آمنا وتجبى إليه كل الثمرات، لا يخطر ببالك أي شيء في مكة إلا وجدته في السوق، ولكن أكثرهم لا يعلمون بدعوة إبراهيم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ عيشها ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ للمارة

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب قال وكان أحبهما إليه عمر) . سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب مناقب عمر بن الخطاب (3614). ورواه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة/ (5437). وقد تقدم في الدرس 21.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ يتمتعون بها ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ أَفَمَنْ وَّعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاَقِيهِ﴾ مصيبه وهو الجنة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُواْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ وَقِيلَ ادْعُواْ شُرَكَاءَكُمْ﴾ الأصنام ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لاَ يَتَسَاءلُونَ فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَعَسَى أَنْ يَّكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ إن الله تبارك وتعالى هو الخالق وهو المختار، يختار ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ العباد ليس لهم الاختيار، الاختيار لله تبارك وتعالى ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الاختيار له ليس لجبريل، وليس لميكائيل، وليس لإسرافيل، وليس لملك الموت، وليس لآدم، وليس لنوح، وليس لإبراهيم، وليس لموسى، وليس لعيسى، وليس لمحمد. لو كان لجبريل وميكائيل لاختارا هاروت وماروت، ولو كان لإسرافيل لاختار إبليس، ولو كان لملك الموت لاختار شداد، ولو كان لآدم لاختار قابيل، ولو كان لنوح لاختار كنعان، ولو كان لإبراهيم لاختار آزر، ولو كان لموسى لاختار فرعون أباه رباه أحسن إليه كثيرا، ولو كان لعيسى لاختار الحواريين، ولو كان لمحمد لاختار أبا طالب. ولكن الله يختار ما يشاء. أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله تبارك وتعالى خلق

السماوات السبع فاختار السابعة فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلائق جميعا فاختار منهم آدم هو خليفته، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم)[1] إن الله تبارك وتعالى له الاختيار. كان واحد من الصالحين يقول: عصيت الله فما طردني من الاختيار فعسى أن لا يطردني من الغفران[2]، إن الله تبارك وتعالى خلق جميع الأشياء واختار منهم العناصر الأربعة: الماء والتراب والنار والهواء. الماء لطهارتك، والتراب مسجدك، والنار طباخك، والهواء نسيمك تتنفس به، واختار من الملائكة أربعا، جبريل ملك وحيك هو الذي أتاك بِهذا الكتاب الذي تقرأ، وميكائيل خازن رزقك، وإسرافيل حافظ لوحك، وملك الموت قابض روحك. والله تبارك وتعالى اختار من الأوقات أربعة: المغرب والعشاء والسحر والصبح، المغرب وقت طعامك،

---

1 - أخرج مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ فضل نسب النبي (4221) وأخرج الحاكم عن ابن عمر أن الله تبارك وتعالى خلق السماوات، فاختار العليا، فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريش، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من بني هاشم، من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم". طرف من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمر. المستدرك: تتمة كتاب معرفة الصحابة / باب ذكر فضائل قريش (7031). كما رواه البيهقي في الدلائل بألفاظ مشابهة ج134/1. وقد تقدم في الدروس 23 و 26.

2 - عزاه في روح البيان ليحيى الرازي قال: إلهي علمك بعيوبي لم يمنعك عن اختياري فكيف يمنعك عن غفراني؟ روح البيان ج424/6.

والعشاء وقت مناجاتك قيامك لليل، والسحر وقت مناجاتك، والصبح وقت قراءتك للقرآن، «وربك يخلق ما يشاء ويختار». كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا الفاتحة، إذا عزم أحد على أمر يصلي ركعتين يقرأ بـ "الكافرون والإخلاص" أو آية «وربك يخلق ما يشاء ويختار» ويقرأ دعاء الاستخارة: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك إلى آخره[1] وإن تعجل فلا أقل من أن يقول: رب خر لي واختر لي[2]، رب خر لي واختر لي، إذا تعجلت عن صلاة الاستخارة فلا تقدم على شيء إلا إذا قلت رب خر لي واختر لي، «وربك يخلق ما يشاء ويختار» قال الصوفيون: إذا أردت أن تختار فاختر ألا تختار وفر من ذلك المختار وفر من الاختيار وفر من الفرار «وربك يخلق ما يشاء ويختار»[1]. ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء

---

1 – روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن إذا هم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته. صحيح البخاري: كتاب الدعوات/ باب الدعاء عند الاستخارة (6382). وقد تقدم في الدرس 13.

2 – أخرج الترمذي في سننه عن أبي بكر الصديق أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أمرا قال: اللهم خر لي واختر لي. سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ (3438).

1 – جاء في جواهر المعاني: ذكر مولانا الشيخ عبد السلام قال رضي الله عنه: لا تختر من أمرك شيئا واختر ألا تختار وفر من ذلك المختار ومن اختيارك ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله وربك يخلق ما يشاء ويختار. جواهر المعاني ج2/ 137.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سافر بعض الصحابة في سفينة بحر فوصلوا إلى جزيرة ووجدوا رجلا يعبد صنما وهو لا يأكل ولا يشرب في تلك الجزيرة دائما، فكلموه قالوا له: ويحك هذا لا ينفع ولا يضر، اعبد الله الذي خلقك وخلق السماوات والأرض وهو الذي يحيي ويميت، قال سبحان الله هذا العلم العظيم من أين جاء؟ قالوا: أرسل إلينا رسولا، إن الله بعث إلينا رسولا هو محمد صلى الله عليه وسلم، قال: وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشتاق إليه؟ قالوا لما بلغ ما أرسله الله به توفي إلى رحمة الله وبقي عندنا كتابه الذي أنزله الله عليه، قال: أين هذا الكتاب؟ قرأوا عليه شيئا من القرآن فتعلق بِهم فآمن بالله وصار يتعلم فرائضه ويسير معهم حتى وصلوا إلى بلدة، فلما وصلوا إلى تلك البلدة رأوا أنهم ينامون وهو لا ينام الليل، فاجتمع الصحابة وقالوا نجمع شيئا من المال نتركه لهذا الرجل ينفق على نفسه منه، فجمعوا شيئا من المال وأتوه به، قال: ما هذا؟ قالوا: شيء يعينك على نفقتك. قال سبحان الله أنتم دللتموني على طريق ما سلكتموها، أنا كنت في جزيرة أعبد غير الله لا أعلم الله وما ضيعني واليوم عرفته وأعبده ويضيعني؟ دللتموني على طريق ما سلكتموها وأنا لا حاجة لي في شيء إلا خالقي[1] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ لا، ﴿أَفَلاَ تَسْمَعُونَ﴾ قرن الضياء بالسماع مع أن تعلق البصر بالضياء أظهر، إلا أن الإنسان أشد انتفاعا بالسمع من باب الإيمان من البصر، لولا السمع ما آمن أحد، فلهذا يقدم السمع على البصر دائما، قوة السمع في توصيل الإيمان إلى قلب العبد أقوى من قوة البصر. فلهذا تجد الأعمى مؤمنا بالله تبارك وتعالى لأنه أدرك آيات الله بسمعه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ

---

1 – انظر روح البيان ج419/6.

إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطإ ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ في النهار بالكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيهم ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ﴾ في الإلهية ﴿لِلَّهِ وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الشركاء. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: تعلمون ما قالت أم سليمان لسليمان؟ قالت أم سليمان لسليمان يا ولدي إياك وكثرة النوم فإن كثرة النوم تورث الفقر يوم القيامة[1].

نَهارك بطـــال وليلك نائـــم كذلك في الدنيا تعيش البهائم[2]

الإنسان إذا كان النهار في أشغاله والليل نائما ضاع عمره كلا، عمره كعمر البهائم. ومن عاش مائة سنة ونام لياليه كلا كأنه ما عاش إلا خمسين سنة، ليس لك من عمرك إلا ما لله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى﴾ ابن عمه[1] وابن خالته[2] وآمن به ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ

---

1 – أخرج ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالت أم سليمان بن داود لسليمان يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا يوم القيامة. سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها/ باب ما جاء في قيام الليل (1322).

2 – هكذا أورده الثعالبي في تفسيره دون عزو، ج181/3.

1 – جاء في تفسير ابن كثير قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وسماك بن حرب، وقتادة، ومالك بن دينار وابن جريج وغيرهم أنه كان ابن عم موسى عليه السلام. تفسير ابن كثير ج399/3.

2 – ذكره القرطبي ج310/13.

أُولِي الْقُوَّةِ﴾ عشرة أو سبعون ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ﴾ قومه نصحوه نصيحة صادقة لكنه لم يسمع قالوا له لا تفرح بكثرة المال ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِنْ﴾ للناس ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ يعاقبهم ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِيَ﴾ في مقابلة علمي ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لعلمه تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ بأتباعه الكثيرين ركبانا متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ بما وعد الله ﴿وَيْلَكُمْ﴾ كلمة زجر ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مما أوتي قارون ﴿وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ هلك قارون لأنه حسد موسى فصار يتكبر بكثرة ماله، وإذا أمر موسى بأمر صار ينتقد على موسى عند قومه حتى أوجب موسى الزكاة، فجمع قومه قال لهم: موسى هذا اتبعتموه والآن يسألكم جزء من مالكم، إذا تبعتموه سيأخذ مالكم جميعا، قالوا له: أنت سيدنا والرأي رأيك، قال: أنا الرأي عندي أن نقذف موسى، نرميه بفاحشة تسقط مرتبته عند الناس فيصير لا يسمع أحد كلامه فنستريح من أمره، قالوا أنت سيدنا وصاحب رأينا. وكان هنالك باغية حملت من فاحشة فدعاها قارون وقال لها: أعطيك صاعا من ذهب وتقولين إن الحمل من موسى وبعد هذا سأتزوجك ويكون لك نصف

مالي ولك كذا وكذا، فقبلتْ. قال لموسى: بنو إسرائيل لهم حاجة إليك، اجعل لنا موعدا، فجعل لهم موعدا واجتمعوا فصار موسى يعظهم على عادته ويذكرهم حتى قال: من زنى وهو غير محصن جلدته، ومن زنى وهو محصن رجمته، قال: حتى أنت؟ قال: حتى أنا. قال: إن بني إسرائيل يقولون كلاما. قال: ماهو الكلام؟ قال للمرأة: قُومي، فوقفت المرأة، فقال لها موسى: تكلمي، قالت: أنا دفع لي قارون صاعا من ذهب وقال لي أني أقذفك بحملي، ولكن أنا معصيتي تكفيني عيبا عند الله تبارك وتعالى، لا أقذف بِها نبي الله، الحمل ليس من موسى كما قال هذا. فغضب موسى غضبا حتى خرج شعره خارج لباسه، فسقط ساجدا فقال: يا رب تغضب لي تغضب لي، فقال الله: الأرض مطيعة لك في أمرك، فقام موسى فقال: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان مع قارون فليكن مع قارون ومن لم يرد أن يكون مع قارون فليعتزله، فتفرق الناس جميعا ما بقي مع قارون إلا شخصان. فقال: يا أرض خذيه، فأخذته الأرض حتى غابت كعباه فتضرع إلى الله وتوسل بالقرابة وقال يا موسى اسمح لي، فقال: يا أرض خذيه، فأخذته الأرض إلى ركبتيه، يا أرض خذيه فأخذته إلى صلبه، يا أرض خذيه فأخذته إلى صدره، يا أرض خذيه فابتلعته الأرض هو وصاحباه، فلا زال يتجلجل في الأرض لا يصل إلى قعر سبع أرضين إلا يوم القيامة يقف ويحاسب ويدخل النار، هذا عاقبة قارون[1] «فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ» ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ﴾ يوسع

---

1 – قصة قارون وأخذ الأرض إياه لا يبلغ إلى أسفلها إلا يوم القيامة، مفصلة في تفسير القرطبي ج13/310 - 311.

﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخُسِفَ بِنَا﴾ كما خسف بقارون ﴿وَيْ﴾ عجب ﴿كَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول عمر: الفساد لا نريده، أما العلو ففي نفس عمر منه شيء ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ بسببها ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾ نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر، نزلت عليه بالجحفة ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ مكة وكان قد اشتاقها ﴿قُل رَّبِّيَ أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ وَمَا كُنتَ تَرْجُواْ أَنْ يُّلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ إلا إياه ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في الخلائق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ «لَهُ الْحُكْمُ» هذه الشريعة، «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» هذه الحقيقة. صدق الله العظيم. اللهم صل على سيدنا محمد.

الدرس التاسع والثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر

ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

سورة العنكبوت

مكية وهي تسع وستون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا أصح ما يقال في تفسير هذه الحروف، أو "ألف" ابتلاؤه، "لام" لطفه، "ميم" مجده. الله تبارك وتعالى ابتلاؤه للعبد يخرجه من رق الأغيار ويطهر باطنه فيقوم بأعمال صالحة تقربه إلى الله تبارك وتعالى وذلك لطف الله تبارك وتعالى حتى يتحقق بأن ما سوى الله غير موجود، ويتحقق بمجده ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُواْ أَنْ يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ سبب نزولها أن المشركين كانوا يوذونَ المسلمين في بداية أمرهم أشد الإذاية، كل من آمن بالله تسلطوا عليه بأخذ ماله وضربه وتمزيق ملابسه وسبه، وكل أنواع الإذاية، فشكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم" (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما

يصده ذلك عن دينه، والله لَيتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)[1]. ولما اشتدت إذايتهم أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، تلك الهجرة الأولى. خاطبهم الحق تبارك وتعالى - المسلمون يظنون أنّهم يقبلهم الله بقولهم آمنا فقط و لم يختبرهم حتى يتبين حقيقة إيمانِهم - وتلك عادة الله تبارك وتعالى (أشد الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى المرء على حسب دينه)[2]، وذلك لحكمة أن الإنسان يميل إلى الأكوان وإلى جنسه وإلى قربائه من الناس وإلى أهاليه يحبهم طبعا، فيركن إليهم فتصدر

---

[1] - أخرج البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله لَيتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون). كتاب الإكراه/ باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (6943). وفي كتاب المناقب/ باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة (3852).

= وذكره البخاري أيضا من حديث عدي - وهو حديث طويل - ومنه: (... قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله) الحديث. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام (3595). تقدم في الدرس 6.

[2] - (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة). سنن الترمذي: كتاب الزهد/ باب ما جاء في الصبر على البلاء (2322) وفي سنن ابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص كتاب الفتن/ باب الصبر على البلاء (4013) وهو عند البخاري في صحيحه ترجمة باب من كتاب المرضى بلفظ باب: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. وقد تقدم في الدرس 10.

الإذاية، فإذا صدرت منهم الإذاية فر بقلبه إلى الله تبارك وتعالى، فترى العبد إذا سلك طريق الحق يجد الإذاية من كل أحد لاسيما من الطرف القريب منه، حتى من أهليه، حتى من أدنى أقربائه، وذلك ليحرره الله تبارك وتعالى فيبقى عبدا لله تبارك وتعالى، فإذا كمل انصرفوا عن ذلك شيئا فشيئا فيعود إليهم لينفعهم. البلاء للولي كاللهب للذهب يصفيه، فلهذا ابتلى خواص عباده وهذا يميزهم من غيرهم، يجري ما يجري فهم راضون بما فعل الجليل. يخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه تبارك وتعالى هو المبتلِي. فالذي واجهتك منه الإذاية هو الذي واجهتك منه العناية. لله ما أعطى وله ما أخذ، فالعبد يرضى بأفعال خالقه تبارك وتعالى ولا يمنعه ذلك من الاضطرار إليه والافتقار إليه والتوجه إليه وطلب السلامة منه، إنما يظهر الصبر والتجلد للخلق، لا للرب تبارك وتعالى، فهو ضعيف محتاج إلى ربه. كان مسلم من أكابر الأولياء يقول إن الله تبارك وتعالى إذا ابتلاه كيف شاء فهو يصبر على كل بلاء صدر من الله تبارك وتعالى، فابتلاه الحق بحبس البول مدة أيام فخرج إلى السكة يقول للصبيان هلموا فنادوا عمكم الكذاب تضرع إلى الله تبارك وتعالى فكشف عنه ما به[1]. فالعبد لا يظهر التجلد لخالقه ولكن يظهره للخلق ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم علم المشاهدة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ بالابتلاء، يتبين الصادقون من الكاذبين. هذا هو الحكمة في الابتلاء ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشرك والمعاصي ﴿أَنْ يَّسْبِقُونَا﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم ﴿سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾ إن حكموا بهذا الحكم فبئس حكمهم، لا يفوتون الله تبارك وتعالى بأي حال من الأحوال ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ

---

1 – ذكره في روح البيان ج227/4.

اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ ءلَاتٍ﴾ فليستعد له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم ﴿وَمَن جَاهَدَ﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ فإن منفعة جهاده له لا لله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم، استغنى الله بذاته الكاملة حتى عن صفاته حتى عن أفعاله، لشدة استغنائه استغنى عن نفسه، لأنه ما ثم شيء يحتاج إليه، ما ثم شيء تكميل أو شيء يحتاج إليه فهو غني عن ذاته وعن صفاته فمن باب أولى الإنس والجن والملائكة. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد لما زاد ذلك من عزة الله شيئا، ولو كانوا على أفجر قلب رجل لما نقص ذلك من ملكه شيئا)[1]. إن الله خلق الخلق ليربحوا منه لا ليربح منهم، فهم الذين يحتاجون إليه يفتقرون إليه، وهو في غاية الغنى عنهم ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ بعمل الصالحات "إن الحسنات

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: <<يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه>> صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم (4674). وقد تقدم في الدرس26.

يذهبن السيئات" ولهذا العبد إذا عمل سيئة ينبغي أن يتبعها بحسنة، فالحسنة تكفر السيئات ﴿وَلَنجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ هذه الآية والتي في سورة لقمان[1] نزلتا في سعد بن أبي وقاص آمن من أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث البخاري: أعرف نفسي وأنا ثلث الإسلام[2] يعني أنه أسلم ثالثا، فلما أسلم وسمعت أمه حمنة بإسلامه جلست في الشمس وآلت أن لا تستظل ولا تأكل ولا تشرب حتى يرتد سعد عن دينه حتى أغمي عليها، فدعوا سعدا فجاء وصب عليها الماء حتى أفاقت قال لها: اسمعي يا أماه لو كانت عندك مائة نفس فأخذت نفسا نفسا حتى تموتي مائة مرة ما رجعت عن ديني فكلي واشربي إن شئت أو موتي، فلما رأت ذلك أكلت وشربت وذهبت إلى الظل، قال الله تبارك وتعالى «ووصينا الإنسان بوالديه حسنا»[3] إيصاء ذا حسن بأن يبرهما، بر الوالدين أَمَر الله تبارك وتعالى به

---

1 – وهي قوله تعالى "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما.." الآية 15 من سورة لقمان وسيأتي ذكرها في نهاية هذا الدرس.

2 – عن عامر بن سعد عن أبيه قال: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب سعد بن أبي وقاص (3726).

3 – أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا، قال مكثت ثلاثا حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك على أن تشرك بي وفيها وصاحبهما في الدنيا معروفا... الحديث. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب في فضل سعد بن أبي وقاص(4432). قال القرطبي: وروي عن سعد أنه قال كنت بارا بأمي فأسلمتُ، فقالت: لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي، ويقال يا قاتل أمه، وبقيت يوما ويوما فقلت: يا أماه، لو كانت لك مائة نفس، فخرجتْ نفسا نفسا ما تركتُ ديني هذا، فإن شئت فكلي، وإن

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع ﴿فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به. بر الوالدين واجب ولو كانا كافرين. ينفق عليهما ويتأدب معهما ويتواضع لهما، وإذا كان الوالد يذهب إلى الكنيسة لا يجب على الولد أن يحمله إلى الكنيسة، وإذا أراد الرجوع من الكنيسة يجب على الولد أن يحمله إلى منزله، أما ما يجر إلى معصية فهذا لا يجب على الولد، وكل ما ليس بمعصية فيجب بر الوالدين به (...)[1] ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُولُ ءامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ أذاهم ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في الخوف فيطيعهم فينافق لهم ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ المنافقون ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان فأشركونا في الغنيمة قال تعالى ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ بلى. ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ يعلم الله المؤمنين حقا علم وجود، علم الله متعلق بالمعدوم والموجود. إذا كان الشيء معدوما فهو في علم الله، وعلمه الشيء وهو في العدم غير علمه الشيء وهو موجود. فهو عِلم حقيقة الصادقين والمنافقين من الأزل إلى الأبد، ولكن إذا ابتلى وأظهر الصدق فظهر الصدق موجودا علمه الحق موجودا أي علم ظهور للناس، علم إيجاد حتى يظهر للناس أن هذا صادق وهذا منافق ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ قال الوليد بن المغيرة إن من أراد أن يكفر بالنبي

شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت ونزلت: "وإن جاهداك لتشرك بي". الجامع لأحكام القرآن ج13/328.

1 – هنا سأل أحد الحاضرين عن الجد فأجاب الشيخ [الجد أبو الأب بمنزلة الأب]

فليكفر بالنبي وعليه هو ذنب ذلك[1] ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ هذا كذب ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزارهم ﴿وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ بقولهم للمؤمنين «اتبعوا سبيلنا» وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ قال تبارك وتعالى "ولا تزر وازرة وزر أخرى" وقال هنا «وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم» كأنّ بين الآيتين تناقضا وليس ثم تناقض، إن من لم يكسب وزرا ولم يدع إليه ولم يتسبب فيه فلا يؤاخذه الله بذلك الذنب ولو عمله أقرب الناس إليه ولدا أو أبا مثلا، وأما من أضل أحدا وسبب له أن يعمل إثما فذلك شارك في الإثم فسيحمل الوزر كما يحمله الفاعل، هذا معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بِها إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجره شيئا، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بِها إلى يوم القيامة)[2] هؤلاء تسببوا في هذه الأثقال فلهذا شاركوا فيها. والذين برأهم الله تبارك وتعالى هم الذين لم يتسببوا، ما أضلوهم ولا دعوهم إلى ذلك، «وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ» يكذبون على الله، سؤال توبيخ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ أول الأنبياء ولد بعد نزول آدم بألف وثمانمائة وخمس وأربعين سنة، فنبئ بعد أربعين سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين

---

1 – قال ابن جزي في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل نقلا عن المهدوي: روي أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة. التسهيل ج3/ 114 وكذلك أورده القرطبي ج331/13.

2 – (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) طرف من حديث أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله. صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة (1691). تقدم في الدرس17 عن ابن ماجه والترمذي.

عاما فأخذهم الطوفان فعاش بعد الطوفان ستين سنة «ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه» وعمره أربعون سنة ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾ ذكر ألفا واستثنى خمسين عاما لتقف على حقيقة العدد، لو لم يذكر ألفا لما تنبهت لكثرة هذا العدد، فقال «ألف سنة إلا خمسين عاما» معناه تسعمائة وخمسون سنة. السنة للشدة والعام للخير[1]، تلك المدة كلا شدة على نوح لأنه يدعوهم فيوذونه ويريدون قتله حتى هلكوا بالطوفان، فعاش بعد الطوفان ستين سنة في أرفه عيش وأهنئه فلهذا قال ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ تلك الأعوام التي عاش بعدهم هي أعوام طيبة عليه ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ وبين نوح وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف وتسعمائة وخمسون سنة ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ الذين كانوا معه ﴿وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً﴾ عبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس الذين ركبوا معه في السفينة وعلى أنّهم ثمانون أربعون رجلا وأربعون امرأة فكلهم عقموا بعد الطوفان ولم ينجب بعد الطوفان إلا ثلاثة أولاد لنوح منهم نشأ الخلق، فلهذا يقال له آدم الثاني ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير وغيره ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تقولون كذبا ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَابْتَغُواْ عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ اطلبوه منه تبارك وتعالى ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الدنيا والآخرة لله تبارك وتعالى فمن أراد شيئا منهما فليطع الله تبارك وتعالى ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ تكذبوني يا أهل مكة

---

1 – قاله في روح المعاني ج20/143.

﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ الإبلاغ البين. في هاتين القصتين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى في قومه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ ينظروا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ يخلقهم ابتداء، الخلق الإيجادي غير سابق يقال له الإبداع، والبعث بعد الموت هو الإعادة. إن الله هو الذي أبدأ الخلق ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يبعثهم بعد الموت ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يسير على الله تبارك وتعالى فكيف ينكرون الثاني والأول أصعب؟ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ من كان قبلكم وأماتهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه البدء والإعادة ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَّشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿مِنْ وَّلِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾ ينصركم من عذابه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ القرآن والبعث ﴿أُوْلَئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ جنتي ﴿وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم. قال تعالى في قصة إبراهيم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ لما دعاهم إبراهيم إلى التوحيد كان جوابُهم هو هذا: اقتلوا إبراهيم أو حرقوه بالنار ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه بردا وسلاما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إنجائه منها ﴿لَآيَاتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانَها في زمن يسير ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنّهم المنتفعون بها ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونَها ﴿مَوَدَّةَ بَيْنَكُمْ﴾ كلما أحب أحد حجارة أو شجرة أو خشبة أو معدنا جعلها ربا فقط، كأنّهم يعبدون محبتهم، ما أحبوا ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ

بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأْوَاكُمْ﴾ مصيركم جميعا ﴿النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ مانعين منها ﴿فَآمَنَ﴾ صدق ﴿لَهُ لُوطٌ﴾ لما دعا إبراهيم قومه آمن ابن أخيه هاران هو لوط ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَى رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني ربي وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه. خرج إبراهيم من العراق إلى الشام وقال إنه ذاهب إلى ربه لأنه ذاهب إلى طلب مرضاته والتقرب إليه. الله ليس له مكان ولا زمان فمن تقرب إليه فهو ذاهب إليه (..وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..الحديث)[1] (..إن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)[2] إذاً من توجه إلى الله تبارك وتعالى فهو ذاهب إلى الله حيث كان، إبراهيم سافر إلى الله تبارك وتعالى وهو يقصد أرض الشام «إنه هو

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب التواضع (6502). تقدم في الدروس 8، 14، 20، 34.

2 - ورد في صحيح البخاري بلفظ: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى "ويحذركم الله نفسه" (7405)، ولمسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب الحث على ذكر الله تعالى (4832). وقد تقدم في الدروس 5، 6، 11، 18، 20 و21.

العزيز» في ملكه «الحكيم» في صنعه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبوءَةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته. إبراهيم أعطاه الله إسماعيل وإسحاق، إسماعيل أبو العرب، وإسحاق أبو يعقوب، ويعقوب هو إسرائيل والد بني إسرائيل كلا ﴿وَالْكِتَابَ﴾ كل الكتب المنزلة نزلت في ذرية إبراهيم: التوراة على موسى بن عمران من ذرية إبراهيم، والإنجيل على عيسى بن مريم من ذرية إبراهيم لأن مريم من ذرية إبراهيم، والزبور على داود من ذرية إبراهيم، والفرقان على محمد من ذرية إبراهيم. الكتب المنزلة كلا نزلت على ذرية إبراهيم ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن، هم أول من أتوا تلك الفاحشة ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ وكانوا يعملون أعمالا سيئة غير اللواط أيضا، كانوا يقطعون السبيل على المارة ليفعلوا بهم الفواحش ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ كانوا إذا جلسوا في ناديهم إذا مر ضيف عملوا به الفاحشة، وإن لم يجدوا ضيفا اشتغلوا بأنفسهم، وإذا تم ذلك يبقون يتضارطون[1] ويقذفون في الهواء ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في استقباح ذلك ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ العاصين فاستجاب الله دعاءه ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ أتى الملائكة وبشروا إبراهيم بإسحاق ويعقوب ﴿قَالُواْ إِنَّا

---

1 – قال القرطبي عند قوله تعالى "وتأتون في ناديكم المنكر" ضمن أقوال: قالت عائشة وابن عباس والقاسم بن أبي محمد إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم. القرطبي ج342/13. ونقله كذلك الطبري عن عروة بن الزبير عن عائشة، الطبري ج145/20.

مُهْلِكُواْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ الملائكة أخبروا إبراهيم أنَّهم سيُهلِكون أهل قرية قوم لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ كان إبراهيم يجادلهم وقصده أن يشفع في قوم لوط، قال لهم أنتم تُهلكون بلدا فيه ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: هل تُهلكون بلدا فيه أربعون مؤمنا؟ قالوا: لا، قال: عشرة؟ قالوا: لا، قال: ثلاثة؟ قالوا: لا، قال: واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطا[1]، قال: إذاً البلد فيه لوط وهو مؤمن. ولكن سلطان الألوهية إذا أراد أمرا فلا يرده شيء لا الخليل ولا الكليم ولا الحبيب، لما أراد أن يهلك قوم لوط وأراد إبراهيم أن يتعرض لذلك قيل له "يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك"، كان العرب الجاهليون يحاربون موسى وهو نبي الله وهم كفار ولكن فيهم كنانة جد النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يدعو عليهم بالهلاك فنهي عن الدعوة عليهم، لأن فيهم قريشا الذين فيهم جد النبي صلى الله عليه وسلم[2]. والرسول صلى الله عليه وسلم لما أوعد الله أمته بنزول العذاب من السماء أو من تحت الأرض استعاذ بالله لأمته فقال "ويذيق بعضكم بأس بعض" فقال: أعوذ بوجهك[3] فقال: جرى القلم على

---

1 - محاورة إبراهيم والملائكة في شأن لوط نقلها ابن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير ج453/2. وفي الجلالين راجع حاشية الصاوي على الجلالين ج223/2. وقد تقدم ذكرها في الدرس 25.

2 - جاء في الجامع الكبير للسيوطي: لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلا وقعوا على عسكر موسى فانتهبوه فدعا عليهم موسى فقال: يا رب هؤلاء ولد معد قد أغاروا على عسكري فأوحى الله إليه يا موسى لا تدع عليهم فإن منهم النبي الأمي.. الحديث. الجامع الكبير ج657/1. وقد تقدم في الدرس 16.

3 - جاء في صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية "قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بوجهك) قال "أو من تحت أرجلكم" قال: (أعوذ بوجهك) "أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذلك. الخلاف الذي يقع في الأمة والقتال طلب النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يقع ولكن سلطان الألوهية ما ساعد في ذلك. «قال إن فيها لوطا» ﴿قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ لوط سينجو ﴿وَأَهْلَهُ﴾ كل من تبعه ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ واهلة ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ هما زوجتا نبي كل منهما كافرة: واعلة بالعين زوجة نوح كافرة، وواهلة بالهاء زوجة لوط[1] أيضا كافرة «كانت من الغابرين» الباقين في العذاب ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، الله يتجلى كيف شاء، التجلي واحد. ولكنه جاء بشرى لإبراهيم وحزنا للوط. الملائكة نزلوا بإبراهيم فأتاه البشرى، ولما أتوا للوط سيء بهم، مظهر التجلي واحد، هذا تجلى له الجمال وهذا تجلى له الجلال، أتوا لإبراهيم فاستبشر بِهم، وأتوا للوط فحزن بِهم «وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ» حزن بسببهم «وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا» ﴿وَقَالُواْ لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذابا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم ﴿وَلَقَد تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة هي آثار خرابها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ مدين اسم قرية سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم. إبراهيم له أربعة أولاد ذكور: إسماعيل من جاريته هاجر، وإسحاق من زوجته الحرة سارة، ومدين من زوجة أخرى،

(هذا أهون أو هذا أيسر). صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب قوله: "قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا (4628) وقد تقدم في الدرس 16.

1 – ذكرهما البغوي في تفسيره ج368/4

ومدائن[1]. ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَارْجُواْ الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ اخشوه هو يوم القيامة ﴿وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ إهلاكهم ﴿مِن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ بالحجر بين اليمن والحجاز، آثار ديارهم موجودة إلى يومنا هذا ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر ﴿وَقَارُونَ﴾ أهلك الله قارون ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ قبله ﴿وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ من قبل ﴿مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَابِقِينَ﴾ فائتين عذابنا ﴿فَكُلاًّ﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ أهلكهم الله بذنوبهم ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحا عاصفة فيها حصباء كقوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ في البحر كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أصناما ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ عبادة الأوثان ليس فيها أي نفع يرجى «كمثل العنكبوت» ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ أضعف البيوت ﴿لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ لا يدفع حرا ولا بردا كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ولا تضر من لم يعبدها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ الله تبارك وتعالى يعلم أن عابد غير الله لم يعبد شيئا

---

1 - أولاد إبراهيم الأربعة إسماعيل وإسحاق ومدين ومدائن ذكرهم القرطبي في تفسيره نقلا عن السهيلي، ج96/2.

﴿وَهْوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ تلك الأمثال ضربها الله وما يعقلها إلا العالمون، لم يقل وما يعلمها إلا العاقلون، لأن الناس متفاوتون منهم غير عقلاء، ومنهم عقلاء غير علماء ومنهم العقلاء العلماء. وكل عالم عاقل وليس كل عاقل عالما، فعلى هذا قال: «وما يعقلها إلا العالمون» العالمون هم الذين يتدبرون في آيات الله ويرجعون إلى الله تبارك وتعالى فينتفعون وينفعون غيرهم ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ محقا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دلالة على قدرته ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوا بالذكر لأنّهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين. آيات الله تبارك وتعالى ولو عظمت لا تعظم إلا عند المؤمنين بها وهم المنتفعون بها ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ شرعا أي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من غيره من الطاعات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيجازيكم به. أمر الله تبارك وتعالى بإقام الصلاة والصلاة نص القرآن أنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر. كان شاب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يتقن صلاته ولا يترك شيئا من محارم الله إلا أتاه فأُخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف إحسانه لصلاته؟ قيل له هو محسن لصلاته، قال: إن صلاته ستنهاه عن الفحشاء، وبعد زمن أقلع عما كان عليه واستقام دينه[1]. ويقول النبي

---

1 ـ أخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال: إنه سينهاه ما يقول. مسند أحمد: مسند المكثرين/ (9402). وورد في مجمع الزوائد للهيثمي برواية البزار بسند رجاله ثقات عن جابر قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن فلانا يصلي فإذا أصبح سرق. قال: سينهاه ما يقول. كتاب الصلاة/ باب صلاة الليل تنهى عن الفحشاء (3556).

صلى الله عليه وسلم: (من لم تنهه صلاته عن ارتكاب الكبائر فليس لله من حاجة في صلاته)[1] كان واحد من الصالحين عنده زوجة صالحة فأتاها فاسق فراودها عن نفسها فقالت له نعم ولكن حتى تعطيني مطلبا، قال لها: كل ما تريدين أعطيه لك، قالت: صل مع زوجي أربعين يوما فقط، لا تفوتك مكتوبة خلفه مدة أربعين يوما، وبعد ذلك ارجع إلي فلك ما تريد، فشمر ولازم الصالح لا يفارقه ليلا ولا نهارا كلما دخل الوقت توضأ وصلى مع الصالح، في أثناء تلك المدة تعرضت له المرأة فقال لها: لا حاجة لي في ذلك «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»، والصلاة هي أفضل ما شرع الله تبارك وتعالى، والصلاة من الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد، وأول ما ينظر فيه يوم القيامة الصلاة[2] ولا سيما الصلاة في الجماعة «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر» ذكر الله أكبر من غيره من جميع الطاعات، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ألا أدلكم على أفضل أعمالكم

---

1 – عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا) للطبراني في الكبير. مجمع الزوائد للهيثمي: باب فيمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء (7553). وجاء في تفسير ابن كثير عن عمران بن حصين قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" قال : (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له). ابن كثير ج3 /415.

2 – روى حريث بن قبيصة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك). سنن الترمذي: كتاب الصلاة/ باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة (378). وفي سنن النسائي: كتاب الصلاة / باب المحاسبة على الصلاة (461). وقد تقدم في الدرس 30.

وأزكاها عند الله تبارك وتعالى وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا العدو تضربون رقابَهم ويضربون رقابكم؟ ذكر الله تبارك وتعالى[1]. لو مشى أحد من مغرب الشمس إلى مشرقها ينفق الذهب والفضة يمينا وشمالا، وذهب أحد من مشرق الشمس إلى مغربها يضرب بسيفه يمينا وشمالا لكان أفضلهم مَن ذَكر الله تبارك وتعالى «ولذكر الله أكبر» إذاً ذكر الله أكبر من كل عبادة هذا تأويل، ولذكر الله لكم أكبر من ذكركم له[2]، أنا جليس من ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير من ملئه[3]. إذاً ذكر الله

---

[1] - روى الترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى). سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ (3299). سنن ابن ماجه: كتاب الأدب/ باب فضل الذكر (3780).

[2] - قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم أخبرنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال: قال لي ابن عباس هل تدري ما قوله تعالى "ولذكر الله أكبر" قال قلت: نعم، قال: فما هو؟ قلت: التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك. قال: لقد قلت قولا عجيبا ما هو كذلك، ولكنه إنما يقول ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه. وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وروي أيضا عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان الفارسي وغيرهم واختاره ابن جرير. ابن كثير ج416/3.

[3] - جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة. صحيح البخاري: كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى: "ويحذركم الله نفسه" (7405). صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب الحث على ذكر الله (4832). تقدم في هذا الدرس.

أكبر من ذكر العبد. وذكر الله للعبد هو السبب في ذكر العبد لله، ما يمكن للعبد أن يذكر الله إلا إذا كان مذكورا عند الله تبارك وتعالى. وأدنى مراتب الذكر ذكر اللسان، فإذا استمر على الذكر باللسان وصل إلى الذكر مع التفكر بالقلب، وإذا استمر على ذلك وصل إلى الذكر مع الغيبة عما سواه، وإذا استمر على ذلك وصل إلى حالة يكون الذكر والذاكر والمذكور واحدا، فهنالك تجد أن ذكر الله أكبر «والله يعلم ما تصنعون» فيجازيكم به. فلا بد من ذكر الله تبارك وتعالى. الذكر مفتاح الولاية ولابد من صحبة أهل الله تبارك وتعالى والإقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم. ونحن في زمان الآن المناصب الدينية جعلت إرثا، وتجد من لا يعلم شيئا ولم يسلك طريقا قط يتزعم المشيخة ويقول أبي فلان أو جدي فلان. كان واحد من الصالحين مات فأرادوا خليفة عنه فقام رجل قال: أنا أولى بخلافته لأني لازمته أربعين سنة ما فارقته قط قالوا نحن نريد علما وعملا. من يعلم العلم ويستقيم نقتدي بعمله لا نريد مجرد المصاحبة. قال طول الصحبة مع الشيخ دليل على أني مستحق للخلافة، قالوا له: نعم، هذه بغلة الشيخ رأيناه يركبها مدة أربعين سنة وإلى الآن هي بغلة فقط، لا نريد هذا إنما نريد العلم والعمل. وهذا هو الحق الرجل صاحب الرجل أربعين سنة ولكن معه البغلة كذلك أربعين سنة، والبغلة بقيت بغلة فقط كذلك الرجل بقي كحاله.

﴿وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ نزلت هذه الآية في مجادلة بعض المسلمين الكفار «وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ» ﴿إِلاَّ بِالَّتِي﴾ إلا بالمجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُواْ﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء بما في كتبهم ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾

كانوا ربما يقولون لهم شيئا فيكذبُهم المسلمون فيقولون: هذا في كتاب الله أنتم تكذبون التوراة، نَهاهم الله عن ذلك «قُولُواْ ءامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ» ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم لأنَّهم ربما زادوا في التوراة وربما نقصوا، إذا إن صدقتموهم وذلك ليس من عند الله فهذا كذب أو كذبتم شيئا أتى من عند الله فهذا مزلة قدم، إذاً «قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم» ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم[1] ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن، كما أنزلنا إليهم التوراة أنزلنا إليك القرآن ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنْ هَؤُلاَءِ﴾ أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ﴾ ما كفر بالقرآن إلا من جحد فقط، الجاحد هو الذي ينكر الحق بعد قيام الدلائل، ظهرت عندهم الدلائل أن القرآن حق، والجائي به محق، ولكن جحدوا تعنتا فقط ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم نشأ أميا حتى بلغ أربعين سنة ما قرأ حرفا ولا كتب ولا قرأ كتابا ﴿وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ لا تعرف الكتابة لو كنت تكتب بيمينك لاتُّهِمت بأنك نقلت القرآن من كتب قبلك، ولكن النبي لا يقرأ ولا يكتب لو كان ذلك ﴿إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة إنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ﴿بَلْ هُوَ﴾ القرآن الذي جئت به ﴿ءايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ المؤمنين يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾ وقد ذكر

---

[1] - روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا (4485).

التوراةُ وذكر الإنجيلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، هذه آية في الإنجيل قال: أناْ أذهب وسيأتيكم البارقليط[1]، البارقليط في لغة الإنجيل معناه روح الحق أو معناه محمد، هذا اسم نبينا في الإنجيل، يقول عيسى أنا أذهب وسيأتيكم البارقليط الذي لا يتكلم إلا بما قيل له، ولا يفعل إلا ما قيل له، وسوف يحدثكم بالأخبار والغيوب، وسوف يصدقني كما أصدقه، وسوف يبين لكم[2]. وقال في محل آخر: سيأتي البارقليط ولو حضرت عنده لغسلت قدميه أو لَاسْتحق أن أغسل له قدميه، وهم يقرأون هذا إلى يومنا هذا، هذه الآية في الإنجيل ومع ذلك ما آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم حسدا. هذا هو الكفر جحودا. ومن معنى الآية التي في الإنجيل: لا يتكلم إلا بما يسمع. النبي صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، لا يأتي بشيء إلا بشيء أتى به الوحي وسيخبركم بالحوادث والغيوب. الحوادث ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الملاحم التي تقع بعده وما يقع في أمته، وعلامات الساعة التي ذكر: نزول عيسى والدجال والدابة. هذه الحوادث التي أخبر بِها صلى الله عليه وسلم كما قال في الإنجيل. والغيوب هو ذكر أمر الآخرة، فالقرآن هو أول كتاب يخبر عن أحوال الآخرة، ليس في التوراة وليس في الإنجيل وليس في الزبور ذكر شيء من أحوال الآخرة. أول من عرف أحوال الآخرة هذه الأمة لأن القرآن ذكر لنا الموت وما بعد الموت إلى دخول الجنة أو النار، هذه هي الغيوب التي إذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بها، أمر الآخرة، وسيبين لكم،

---

1 – قال القاضي عياض في الشفا: ومن أسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الإنجيل، وقال ثعلب: البارقليط هو الذي يفرق بين الحق والباطل. الشفا ج234/1

2 – انظره في روح البيان ج482/6.

أنا آتيكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل[1]. الإنجيل أمثال فقط والقرآن هو الذي بين كل شيء في التوراة والإنجيل. والنبي صلى الله عليه وسلم الصحيح أنه لا يعرف الكتابة خلاف المعتزلة يقولون إن الآية نَهي "ولا تخطَّه بيمينك" أنه لا يخطه، وهذا ليس بصحيح. القراءات السبع والمحققون من العلماء والمفسرون أو إجماعا أجمعوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف الكتابة ولا يقرأ الكتابة، أكرم الله تبارك وتعالى نبيه بعدم الكتابة وأنزل عليه القرآن بِهذه الكيفية، أمي وهذا سب في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم لأن الأمي من نسب إلى أمه لعدم تعلمه لا يعرف كتابة ولا قراءة، ولكن مدح في حقه هو صلى الله عليه وسلم، أمي نشأ في أرض جاهلية ما فيها قراءة، ما فيها علم، ما فيها كتاب، حتى بلغ أربعين سنة أصبح يتكلم بِهذا القرآن الذي أعجز الأولين والآخرين، هذا أدل دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم. هذه من معجزاته. وهو لأدبه مع الحضرة ما أحب أن يكتب، لو كتب لعلا كفه اسم الله تبارك وتعالى، فهو في غاية الأدب حتى أنه لا يرضى أن يكون كفه فوق اسم الله تبارك وتعالى، فلهذا عظمه الله تبارك وتعالى حتى منع ظله أن يقع على الأرض[2]. ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ محمد ﴿ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ مع ذلك أهل الشقاوة يطلبون آية بعد هذا، هذا القرآن الذي نزل على هذا

---

1 – بقية من كلام عيسى عليه السلام كما ذكر في الإنجيل. نقل البروسوي في روح البيان ما نصه: روي أن المسيح بن مريم عليه السلام قال للحواريين: "أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط يعني محمدا صلى الله عليه وسلم روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه ولكنه ما يسمع به، يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب ويشهد لي كما شهدت له، فإني جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل ويفسر لكم كل شيء". روح البيان ج482/6.

2 – روح البيان ج480/6.

الأمي يكفي وحده آية، ولكن هم بقوا يقولون إذا كان محمد نبيا فليأتنا بعصا كعصا موسى ومائدة كمائدة عيسى وناقة كناقة صالح ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية. العبد ليس له من الأمر شيء، النبي يبلغ فقط عن الله تبارك وتعالى، ليس له إلا ذلك وليس عليه إلا ذلك، وأما الآيات فذلك بيد الله تبارك وتعالى، إن شاء إنزال آية أنزلها، وإن لم يشأ فالنبي ليس هذا من صلاحياته ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ طلبوا الآية أو لم يكفهم هذا القرآن؟ ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات. آيات الأنبياء انقضت كلا لم يبق لها أثر، وهذا القرآن باق على مر الدهر، جديد مع تكرار الزمان عليه، لا يبلى أبدا ويتلى دائما، ما يكفيهم هذا آية؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكتاب القرآن ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هذا القرآن الذي يتلى أبدا ودائما. يؤكد علينا تلاوة القرآن، تلاوة عبادة وتلاوة تفهم وطلب علم. وقراءة القرآن أفضل العبادات ولها آداب، ذكرنا بعضها بالأمس[1]، النظر في المصحف أفضل لأنه عبادة[2]، والجلوس متأدبا كما يجلس العبد بين يدي سيده، وحضور القلب مع ما تتلو، هذا بعد الطهارة، كلما قرأ العبد القرآن بهذه الصفات تغشاه رحمة الله تبارك وتعالى وتحف به (ما اجتمع قوم في بيت يقرأون القرآن ويتدارسونه

---

1 – راجع الدرس الثامن والثلاثين،

2 – روى البيهقي في الشعب عن أبي سعيد: (أعطوا أعينكم حظها من العبادة: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه) الجامع الصغير للسيوطي ج1 رقم الحديث 1161. تقدم في الدرس38.

إلا غشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة)[1] ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقي ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْبَاطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُواْ بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ له ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانه ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ هم يستعجلون العذاب استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وجهنم في المستقبل محيطة بهم لا يخرجون منها أبدا، أو يستعجلون بالعذاب وهم في أثناء العذاب «وإن جهنم لمحيطة بالكافرين» الكافر لا يتصرف إلا فيما يبعده عن الله تبارك وتعالى، والقرب من الله جنة، والبعد من الله - نعوذ بالله - نار، هم في نار جهنم القطيعة والبعد عن الله تبارك وتعالى، محيطة بهم حتى يخلدوا في جهنم الحسية؛ ويستعجلون العذاب، أما يكفيهم ما هم عليه من العذاب؟ فاتهم مناجاة الله وفاتهم مشاهدة جماله وجلاله، وفاتهم التلذذ بذكره، هم في جهنم القطيعة ونار البعد عن الله تبارك وتعالى ومع هذا يستعجلون العذاب، أي عذاب أشد من هذا ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ

---

1 - جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه). صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (4867).

تَعْمَلُونَ﴾ هو حالهم اليوم ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ نزل في ضعفاء مسلمي مكة لما كانوا في ضيق من إظهار الإسلام دعوا إلى الهجرة «يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ» في أي أرض تيسرت فيها العبادة بأن تُهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. المهاجرة والمجاهدة واجبتان في بداية الإسلام حتى فتح مكة، فانتهت الهجرة (لا هجرة بعد الفتح) كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، انتهت الهجرة بفتح مكة. الهجرة هجرتان والجهاد جهادان، الهجرة من أرض إلى أرض: من أرض الكفر إلى أرض يمكن فيها إقامة الدين، من أرض تقام فيها البدع إلى أرض تحيى فيها السنة، وهجرة عن محارم الله والمعاصي للتقرب إلى الله تبارك وتعالى[2]؛ وجهاد بالسيف مع الكفار، وجهاد هو الجهاد الأكبر جهاد الهوى والنفس والشيطان، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: المضاربة بالسيف هي الجهاد الأصغر؟ قال: نعم والجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى والشيطان)[3].

---

[1] – أخرجه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا). صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ باب فضل الجهاد والسير (2783). صحيح مسلم: كتاب الإمارة/ باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد (3468). وقد تقدم في الدرسين 6 و12.

[2] – جاء في صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه). صحيح البخاري: كتاب الإيمان/ باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (10). وقد تقدم في الدرس6.

[3] – أخرج السيوطي في الجامع الصغير من رواية الخطيب عن جابر: (قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: مجاهدة العبد هواه). رقم الحديث 6107 وورد في الإحياء للإمام الغزالي معزوا

أعداؤك أربعة: الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة عن الناس؛ والشيطان وسلاحه الكلام وسجنه الصمت؛ والنفس سلاحها الشبع وسجنها الجوع؛ والهوى سلاحه النوم وسجنه السهر[1]. إن إبليس أتى إلى أبناء الدنيا قال لهم: أبيع لكم سلعة هي الدنيا، قالوا: وما الثمن؟ قال: الثمن الدِّين فقط. تتركون الدين وتأخذون الدنيا. فرضي الكفار بهذه الصفقة فباعوا دينهم بالدنيا. والمسلمون المؤمنون أبوا، رفضوا، وبعض ضعفاء المسلمين والمنافقون قالوا له: أعطنا شيئا نختبر هل نشتري أم لا؟ قال حتى تعطوني رهنا، قالوا: ما هو الرهن؟ قال: أسماعكم وأبصاركم. فأعطوا أبصارهم وأسماعهم لإبليس فأعطاهم ذواقا من الدنيا، فهم ما خرجوا من الدين تماما ولكن ما قدروا على رفض الدنيا. تجد أبصارهم لا تحب إلا رؤية أحوال الدنيا، وأسماعهم لا تحب إلا أن تسمع أخبار أهل الدنيا، لأن هذه مرهونة عند إبليس[2]، فإذا أراد العبد الخلاص يجاهد النفس والهوى والشيطان، هم أعداء وهم آلات للرقي أيضا، عندما تفر عن هؤلاء الأربعة تصل إلى حضرة الله تبارك وتعالى وتتحرر. الأعداء عون للعبد في سلوكه لأنه بمحاربته لهذه الأعداء يصل إلى المطلوب، ولولاهم لربما وقع في التسويف. الجهاد الأصغر نهايته الشهادة، والجهاد الأكبر نهايته الصديقية والصديقون فوق الشهداء. والهجرة الصغرى من أرض الكفر إلى أرض الإسلام انتهت بالفتح، والهجرة الكبرى تنتهي بالفتح الأكبر "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ لما كانت الهجرة ربما

للبيهقي في الزهد الحديث (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر). إحياء علوم الدين: ج118/3. وقد تقدم في الدروس 6، 10، 21 و22.

[1] – ذكره في روح البيان ج238/2. وقد تقدم في الدرس 30.

[2] – روح البيان ج6/1.

تتعلل النفس بالأموال والأهالي والمألوفات، أخبر الحق تبارك وتعالى أن كل نفس ذائقة الموت. الإنسان يموت. أنت تتفكر كيف تفارق أهلك ومالك وأوطانك ، هب أنك مت، إذا مت كيف تفعل؟ تفارقها لا محالة ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وبعد الموت أيضا لم ينته الأمر لابد أن ترجع إلى الله تبارك وتعالى، الموت هو البلية العظمى، وكل مولود لابد له من الموت، والأمر ليس مقتصرا على الموت فقط، إنما بعد الموت ترجع إلى الله تبارك وتعالى فيحاسبك على كل كبير وصغير، الناس لابد لهم من الرجوع إلى الله، إما رجوع اختيار أو رجوع قهر واضطرار، من رجع إلى الله بالفرار من كل ما سواه، وإفناء النفس في وجود الحق تبارك وتعالى هذا رجع إلى الله اختيارا، إذا عاش فهو ميت وإن مات فهو حي، فلهذا يقال: موتوا قبل أن تموتوا[1] ويقول عيسى عليه الصلاة والسلام (لن يدخل ملكوت الله من لم يولد مرتين)[2] إذا مات الإنسان رجع إلى الله إما قهرا وإما لطفا. إذاً ما يمنعك من الهجرة؟ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ في الجنة غرف يتطلع إليها أهل الجنة كما يتطلع أهل الأرض إلى النجوم في السماء، قيل لمن يا رسول الله؟ قال: (لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام) قيل له من يطيق هذا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم؟ قال: (من لقي أخاه المسلم وسلم

---

1 – (موتوا قبل أن تموتوا). أخرجه العجلوني في كشف الخفاء: حرف الميم/ حديث رقم 2669. وقال فيه: قال الحافظ ابن حجر هو غير ثابت، وقال القاري هو من كلام الصوفية، والمعنى موتوا اختيارا بترك الشهوات قبل أن تموتوا اضطرارا بالموت الحقيقي. تقدم في الدرس13

2 – جاء في تفسير روح المعاني للألوسي: قال عيسى عليه السلام: لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين. روح المعاني ج362/1 وقد تقدم في الدرس 10.

عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى أشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الأخيرة في جماعة وصلى الفجر في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام)[1] فـ«نعم أجر العاملين» ﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أذى المشركين والهجرة ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون قال الرسول: (هاجروا تورثوا أبناءكم مجدا)[2] الهجرة لابد أن تورث العزة عزة الطاعة وعدا من الله تبارك وتعالى أن الذين هاجروا يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ تحريض على الهجرة إلى الآن، العبد يتردد في الهجرة لحال العيال وحال الرزق فقط ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أما تنظرون إلى الدواب، الدواب لا تدخر شيئا ولا تكسب

---

1 - أخرج أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر: (ألا أحدثكم بغرف الجنة)؟ قلت: بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قال: (إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) قال: قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف؟ قال: (لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام) قال: قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: (أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك، من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في الجماعة فقد صلى بالليل والناس نيام). تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي: المجلد الرابع / الباب الرابع في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وفي الحلية ج356/2.

و للترمذي في سننه بلفظ: عن علي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجنة غرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام. سنن الترمذي: كتاب البر والصلة والآداب/ باب ما جاء في قول المعروف (1907).

2 - أورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظه رقم الحديث (9577). وقد تقدم في الدرس13.

شيئا، والطيور في الهواء تغدو خماصا وتروح بطانا، القادر على أن يرزق الدواب والحيوانات قادر على أن يرزق العبد إذا هاجر من أرض إلى أرض، فالرازق في كل بلد هو الله تبارك وتعالى «وهو السميع العليم» العبد مبتلى بشيئين: حال الرزق ونظر الخلق، إذا أسقط هذين من قلبه وتوكل على الله وعلم أن الله هو الرازق وأسقط نظر خلقه إليه حتى لا يميز بين مدحهم وذمهم كأنَّهم أموات صلى عليهم، هذا انفتح له الطريق إلى حضرة الله تبارك وتعالى، ويقدر على أن يقهر النفس حتى لا تميز بين شهوتِها، وجودها وفقدها عنده سواء ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ الكفار ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك. الكفر ما جاءهم إلا بقولهم إن هذا إلا بشر فقط، كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقط وقالوا إنه لا يستحق الرسالة لأنه إنسان كمثلهم يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق. أما أن الله هو خالق السماوات والأرض وهو الذي سخر الشمس والقمر وهو الذي يعطي الرزق ويمنع، كل الكفار آمنوا بِهذا، المؤمنون لم يزيدوا على هذا، ما فاتَهم إلا الإيمان بالنبي، هذا بشر مثلكم فقط، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ والله تبارك وتعالى يوسع لمن يشاء من عباده امتحانا ويضيق لمن يشاء من عباده ابتلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم محل البسط والتضييق. من عباده أقوام لا يصلحهم إلا الغنى ولو افتقروا لهلكوا، ومنهم من لا يصلحهم إلا الفقر لو استغنوا لهلكوا[1]، والله يعلم

---

1 - وقد ورد به حديث عن عمر أخرجه السيوطي في الجامع الكبير من رواية الخطيب: أتاني جبريل فقال: يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا

حال كل منهما. الذي يصلحه الغنى يعطيه الغنى إذا أراد إصلاحه، والذي يصلحه الفقر يبتليه بالفقر ليصلحه إذا أراد إصلاحه، وكل هذه امتحانات وابتلاءات، المحبة هي المحنة، المحبة إذا صدقت للعبد تأتي المحنة، ليس بينهما إلا تصحيف النقطة فقط، المحبة نقطتها تحت، والمحنة نقطتها فوق، إذا صدقت المحبة وقع الامتحان، وكل محنة تحتها منحة، بتواضع العبد عند المحنة تأتيه المنحة الإلهية «يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم» وإذا نظرت في ضرورات الإنسان واحتياجاته التي لابد لكل إنسان منها، تجد أن الغني والفقير سواء، الإنسان يحتاج للقمة، ويحتاج لخرقة يواري بِها سوآته، والتنفس في الهواء، هذا يكفي كل إنسان، الفقير ولو بلغ ما بلغ من الفقر لابد له من لقمة، ولابد له من ثوب يواري به جسده، ولابد أن يتنفس في الهواء، لا يمنعه أحد، وانظر إلى أكبر الملوك لا يجد من مملكته إلا لقمة ولباسا وتنفسا في الهواء. الفقير والغني على حد السواء في هذا، والإنسان يجمع المال ولا يجد ما يكفيه (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا ورابعا وخامسا الخ ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)[1] انظر إذا أعطاه الله مالا كثيرا وجمع مالا كثيرا ماذا يكون؟ يموت ويترك هذا المال لغيره أو يفتقر بعد أن كان غنيا. إما أن يذهب المال وإما أن يذهب هو، إذاً أي شيء يساوي أن

بالسقم ولو أصححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إلا بالصحة ولو أسقمته لكفر. الجامع الكبير/ حرف الهمزة مع التاء ج1/ص11. وفي كنز العمال: الفصل الرابع في الرباعيات (43433).

1 – جاء في الصحيحين عن عطاء قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب). صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب ما يتقى من فتنة المال (6436). وفي صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا (1737).

يعرض العبد عن خالقه ورازقه ومكرمه إذا أعطاه كرامة أبدية؟ نسأل الله التوفيق ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ما شكّوا في هذا، كلهم يعلمون الباري تبارك وتعالى، ويعلمون أنه منشئ هذه الموجودات، ويعلمون أنه هو الملك الحق، ما شكوا في هذا، الملِك ولو تجبر حتى فرعون الذي ادعى الألوهية يعلم حقيقة أنه ليس بإله، لا يملك من العالم إلا مصر، يعلم أن من لم يملك إلا مصر لا يمكن أن يكون هو رب العالمين السماوات السبع والأرضين السبع. آمريكا وروسيا أقوى دولتين في العالم الآن يحاولون كل يوم زيادة علم في السماء في الفضاء، إذاً هذا ليس لهم، ليسوا صانعيه، يحاولون الوصول إلى السماء إلى الآن وهم عاجزون، إذاً تيقنوا أنّهم ليسوا مالكيها. وطرأت لروسيا عقيدة جديدة كانوا ينفون الباري تماما أن لا إله، وتجدد لهم أنّهم قالوا إن ثم قوة باطنة هي التي تحرك الأشياء، وتلك القوة هي القوة الإلهية فقط. ولما طار غاغارين[1] وطاف في الفضاء الخارجي، الفضاء الذي خلف السماء والأرض ورجع سأله اخروشتيف[2]: ماذا ترى؟ قال له: أنا أظن أن الإله الذي يقول المسلمون حق، قال له: اسكت لا تقل هذا، قال له: لم أومن بشيء، قال: نعم لا تؤمن بشيء. فلما

---

[1] - غاغارين (يورى أَلَكْسَيْفينشْ) (1934 – 1968) ملاح ورجل فضاء سوفيتي هو أول أحد قام برحلة فضائية لمدة ساعة و48 دقيقة على متن المركبة الفضائية فوستوك1 في ابريل 1961. من المنجد العالمي (هاشيت أديسيون) ط2.

[2] - اخروشتيف (نيكيتا سرغيفيتش 1894 – 1971) رجل سياسي سوفيتي، أول أمين عام للحزب الشيوعي للإتحاد السوفيتي ابتداء من 1956. نفس المصدر السابق.

أتى للبابا[1] أيضا سأله قال له مثلما قال لخروشتيف، قال له: أنا لم أومن بشيء، قال له: أنا كذلك لم أومن بشيء "من يهد الله فهو المهتدي" هذا الذي ظهر من المعجزات والآيات ما زاد في إيمان الناس، لم يهتد إلا من أراد الله هدايته فقط ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ بمعنى الحياة ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ ما آثروا الدنيا عليها، الآخرة كلها حيوان، كل شيء في الآخرة حي، هذا الجماد لا روح فيه اليوم ليس هذا في الآخرة، أما في الآخرة فكل شيء حي. إن الله تبارك وتعالى عنده قدرة وحكمة فستر قدرته بحكمته، نحن الآن في عالم الحكمة التستر بالأسباب عن المسبب، التستر بالأشياء عن الموجد، الاشتغال بالكائنات عن الله تبارك وتعالى، وإذا جاء يوم القيامة انقضى عالم الحكمة، ظهرت القدرة باهرة، فكل شيء حي، تلك الدار التي كل شيء فيها حي أفضل من هذه الدار التي ليست إلا لعبا ولهوا، نقل عن مالك بن دينار قوله: إن الدنيا بالنسبة إلى الآخرة بمنزلة خزف قبضة من تراب والآخرة جوهر نفيس، قبضة من التراب تفنى وجوهر نفيس لا يفنى أبدا، الباقي لو كان غير أنفس لكان خيرا من الفاني لاسيما هو أنفس وهو الباقي[2] "والآخرة خير وأبقى" وحضرة الله خير من الآخرة، فالله خير وأبقى، الآخرة خير وأبقى بالنسبة إلى الدنيا والله خير وأبقى ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ

---

1 – أي القديس ابول الرابع: جيوفاني باتيستا مونتينر (1897 – 1978) وهو بابا من سنة 1963 إلى 1978. نفس المصدر السابق.

2 – نقل القرطبي في تفسيره عن مالك بن دينار قوله: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى. قال: فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى؟. القرطبي: ج24/20.

لَهُ الدِّينَ﴾ كان من عادة الكفار إذا ركبوا في السفينة وعرضت لهم أهوال البحر ووقعوا في شدة يعلمون أن لا يكشفها إلا الله تبارك وتعالى تضرعوا إلى الله كلا ودعوا الله مخلصين له الدين ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ولكن عندما سكن البحر وجازوا إلى البر رجعوا يتمتعون بشهواتِهم ونسوا الله تبارك وتعالى ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلْيَتَمَتَّعُواْ﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلا وسبيا دونَهم ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أفيؤمنون بالباطل الصنم ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ ويكفرون بنعمة الله بإشراكهم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ فيها ذلك، وهو منهم ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا﴾ في حقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الذين جاهدوا في الله تبارك وتعالى يهديهم الله طرق السير إلى الله تبارك وتعالى. الجهاد بالسيف وجهاد النفس والهوى والشيطان. الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر، الجهاد المشقة، الذين كابدوا المشقة في الله تبارك وتعالى إن الله يبين لهم سبل الوصول إلى حضرته، فإن قلت إن أبناء الدنيا وأهل الطوائف الضالة، الفرق الضالة في المسلمين جاهدوا كثيرا و لم يهتدوا قلنا: قال «جاهدوا فينا» جاهدوا ولكن ليس في الله تبارك وتعالى. لابد من تصحيح الإيمان والعقيدة والتوجه إلى الله تبارك وتعالى فيكون الجهاد في حق الله، أما من لم يسبق له إيمان صحيح فإن بلغ ما بلغ من المجاهدة وتعب النفس فلا يجد في ذلك خيرا لأنه جاهد ولكن ليس في الله،

ليس "فينا"، «لنهدينهم سبلنا» جمَع السبل لأن السبل إلى الله كثيرة كما قال الجنيد: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق[1] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالنصر، الذين جاهدوا في طلب العلم لله تبارك وتعالى يهديهم الله سبل العمل به، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)[2] الإنسان إذا كسب العلم وعمل بما علم يفتح الله له طريق الهداية إلى التقرب منه تبارك وتعالى وإلى الوصول وإذا أحسن العبد يجد الله قريبا «إن رحمة الله قريب من المحسنين» والإحسان فسره النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يحتاج معه إلى تفسير (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[3] مراقبة الله تبارك وتعالى هي الإحسان، والعبد إذا أحسن يجد الله قريبا منه، «إن رحمة الله قريب من

---

[1] – نقله الإمام الغزالي في مجموع رسائله ص498.

[2] – (من عمل بما علم أورثه الله تعالى ما لم يعلم). أخرجه العجلوني في كشف الخفاء وقال رواه أبو نعيم عن أنس. كشف الخفاء: حرف الميم (2542) وللسيوطي في الجامع الصغير (العلم حياة الإسلام وعماد الدين ومن علم علما أتم الله له أجره ومن تعلم فعمل علمه الله ما لم يعلم" الجامع الصغير رقم الحديث (5711).

[3] – أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله عنده علم الساعة" الآية ثم أدبر، فقال: ردوه فلم يروا شيئا فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم. صحيح البخاري: كتاب الإيمان/ باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان (50) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (10). وقد تقدم في الدروس 24 و33.

المحسنين» يجد معية الله، فإذا ازداد تقربا يجد الحضرة أقرب إليه من المعية، فمنهم من يشاهد معية الله "وهو معكم أينما كنتم" ولكن منهم من لا يشاهد هذه المعية لشدة قرب الذات منه.

سورة الروم

مكية وهي ستون أو تسع وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ نزلت هذه السورة لما التقى فارس والروم، وفارس كانت دولة مجوس والروم كانوا أهل كتاب، فاقتتلا فغلبت فارس الروم، ففرح المشركون بذلك وقالوا: فارس ليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان، وغلبوا الروم الذين هم أهل كتاب، فإذاً نحن سنغلب المسملين الذين هم أيضا أهل كتاب، قال الله تبارك وتعالى ﴿أَلٓمٓ﴾ الله اللطيف الملك، ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ نعم غَلبت فارس الرومَ في هذه الوقعة ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو الفرس ﴿وَهُمْ﴾ الروم ﴿مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ بعد غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ نزلت هذه الآية وما يمكن لمخلوق أن يتصور في ذلك اليوم أن الروم ستغلب فارس في ذلك الوقت، فارس أقوى دولة في العالم، وغلبت الروم حتى لم يبق لها حراك، فنزل القرآن وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم هذه المغلوبة ستغلب قبل تسع سنوات فارس. فذهب أبو بكر ووجد المشركين فرحين بغلبة فارس للروم فأخبرهم أن الروم ستغلب فارس في ثلاث سنوات. قال له أُبَي بن خلف – وقد كذبه – أراهنك على ذلك،

في ذلك الوقت ما حرم القمار، فوضع عشرة من الإبل ووضع أبو بكر عشرة من الإبل أن الروم ستغلب فارس في ثلاث سنين، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أبو بكر لم يعرف تفسير البضع، قال له النبي صلى الله عليه وسلم لكن البضع من الثلاثة إلى التسعة، إذاً الوعد يحقق في تسع سنوات لا في ثلاث سنوات، ارجع إليه تزيدون في الإبل وتزيدون في الأجل، ولا تأتي تسع سنوات إلا وغلبت الروم فارس. فأتى أبو بكر إلى أُبَيّ وزادوا الإبل جعلوها مائة، وضع أبو بكر مائة من الإبل ووضع أُبَيّ مائة من الإبل أن الروم ستغلب فارس قبل تسع سنوات[1]. لما هاجر أبو بكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إليه أُبَيٌّ أن أعطني رهنا على من يسلم لي مائة الإبل إذا مضت المدة و لم تغلب الروم فارس.

---

1 – جاء في تفسير الطبري عن عكرمة أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض قالوا وأدنى الأرض يومئذ أذرعات بها التقوا فهزمت الروم فبلغ ذلك النبي وأصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ففرح الكفار بمكة وشمتوا فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى "الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله" فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الله الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، فقام إليه أبي بن خلف فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله، فقال أناحبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ وإن ظهرت فارس على الروم غرمتَ إلى ثلاث سنين. ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: "ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل" فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال: لعلك ندمت؟ فقال: لا، فقال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل، فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت، فظهرت الروم على فارس. تفسير الطبري ج18/21.

فأعطاه عبد الرحمن ولده أنه ينفذ له ذلك، ولما أراد أَبيّ أن يخرج إلى غزوة أحد التي قتله النبي صلى الله عليه وسلم فيها أمسكه عبد الرحمن حتى أعطاه رهنا لمائة الإبل[1]. وفي أثناء تلك المدة غلبتِ الروم فارس يوم خيبر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية عند فتح خيبر وقعت الوقعة بين فارس والروم فغلبت الروم فارس في السنة السابعة[2] ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ من قبل غلب الروم ومن بعده، المعنى أن غلبة فارس أولا وغلبة الروم ثانيا بأمر الله وإرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ وذلك اليوم الذي تغلب فيه الروم فارس سيوافق فرحا للمسلمين، المفسر يقول: وافق يوم بدر[3] وذلك غلط إنما وافق فتح خيبر، فلهذا يوم فتح خيبر غلبت الروم فارس هذا فرح للمسلمين، ووجدوا غنائم خيبر، هذا فرح لهم أيضا، ووصل سبعون راكبا من النجاشي يخبرون النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام النجاشي ملك الحبشة، هذا فرح آخر وحملوا معهم أم حبيبة بنت أبي سفيان التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم عروسا، ورجع جعفر من الحبشة، في هذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لم أدر بأيها أفرح أبإسلام النجاشي أم بغنائم خيبر أم بغلبة الروم أم بعودة جعفر أم

---

1 – ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: ج14/ص3.

2 – قال القرطبي نقلا عن القشيري: المشهور في الروايات أن ظهور الروم كان في السابعة من غلبة فارس للروم. قال ولعل رواية الشعبي (أنهم ظهروا في تسع سنين) تصحيف من السبع إلى التسع من بعض النقلة. القرطبي ج3/14. وقال الطبري: وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن معه. وفي رواية عن قتادة قال: وكان ذلك مرجعه من الحديبية. الطبري ج19/21. وفي روح المعاني: وظهرت الروم على فارس لما دخلت السنة السابعة. روح المعاني: ج18/21.

3 – المفسر جلال الدين المحلي في الجلالين ج244/3.

بوصول أم حبيبة عرسي) ﴿يَنصُرُ مَنْ يَّشَاءُ وَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وغلبت الروم فارس، لما غلب النبي صلى الله عليه وسلم جزيرة العرب كلا، صار يرسل إلى ملوك الدنيا يدعوهم إلى الإسلام فكتب كتابا وأرسله إلى ملك الروم، فلما جاءه الرسول بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن فراشه فجلس على الأرض وقرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ووضعه على رأسه وبين عينيه وعلى صدره وصاغ قرنا من ذهب وحفظ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فيه وأكرم رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأرسل بِهدايا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له جوابا: أنا أعلم أنك نبي حقا ولكنا نكره أن نترك الدين القديم وندخل في دين حديث[1]، فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فعل بكتابه قال (الروم ذات قرون كلما انقلعت قرن نبتت قرن أخرى إلى يوم القيامة صان كتابي وصان الله لهم ملكهم) وهاهم إلى الآن يتعبون الناس. وملك فارس لما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزقه ولم يقرأه وهَمَّ بقتل رسولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم: مزق كتابي مزق الله دولته)[2] ثم قال (فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس، والروم ذات قرون كلما انقلعت قرن نبتت قرن إلى

---

1 – روح البيان ج7/ص4.

2 – قال الشيخ محمد الخضري في كتابه نور اليقين إن كسرى لما وصله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزقه استكبارا ولما بلغه عليه السلام ذلك قال: "مزق الله ملكه كل ممزق" وقد فعل. وفي مسند أبي يعلى أصل له عن سعيد بن أبي راشد وفيه قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم: (...وكتبت إلى كسرى عظيم فارس فمزق كتابي والله ممزقه... الحديث). مسند أبي يعلى: ج3/170.

يوم القيامة)[1] فبقي الروم إلى الآن وفارس انقضت دولتهم في زمن عمر، آخر ملكهم يزدجرد الذي قتل في زمن عثمان، بقيت بلادهم بلاد إسلام إلى يومنا هذا، وهذا لا ينافي (إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده)[2] لأن الروم امتدت مملكتها من الشام إلى جزيرة العرب، في ذلك الوقت قيصر في الشام، ولما هلك بقي الروم في أرض الروم، ولكن الشام بقيت للمسلمين فلا قيصر فيها إلى يومنا هذا «لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» وقد فرحوا «يَنصُرُ مَنْ يَّشَاءُ وَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ هذا وعد من الله تبارك وتعالى ﴿لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ولما غلبت الرومُ فارسَ أتى عبد الرحمن إلى ولد أبي بن خلف فسلم له مائة ناقة فتصدق بها وحرم القمار بعد ذلك، لا يجوز للمسلم أن يفعل هذا الذي فعل أبو بكر «لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ» لا يعلمون وعد الله ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ملوك الدنيا عرفوا أمر دنياهم وغفلوا عن الآخرة فكيف عن الله تبارك وتعالى؟ قسم كسرى أيامه ثلاثة قال: يوم المطر لشرب الخمر واللهو، ويوم الغيم للصيد لا شمس فيه،

---

[1] – جاء في الجامع الصغير: (فارس نطحة أو نطحتان، ثم لا فارس بعد هذا أبدا، والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلفه قرن، أهل صبر، وأهله لآخر الدهر هم أصحابكم ما دام في العيش خير). الجامع الصغير رقم الحديث: (5832)

[2] – روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله). صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس/ باب قول النبي أحلت لكم الغنائم (3120). صحيح مسلم: الفتن وأشراط الساعة/ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون الميت من البلاء (5196).

ويوم الشمس للسعي في الحوائج[1]، ما أدراهم بحالة دنياهم. أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قسم أيامه كل يوم ثلاثة أجزاء: جزء لربه تبارك وتعالى وجزء لأهله وجزء لجميع الخلائق[2]، ويقول (أبلغوا إلي حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإن من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها فرج الله له الكرب يوم القيامة)[3]. وكان الجزء الذي جعله لنفسه ولأهله يأخذ منه أيضا للخلق. الدنيا لها أبناء، والآخرة لها أبناء، والدنيا مستدبرة ذاهبة، من كان ابنا لها سيبقى يتيما في وقت قريب، والآخرة لها أبناء. والدنيا كالحيات تجمع سمومها ولا تفرغها إلا في بطون أولادها، الدنيا كل ما فيها من المضرة والشر تدفعه إلى أبنائها الذين اشتغلوا بها عن الله تبارك وتعالى. قال إبراهيم بن أدهم: طلبنا الفقر وفررنا من الغنى، فجاءنا الغنى، وفر

---

1 – نقله القرطبي عن أبي العباس المبرد. ج8/14.

2 – كما يدل عليه حديث في دلائل النبوة لأبي نعيم ج228/3: قال الحسين سألت أبي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فقال: كان دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه مأذونا له في ذلك فكان إذا آوى إلى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء جزء لله عز وجل وجزء لأهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس ويرد ذلك إلى العامة ولا يدخر عنها شيئا.

والحديث طرف من حديث طويل أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد للطبراني عن الحسن بن علي (62041). باب صفته صلى الله عليه وسلم. وأورده العجلوني في كشف الخفاء في تعليقه على الحديث (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) قال ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي في حديث: كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، كذا في اللآلئ، كشف الخفاء: حرف اللام (2159)

3 – روى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء: (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فمن أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة). الجامع الصغير رقم الحديث (59).

الناس من الفقر يطلبون الغنى، فجاءهم الفقر[1]. وهذا لأن الحديث الرباني يقول: (يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك)[2]. من اشتغل بالله تبارك وتعالى كفاه الله أمر دنياه سواء كان فقيرا أو غنيا فالله هو الكافي، ومن أدبر عن الله تبارك وتعالى بقي فقيرا سواء كثر ما عنده أو قل. ليس الغِنى عن كثرة العرض إنما الغِنى غنى النفس[3]، والقناعة مال لا ينفد[4] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إن الله خلق هذه الخلائق لنفهم منها أنه تبارك وتعالى يريد إظهار الحكمة في خلقها وهو أن يأمرنا بعبادته لنربح لا ليربح هو. وأن هذه الكائنات ستنقضي في يوم ما لها أجل لا تتجاوزه، وبعد هذا الموت والبعث إما الجنة وإما النار ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ كفار مكة ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ لا يؤمنون بالبعث ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بتكذيبهم رسلهم أهلكهم الله ﴿كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُواْ الْأَرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ كفار مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ

---

1 – انظر قول إبراهيم بن أدهم في روح البيان ج39/7.

2 – عن عبد الله بن مسعود قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يقول الله عز وجل للدنيا: يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي يا دنيا من خدمك) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري/ باب ذكر النوع الخامس والعشرين من علم الحديث.

3 – رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس). صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب الغنى غنى النفس (6446). صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ ليس الغنى عن كثرة العرض (1741).

4 – (القناعة مال لا ينفد) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن أنس رقم الحديث(6193). وقد تقدم في الدروس 30 و33.

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الظاهرة ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رسلهم ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُواْ السُّوأَى﴾ كان عاقبة الذين عملوا القبيح النار أو «كان عاقبة الذين أساءوا» عصوا الله تبارك وتعالى «السوأى» الكفر. العصيان خطر كبير لأن العبد إذا عصى نُكِتتْ نكتة سوداء في قلبه، وإن عصى مرة أخرى نكتت نكتة أخرى، وإذا عمَّت هذه النكت على القلب فذلك الرين الذي يقول الله "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"[1] فيبقى الرجل كافرا لا يؤثر فيه شيء. ولهذا إن كل كبيرة عملها العبد فبسبب صغيرة عملها قبلها، فلا يزال يتجرأ على المعاصي ما دام مستمرا عليها حتى يصل إلى الكفر نعوذ بالله. ﴿أَن كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ اللَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ﴾ ينشئ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يخلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ثم ترجعون إليه ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يسكت المشركون ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ لا يكون ﴿لَهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ﴾ الأصنام ﴿شُفَعَؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ متبرئين من شركائهم ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ إذا جاء يوم القيامة تفرق الناس تفرقا لا اجتماع بعده أبدا، وكيفية التفرق هاهي: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ جنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون يكونون في الجنة يحبرون: يحصنون، يحبرون: يغنون، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ يحضرون في جهنم

---

1 – عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة ويل للمطففين (3257) وفي سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب ذكر الذنوب (4234).

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ سبحوا الله تبارك وتعالى أي صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ تدخلون في المساء هاتان الصلاتان المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ تدخلون في الصباح صلاة الصبح ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلوا صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، صلاة الظهر هذه الصلوات الخمس ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ النطفة والبيضة من الحي ﴿وَيُحْيِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ من القبور يوم القيامة ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾ الدالة على قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أصلكم آدم وهو من تراب ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ أمر الله الملك فأخذ قبضة من الأرض فيها جميع أجزاء الأرض، فلهذا اختلفت صور بني آدم وألوانهم[1]. الأرض ستون جنسا مختلفة قبض من كل قطعة فجمعها فمنها خلق آدم أبونا. قبضة من تراب، صارت بشرا من دم ولحم وتناسلوا حتى بلغوا هذا المبلغ من الكثرة، انتشروا في الدنيا كلا وكانت قبضة واحدة. القادر على هذا قادر على إحياء الموتى ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ إن الله تبارك وتعالى خلق حواء من ضلع آدم، وخلق لكل رجل زوجته من نطف الرجال والنساء ﴿لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا﴾ تألفوها. المؤالفة هي التي تسبق ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ جميعا ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ من حكمة الله تبارك وتعالى أن خلق لنا الزوجات، المرء يجلس

---

1 – عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة البقرة (2879).

والمرأة أجنبية منه لا تخطر له ببال، إذا وقع له عقد عليها سكن قلبه إليها صار يتذكرها وتكون ببال منه، هذا السكون هو الذي يسبق المودة، إذا وقع الجماع بينهما وقعت مودة بينهما كلهما يتعلق بالآخر، "ورحمة" ولد إذا رزقهما الله ولدا بينهما فذلك هو الرحمة. درجات: سكون أولا ومودة ورحمة، فلهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتزويج الأبكار[1] لأن البكر إذا تزوجها المرء فهي كلها له، والمرأة إذا تزوجت قبلك وليس لها ولد فنصفها لك ونصفها لغيرك، وإذا تزوجت قبلك ولها ولد فليس لك منها شيء، نصفها للزوج الأول والنصف الثاني للولد، والمتزوج الأخير لم يحصل على شيء[2] فهذا غالبا «إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» في صنع الله تبارك وتعالى. منّ بالنكاح لأن كل لذة من لذات الدنيا تقسي القلب إلا لذة الجماع[3] دائما تلين القلب، بعض الأولياء حصل لهم الفتح بسبب لذة الجماع[4] ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ لغاتكم من عربية وعجمية «وألوانكم» من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد

---

1 – عن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير). سن ابن ماجه: كتاب النكاح/ باب تزويج الأبكار (1851). وكقوله لجابر كما في الصحيحين: (...فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك..) صحيح البخاري: كتاب النكاح/ باب تزويج الثيبات (5079). صحيح مسلم: كتاب الرضاع/ باب استحباب نكاح البكر (2667-2662)

2 – ذكره في روح البيان ج192/2.

3 – قاله في قرة العيون بشرح نظم ابن يامون لأبي محمد مولانا التهامي كنون الإدريسي الحسني، ص16/ المكتبة الشعبية – بيروت.

4 – حكى الصاوي في حاشيته على الجلالين قول بعض العارفين: لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى. ج249/3.

وامرأة واحدة أليس في هذا عجب؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته ﴿لِّلْعَالِمِينَ وَمِنْ ءايَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ تصرفكم في طلب المعيشة وإذا جاء الليل نام العبد والنوم كأنه موت خفيف، والموت الأكبر سيطرأ عليه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يقول العلماء إن أقوى شيء هو الجبال، والحديد أقوى من الجبال لأن الحديد يكسر الجبال، والنار أقوى من الحديد لأن النار تلين الحديد، والماء أقوى من النار لأنه يطفئها، والسحاب أقوى من الماء لأن السحاب تحمل الماء، والرياح أقوى من السحاب لأن الرياح تسوق السحاب، والإنسان أقوى من الرياح، تجد الرياح تسقط الدور وتمر بصبي لا تقدر أن تسقطه، الإنسان أقوى من الرياح يثبت الإنسان للريح، والنوم أقوى من الإنسان، والموت أقوى من النوم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ العبر ولو عظمت لا يعظم موقعها إلا في قلوب العارفين.

واعلم أن دولة المرء يوم القيامة بحسب سعة معرفته، كلما اتسعت معرفة الرجل اتسعت دولته في الآخرة ﴿وَمِنْ ءايَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ من القبور ﴿إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أيسر ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً﴾ كائنا ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من مماليككم ﴿مِن شُرَكَاءَ﴾ لكم ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أمثالكم، هل العبد الذي تملكه تقدر أن تجعله كفؤا لك حتى تخافه كما

تخاف كفؤا لك؟ ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ كذلك الله تبارك وتعالى لا يقبل شريكا أبدا ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ مائلا ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ خلقته ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دينه (كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء)[1] لا. ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لدينه لا تبدلوه ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ لاختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقا ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون به ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمطر ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ أريد به التهديد ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تمتعكم ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلُّمَ دلالة ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ لا، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا﴾ فرح بطر ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ يائسون من رحمة الله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ

---

1 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء. صحيح البخاري: كتاب الجنائز/ باب ما قيل في أولاد المشركين (1385). صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة... (4803). وقد تقدم في الدروس 5، 6، 20.

السَّبِيلِ﴾ المسافر من الصدقة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ بأن تعطي شيئا هبة أو هدية لتطلب أكثر منه فيسمى بالربا ﴿لِّتَرْبُواْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ المعطين ﴿فَلاَ يَرْبُواْ﴾ يزكو ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ لا ثواب فيه للمعطين ﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ ثوابهم بما أرادوه ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ القفار بقحط المطر وقلة النبات ﴿وَالْبَحْرِ﴾ البلاد التي على الأنهار بقلة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ ظهر الفساد في الحيوان قل لبنه ونتاجه وكثر أمراضه وقلت البركات في الزروع وخسرت، التجارات كلها بمعاصي بني آدم، والبحر بإغراق السفن وقلة البركة في المياه ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة وإلى النار ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره وهو النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ يوطئون منازلهم في الجنة لأنفسهم ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يثيبهم ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُّرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ مبشرات بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحات ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُ

كِسَفًا﴾ متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بالودق ﴿مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَنْ يُّنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ فَانظُرْ إِلَى أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ نعمته ﴿كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ﴾ المحيي للأرض ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مضرة ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أحمر ﴿لَظَلُّواْ مِن بَعْدِهِ﴾ بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُّؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً﴾ ضعف الطفولة تتبعه قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا﴾ ضعف الشيخوخة ﴿وَشَيْبَةً﴾ ويخرج الشيب بعد ذلك ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قال تعالى ﴿كَذَلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ عن الحق ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يرجعون إلى الدنيا ليرضوا الله تبارك وتعالى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ﴾ يا محمد ﴿بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ منهم ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ محمد وأصحابه ﴿إِلاَّ مُبْطِلُونَ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك ﴿حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

سورة لقمان

مكية إلا "ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام" الآيتان فمدنيتان.

وهي أربع وثلاثون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمِّ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ نزل في النضر بن الحارث[1] ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ مهزوءا بها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ﴾ أعلمه ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يضع شيئا إلا في محله ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ترون السماوات بغير عمد ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا﴾ التفات ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ هذا مخلوقه هو تبارك وتعالى ﴿فَأَرُونِي﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ الآلهة غير الله أي شيء خلقوا ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ منها العلم والديانة والإصابة في القول وحِكَمه كثيرة مأثورة ﴿أَنُ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَّشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيِّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا

---

1 – ذكره جلال الدين المحلي في الجلالين ص540 وكذلك ذكره السيوطي في أسباب النزول

﴿تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ هنا جملة معترضة ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ نزلت في سعد[2] ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ فوهنت ﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ وقلنا ﴿أَنُ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم عليه ﴿يَا بُنَيِّ﴾ هذا من كلام لقمان ﴿إِنَّهَا﴾ أي الخصلة السيئة ﴿إِن تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيِّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يسبب ضررا يصيب الآمر فلهذا أردفه بالصبر ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلاَ تُصَاعِرْ﴾ تصاعر تمل ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ تكبرا ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ خيلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط ﴿وَاغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها والأرض من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أسبغ الله نعمه على أهل الأرض ظاهرة وباطنة، قالوا: يا رسول الله ما النعم الظاهرة؟ قال: هو ما أحسن من صورتك وما أعطى من الرزق. والنعمة الباطنة يا رسول الله؟ قال: ما ستر من سوأتك لأنه ستر منك ما لو أظهره لتركك أقرب الناس إليك، أسبغ نعمه ظاهرة وباطنة، النعم الظاهرة كحسن الصورة، واعتدال القامة، والحواس الخمس:

---

2 – ابن أبي وقاص كما تقدم في بداية هذا الدرس.

اللمس والشم والسمع والبصر والذوق كل هذه نعم، والرزق وصحة البدن والأولاد والأموال، ومصاحبة الأنبياء أو الأولياء، والصلاة، والصيام، والزكاة وقراءة القرآن، وحفظ القرآن، كل هذه نعم ظاهرة. وباطنة كنفخ الروح في البدن والعقل والفكر والعلم والمعرفة والولاية ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وسعادة الدنيا وسعادة الآخرة، كل هذه نعم باطنة. أسبغ الله نعمه على عبده ظاهرة وباطنة[1]. قال ابن عباس: قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى: (أسبغت النعمة على عبدي حتى جعلت له ثلث صلاة المسلمين كفارة لذنوبه بعد موته وثلث ماله كفارة لذنوبه قبل موته)[2] الإنسان إذا لم يبق له إلا الموت يجوز له أن يتصدق بثلث ماله فيكفر الله به جميع سيئاته، هذا قبل موته، وإذا مات قام جماعة من المسلمين وأعطوه ثلث صلاتهم وهو القيام فقط، الصلاة قيام وركوع وسجود، الركوع والسجود لا يعملان لغير الله، ولكن يصلون على الجنازة قياما وهذا يكفر له عن سيئاته. هذا كلا من نعم الله تبارك وتعالى على عبده ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزله بل تقليدا لآبائهم فقط ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ قال تعالى ﴿أَ﴾يتبعونه ﴿وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ لا ينبغي. الوالد إذا

---

1 – قال القرطبي في تفسيره: قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقد سأله عن هذه الآية "وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة": (الظاهرة الإسلام وما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيئ عملك). وقيل الظاهرة الصحة وكمال الخلق والباطنة المعرفة والعقل. وقال المحاسبي: الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم العقبى. وقيل الظاهرة ما يرى بالأبصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات، والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله تعالى عن العبد من الآفات. القرطبي: ج14/73.

2 – حديث ابن عباس أورده البروسوي في روح البيان ج7/90.

كان مستقيما فينبغي اتباعه، وإذا كان يدعوك إلى السعير فلا ينبغي اتباع هذا الوالد. صدق الله العظيم. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

فهرست الجزء الرابع

انتهى طبع هذا الكتاب بعون الله تعالى
بمطابع مجمع اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع - تونس
جانفي 2010